مشروع سياسي واستراتيجي وتاريخي

الكتاب الثاني

قراءة في فكر

علماء الاستراتيجية

مصر والحرب القادمة

أ. د/ حامد ربيع

إعداد

أ. د/ جمال عبد الهادي مسعود

الشيخ/ عبد الراضي أمين سليم

قراءة في فكر

علماء الاستراتيجية

مصر والحرب القادمة




بسم الله الرحمن الرحيم
قال تعالى :
" هذا بلاغٌ للنَّاس ولِيُنذَرُوا به ولِيعلَمُوا أنَّما
هو إلهٌ واحدٌ وليذَّكر أولُوا الألبَابْ "
سورة ابراهيم/52

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد.

أما بعد :

هذه قراءة في فكر الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع(*)، أستاذ النظرية السياسية والذي شغل المناصب التالية :

* أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة .
* أستاذ ورئيس قسم الدراسات القومية بمعهد الدراسات العربية .
* أستاذ خارجي بجامعات « الخرطوم – بغداد – روما – باريس » .

له مؤلفات عدة منها على سبيل المثال :

* اطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي –دار الفكر العربي– 1978
* مصر تدخل عصر النفايات الذرية بالاشتراك مع الدكتورة نعمات فؤاد دار الاتحاد العربي للطباعة القاهرة عام 1979.
* اتفاقيات كامب ديفيد – قصة حوار بين الثعلب والذئب – عمان – دار الشعب عام 1980.
* سلوك المالك في تدبير الممالك – تحقيق وتعليق وترجمة – كتاب الشعب دار الشعب عام 1980.
* الاسلام والقوى الدولية " نحو ثورة القرن الواحد والعشرين " – دار الوقف العربي القاهرة عام 1981 ؛ وهناك عرض للكتاب في مجلة الأمة القطرية – عدد 20 يونيو 1982.
* الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وادارة التكامل القومي – القاهرة طبعة عام 1983.

---

* ذكر أنه اغتيل على يد الصهيونية العالمية في بيته (راجع في ذلك جريدة الوفد المصرية في 18 يناير 1995 تحت عنوان ربيع وجمال حمدان نهايات مفتوحة) أحمد المسلماني

* **ومقالات عديدة نشرت في الصحف والمجلات :**

* أزمة الديمقراطية والحرية في العالم العربي – معهد البحوث والدراسات العربية (المنظمة العربية للتربية – والعلوم والثقافة) الدورة الخاصة عام 1981.

* استراتيجية القوى الكبرى تجاه منطقة الشرق الأوسط – مجلة المصور المصرية عدد أكتوبر 1983.

* هل يشهد القرن القادم دولة الإســلام ؟ – مجلة الدعوة – القاهرة – العدد 55 نوفمبر 1981.

* احتواء العقل المصري – جريدة الأهرام الاقتصادي من العدد 733 : 739.

وله مؤلفات وأبحاث عديدة بمكتبة كلية الا قتصاد والعلوم السياسية منها على سبيل المثال :

* نظرية الاتصال وعملية التفاعل السلوكي.

* أبحاث فــي النظــرية السياسيــة.

* الحرب النفسية في المنطقة العربية.

* سلاح البترول والــصراع العربــي الإسرائيلي.

* إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي.

* النموذج الإسرائيلـــي للممارســة السياسيــة.

* العنصرية الصهيونية ومنطقة التعامل السياسي في التقاليد الغربية.

والقراءة التي نقدمها للقراء في كتابنا هذا تعتمد على مجموعة مقالات نشرت في جريدة الوفد تباعاً تحت عنوان رئيسي «مصر والحرب القادمة» .

المقالة الأولي : بتاريخ 1989/6/29 تحت عنوان

«مصر والحرب القادمة حول عام 1995» .

الثانية : بتاريخ 1989/7/6 تحت عنوان

«فلسفة إسرائيل الجديدة وموقفها في منطقة الشرق الأوسط» .

الثالثة : بتاريخ 89/7/13 تحت عنوان

«هل تنجح إسرائيل في وراثة دور مصر القيادي لمنطقة الشرق الأوسط»

الرابــعة : بتاريخ 89/7/20 تحت عنوان

«قنبلة تكتيكية ذات اشعاع محدود يدمر الدول المحيطة بإسرائيل ... ولا يؤثر عليها»

الخامسة : بتاريخ 89/7/27 تحت عنوان

«الترسانة العسكرية الإسرائيلية الجديدة وخصائصها»

السادسة : بتاريخ 89/8/3 تحت عنوان

«حرب توسعية لتحقيق الهيمنة الصهيونية الكاملة على المنطقة»

السابــعة : بتاريخ 89/8/10 تحت عنوان

«السلوك العدواني الإسرائيلي»

الثامـــنة : بتاريخ 89/8/17 تحت عنوان

«السلاح النووي وتطور العقيدة القتالية الإسرائيلية»

التاسـعة : بتاريخ 89/8/24 تحت عنوان

«الدول العربية تستخدم السلاح التقليدي في تدمير السلاح النووي الإسرائيلي»

العاشرة : بتاريخ 89/8/31 تحت عنوان

«السلاح النووي الإسرائيلي واستراتيجية المواجهة العربية»

•• ومجموع هذه المقالات تدور بإيجاز شديد حول الموضوع التالي :

أن إسرائيل التي ترفع شعار السلام تستعد لحرب قادمة، وحددت الأسلحة التي ستقوم باستخدامها (النووية – التكتيكية – الجرثومية – الكيماوية والصاروخية)، بل وحددت الأماكن التي ستقوم بضربها، بل وأنهت تدريباتها العسكرية، بمساندة القوى الاستعمارية .

•• وأن هذه الحرب القادمة، سوف تذكرنا بالانفجار النازي في أوربا، وأن هذه الحرب لن تترك دولة واحدة من دول الشرق الأوسط دون أن تتعامل معها، بل إنها قد تقود إلى مفاجآت محورها التحالف بين إسرائيل والدول غير العربية في تمزيق خريطة المنطقة العربية(1) .

---

(1) هل التحالف الصهيوني التركي الأمريكي العسكري وما تقوم به تركيا من عمليات عسكرية في شمال العراق، ومناورات عسكرية، نموذج لذلك ؟

• وأن هناك خطة قد تم تنفيذها للإعداد «لميدان المعركة»، وأن القيادة الصهيونية التي سوف تتحكم في هذا التصور، ليست القيادة السياسية الحزبية، ولكنها القيادة العسكرية المهنية.

• وتســاء ل الكاتب –يرحمه الله تعالى– بقوله :

(هل تستطيع مصر أن تقف إزاء ذلك التطور موقف السلبية ؟ أم ماذا تستطيع أن تفعل؟)

وهذه التساؤلات وغيرها يحاول الكاتب أن يجيب عليها على الصفحات التالية.

رحم الله (حامد عبد اللـــه ربيـــع) وغيرهـــم من علماء الأمة المخلصين ؛ الذين أدوا واجـب البلاغ إبراء للذمة بين يدي الله عز وجل « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

جمال عبد الهادي و عبد الراضي أمين سليم

المقالـــة الأولـــى

" مصـــر والحـــرب القادمـــة "

تحت هذا العنوان كتب الدكتور حامد عبد الله ربيع فقال :

«في تاريخ كل أمة تمر لحظة معينة، فإذا بها تصاب بنوع من الغشاوة الحقيقية : تضطرب مفاهيمها ويصيب مدركاتها عدم الوضوح، ويسيطر على عقلها عدم الصلاحية . أما قياداتها بجميع مستوياتها فهي مهلهلة لا تدري أين الطريق الصحيح : قيادات سياسية فقدت الوعي، وقيادات عسكرية يصيبها الترهل، أما عن القيادات الثقافية فهي لم تعد سوي أبواق تهلل وترقص وتطبل .

المؤرخ يقف ازاء تلك الظاهرة في حالة ذهول : كيف حدث ذلك ولماذا حدث ذلك ؟ هذه أمة تملك تقاليدها الواضحة الصريحة المقننة ؛ فإذا بها وقد أصاب الاختلال كل مفاهيم الأمن القومي(1) .

إن إطار القيـــم الذي يبلوره الأمن القومي هو وحده الذي يحدد العدو، ويفصله عن الصديق، وتنظيم مراتب العـــداوة وكذلك مـــراتب الصداقة . وهذه القيـــادات المثقفـــة تتحـــول سواء بدعوي الســـلام العادل، أو نتيجة لعدم الوعي الحقيقي إلـــى صفاقة يُزيِّنـــون كل زفة . وظيفتهم لم تعد قيـــادة العقـــل القومـــي، وإنمـــا هـــز الأرداف والـــدق علـــى الطبـــول . والقيـــادات العسكرية التـــي من طبيعتهـــا التقشف والصـــلابة تحـــولت إلـــى مجموعـــة مـــن الموظفـــين يلهثـــون وراء المكاتـــب المكيفـــة .

---

(1) إن نظرية الأمن القومي للعالم العربي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأمن العالم الإسلامي، ومرجعيتنا في ذلك «الإسلام» الذي تعبر عنه «منظومة القيم الإسلامية – والتي ركز عليها الدكتور، لواء أ.ح. فوزي محمد طايل في كتابه "نهضة أمة كيف نفكر استراتيجيا " الناشر مركز الإعلام العربي الطبعة الأولى من صـ30 : صـ199.

البعض يصل به الأمر إلى نعت هذه الطبقات بالخيانة . ولكن هل من الممكن تصور أمة كاملة تعيش الخيانة دون صوت واحد يرتفع مردداً حقيقة التقاليد ؟ الأمر الجدير بالتساؤل: كيف يحدث هذا التطور فإذا بشعب قوي صلب يتحول إلى طبقة من الجبناء الذين لا هم له إلا تشويه الحقيقة ؟ لقد توصل العلماء إلى تحليل ما أسموه علم الجهل آن لنا أن نوجه اهتمامنا لما نستطيع أن نسميه علم الجبن !

نموذج واضح لذلك؛ في فرنسا خلال الأعوام العشرة الرابعة من القرن العشرين والسابقة على الحرب العالمية الثانية . نموذج آخر؛ في ألمانيا أوائل القرن الماضي عندما اندفع نابليون باسم الثورة الفرنسية يمرغ في الأوحال شرف الصلابة البروسية . قبل ذلك عرف التاريخ القديم نموذجين آخرين يفصلنا عنهما البعد التاريخي، ولكن الدلالة ومعنى الخبرة واحدة .

حدث أولاً عندما غزا الفرس اليونان، وجاء النموذج الثاني في روما؛ أثناء غزو "هانيبال" لايطاليا. في الأولى حمل لواء الرفض "بركليس"، وفي الثانية تصدى "كاتو" العجوز .

لنقف ازاء النموذجين الأقرب زمنياً : ألمانيا وفرنسا . في كلا النموذجين رأينا صورة غريبة لشعبين كلاهما يملك تاريخه العظيم، الممتلئ بالقدرة والمقدرة والصلابة والرجولة والكفاح وعدم الاستسلام، وقد تحول إلى فئران مذعورة . كان نابليون يفرض على القيادات البروسية أن تنحني أمامه إلى حد الاذلال وهم سعداء بذلك . يسير بينهم وهو متنمر متكبر، والقيادة الألمانية والبروسية تحتفل بقدومه وهو لا يفعل سوى أن يدوس كرامتهم بنعل حذائه . وينتقل بأبصاره بين نسائهم باحثا عن وجه يملأ بالحرارة ليلته، فإذا عثر على ضحيته زوجة أحد قياداتهم رأى على وجوههم الارتياح عسى أن يرضي عنهم وتهدأ ثورته عليهم . ازاء هذه الصفعات خرج صوت "فيشت" وهو وحيد ضعيف إلا من ثقته بنفسه وإيمانه بقضية بلاده وأمته يصرخ قائلاً : استيقظ أيها الشعب . هذه قيادات يجب أن تزيلها بضربة يد قوية، وفي ثلاث عشرة محاضرة علنية في برلين، وخلال ثلاثة أشهر تحت سمع وبصر الملأ لم يتردد الزعيم الروحي في أن يحاكم لا فقط فرنسا فهذه أمرها سهل، ولكن هذا الشعب (الألماني) وقياداته التي أصابها الاسترخاء وتجردت من الواجب والالتزام القومي .

النموذج يتكرر بصورة مختلفة في بعض جزئياتها ولكنها ثابتة في جوهرها في فرنسا .

قبل الحرب العالمية الثانية وخلال عشرة أعوام كاملة أصاب فرنسا الثورية نوع من الاسترخاء. تحول القادة التاريخيون إلى أقزام. لم يعد أحد يتحدث الا عن السلام.

بينما ألمانيا المهزومة تستعد للانتقام في اللحظة التي أُجبرت فيها علي التوقيع علي (معاهدة فرساي) كانت قياداتها تدرس الخبرة وتستخلص النتائج. وجاء هتلر وقد صمم علي أن يحيل فرنسا إلي حديقة يتنزه فيها رجاله بين معركة واخرى. وبينما راح رجال فرنسا التاريخية يخدرون شعبها، كان هتلر يستعد . وحاول ديجول أن يعيد إلى أمته وعيها فلم يسمع سوي الاستخفاف . وجاءت الضربة وكان لابد أن تُهزم فرنسا العظيمة، وهرب ديجول ليرفع راية العصيان، بينما اندفع جان مولان يقود المقاومة في داخل فرنسا ودفعت الأمة الفرنسية ثمن ذلك خمسة أعوام من الاحتلال، وعدد بالملايين من القتلى دون الحديث عن التخريب والتخلف. فلماذا حدث ذلك ؟ المؤرخون المحايدون يعزون ذلك إلى أسباب ثلاثة : «الأول» الترهل في القيادة السياسية والفساد الذي تسلل في جميع عناصرها. «الثاني» الإرهاق الذي أصاب القيادة العسكرية التي أضحت تسعي إلي عدم حمل السلاح مهما كان الثمن وبأي ثمن. «الثالث» اختفاء أي ضغط من الشعب الفرنسي علي القيادة لتستيقظ وتواجه الخطر الذي يقع علي حدودها . أحد المعاصرين وصف الشعب الفرنسي بقوله : "إن فرنسا تموت فلا تُقلقوا نزعها الأخير" .

فهل سوف يُقَدر لنا أن نعاصر نموذجا آخر في الأعوام القادمة يأتي هذه المرة من منطقة الشرق الأوسط ؟ »

ثم ذكر الكاتب في مقاله أن «تقارير مركز الدراسات الاستراتيجية في تل أبيب تؤكد : إسرائيل تخطط لحرب قادمة حول[1] 1995»

ثم واصل الكاتب استعراضه وتقويمه لما يسمي «بمسيرة السلام» بين الكيان الصهيوني والعالم العربي فقال : « منذ أكثر من خمسة عشر عاما انطلق صوت من القاهرة مستجيبا إلي نداء جاء عبر الحدوة بضرورة انهاء الحرب بين مصر وأعدائها في المنطقة، ووضع اطاراً شاملاً للسلام بين جميع عناصر هذه المنطقة . لم يعد العالم في

---

(1) ربما يقول قائل إن توقعات الكاتب لم تكن في محلها بدليل أن عام 1995 قد انتهي ولم تقم هذه الحرب. فنقول : إن حصافة الكاتب وذكاءه وتوقعاته سليمة لأنه قال – إسرائيل تخطط لحرب قادمة حول 1995 – وكلمة حول في اللغة العربية كما يقول صاحب كتاب «لسان العرب» ج189/11. طبعة دار الفكر – بيروت :

* حَوْل : تَحوَّ ل: بمعنى تَنَقَّل من موضع إلى موضع آخر، قال الأزهري : الحوْل أي الحركة فكأن القائل إذا قال : لا حول ولا قوة إلا بالله، بمعنى لا حركة ولا استعانة إلا بالله .

* صـ187 وحال شئ نفسه يحول حولاً بمعنيين (1) يكون تغيراً (2) يكون تحولاً، قال الأزهري :=

حاجة إلى قتال مستمر وجولات متتابعة، ولكنه في حاجة إلى بناء نظام جديد أكثر تحضراً يفتح ذراعيه للنبوغ الفردي لنستطيع أن نقيم صرح حضارة جديدة أكثر تعبيراً عن واقع منطقة الشرق الأوسط . ومضت خمسة عشر عاماً . واتت لحظة مواجهة الحقيقة بتقييم تلك الخبرة خلال تتابع وقائعها المختلفة، وقد استغرقت فترة جيل كامل تسمح لذلك التقييم بهدوء وعقلانية » .

« فلنتساء ل أولاً : ما هي خصائص السياسة الاسرائيلية خلال هذه الفترة والتي تبدو واضحة وبصفة خاصة خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ؟ هل هي تعبير عن قناعة بهذا الحديث عن السلام، وبناء اطار جديد للتعامل أساسه حسن الجوار؟ نستطيع بايجاز أن نستخلص المبادئ التي سيطرت على سياسة تل أبيب منذ بدء هذه الفترة حتى اليوم في مبادئ معلنة وواضحة ليست في حاجة إلى مناقشة . وفي سبيل تحديد هذه المبادئ يجب أن نميز بين دوائر ثلاث : دائرة العلاقات المصرية الاسرائيلية، ثم دائرة التعامل الاسرائيلي مع منطقة الشرق الأوسط، وأخيراً دائرة العلاقات المصرية الأمريكية . ورغم أن هذه الدوائر تتداخل بحيث تصـــير بعض المتغيرات عناصر مشتركة وثابتة إلا أن الفصل بين هذه الدوائر يسمح بفهـم أكثر وضوحاً .

نتوقف مؤقتاً حول الدائرة الأولى وهي العلاقات المصرية الاسرائيلية .

قبل أن نتناول المبادئ التي تسود النظرة الاسرائيلية لعلاقات تل أبيب بالقاهرة يجب أن نقدم بعض الملاحظات :

«الأولى» أن مقتضى التعامل المباشر بين القاهرة وتل أبيب، والذي بدأ مع اتفاقيات فك الاشتباك، وظل في تصاعد مستمر حتى معاهدة السلام، أننا نعاصر عهداً جديداً تسوده الثقة ولو بقسط معين أو على الأقل الرغبة فى اثبات حسن النية من الجانبين .

«الثاني» أنه في خلال هذه الفترة تغير الطاقم الحاكم في اسرائيل على عكس الموقف في مصر؛ حيث أن هذا الطاقم في جوهره لم يتغير . فعقب حزب الماباي ومن يحيط به حل حزب حيروت، وتكتل ليكود، والفارق بينهما يمثل خلافاً واضحاً .

= —> سمعت المنذري يقول : سمعت أبا الهيثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله قال الحول يعني الحركة. والحديث "اللهم بك أصول وبك أحول أي أتحرك " أ.هـ .

نقول والحركة قد تكون للأمام وقد تكون للخلف، فمعنى كلام الكاتب (حول عام 1995) فقد تكون قبلها بعام أو بعدها بعام بمعنى أن الحرب قد تكون 1994 ، 1995 ، 1996 ، وقد تكون قبلها بعامين فتكون بمعنى أن الحرب قد تكون 1993 – 1994 ، 1995 – أو 1996 ، 1997 وهكذا .

«الثالث» أن أهم عناصر هذا الخلاف هو النظرة إلى إسرائيل على أنها دولة تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط، ليس فقط بحكم الوجود المكاني والعضوي بل أنها تاريخياً وحضارياً جزء لا يتجزأ من تلك المنطقة » .

وذكر الكاتب أن سياسة العدو الصهيوني تجاه مصر منذ توقيع اتفاقية السلام تقوم على ثلاثة أمور :

«أولاً» تخريب مصر من الداخل .

«ثانياً» عزل مصر عن محيطها العربي .

«ثالثاً» خلق الشَّلَلْ في وظيفة مصر الاقيليمية .

أولاً : تخريب مصر من الداخل(1)

مبدأ التعامل مع الخصم من الداخل لتقييد فاعليته الدولية ليس جديداً في نظرية العلاقات الدولية . أول من وضع هذا المبدأ، سلّم أولوياته ! النظامُ النازي من خلال خلق ما أسماه الطابور الخامس، ولكن كيسنجر عاد ليوظف هذا المبدأ من منطلق آخر أساسه العلاقة العضوية بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية حيث نظر إلى السياسة الخارجية على أنها أداة لتنفيذ السياسة الداخلية .

السياسة الاسرائيلية تلقفت هذه التقاليد وأحالتها إلى خطة كاملة للحركة .

«أ» فهي تبحث عن جميع عناصر الضعف في الجسد الداخلي، وتضخم منها؛ الضعف في الجسد المصري مرده عنصران أساسيان : الأزمة الاقتصادية من جانب وأزمة القيم السياسية من جانب آخر . فمصر تعيش حالة من الانهيار الاقتصادي الذي بدأ مع حرب 1967 وهو يسير في خطوات متتابعة . وأزمة القيم تعود إلى ذلك التحول المفاجئ في ترتيب عناصر الأمن القومي . وهي تتعامل مع هذين العنصرين بطرق غير مباشرة وكما سنرى فيما بعد، بتخطيط واضح أساسه إضعاف الجسد إضعافاً حقيقياً .

---

(1) هذه السياسة التي سارت إسرائيل على نهجها، تقوم على عقيدة التوراة التي رسمت لها خطة التخريب من الداخل، بل وقصدت مصر بالذات حيث قالت التوراة سفر أشياء النبي 19 / 1 : 10 [... وحي من جهة مصر . هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها . وأهيج مصريين على مصريين، فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه، مدينة مدينة ومملكة مملكة . وتهراق روح مصر داخلها ، وأفني مشورتها فيسألون الأوثان والعارفين وأصحاب التوابع والعرافين، وأغلق على المصريين في يد مولى قاسي فيتسلط عليهم ملك عزيز يقول السيد رب الجنود.... وتكون عُمُدها مسحوقة وكل العاملين بالأجر مكتئبي النفس]

لاحظ معي هذا النص [وأهيج مصريين على مصريين . فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه . وتهراق روح مصر داخلها . .. كل العاملين بالأجر مكتئبي النفس]. أليس هذا هو الخراب الذي تجنيه مصر الآن في المنيا .. والأقصر .. وأسوان ؟.

«ب» كذلك فهي تتعامل مع عناصر التغير . إن أي مجتمع قوي لا يتوقف عن التطور والمتابعة الجادة والمستمرة في التعامل مع المتغيرات المتجددة . عناصر التغيير في أي مجتمع لا تعدو ثلاثة : الشباب والعقول والقيادات. الشباب بطبيعته متحفز. والعقول وظيفتها الحقيقية هي التجديد والإبداع. والقيادات لا تصير كذلك إن لم تكن مستعدة لأن تقود المجتمع في مسالك جديدة تسمح بحل مشاكلها دون أن تفقد تقاليدها. إسرائيل عملت بطرق مباشرة وغير مباشرة على شلّ العناصر الثلاثة (في حياة المجتمع المصري)

ثانياً : عزل مصر عن المحيط العربي

في بداية هذه المرحلة لعب الرئيس السادات على هذا العنصر لتحقيق هدفين : «الأول» إقناع إسرائيل والولايات المتحدة بجدية في تلك السياسة. «الثاني» اكراه القيادات العربية على محاسبة النفس ومعاودة التفكير. الذي حدث هو أن الجانب العربي لم يفهم الدرس وانطلق في سياسة المكابرة والعناد. وهكذا انطلق الرئيس السادات في سياسة هي بطبيعتها خطوة تكتيكية فأحالها إلى خطة استراتيجية. إسرائيل انتفعت بذلك ووسعت شقة الخلاف بجميع وسائلها. تارة باسم حماية الواقع القائم وتارة باسم مفاهيم الأمن القومي الإسرائيلي وتارة باسم روح اتفاقية كامب ديفيد، عملت بطريق مباشر بوضع مصر في كفة الدولة المعادية للمحيط العربي . بل وصلت في هذا إلى حد التوريط . فمناحيم بيجين يجتمع بالرئيس السادات في الاسماعيلية ويدعو الصحافة لتستمع إلى تصريحات أساسها الصداقة والتعاون مع مصر الجديدة وهو قد أصدر أمره بتدمير المفاعل النووي بالقرب من بغداد وسوف يقدر لطائراته أن تخرج للاعتداء السافر في الأيام التالية لذلك اللقاء . وهو أمر سوف يتكرر في مواقف متعددة منها تعامل اسرائيل مع لبنان . بل أن اسرائيل لم تتردد في أن تعلن أن معنى اتفاقية كامب ديفيد[1] التخلي عن ميثاق التعاون العسكري والدفاع المشترك بين مصر والدول العربية .

---

(1) لقد تقدم أربعة من ضباط الجيش المصري، بمذكرة إلى الرئيس السادات يوم أول أكتوبر 1978 وذلك بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد ليبينوا له الأضرار الناجمة من التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد فقالوا : [إن الاتفاقية – إطار السلام في الشرق الأوسط – ليس فيها ذكر ضمان لانسحاب الجيش الإسرائيلي من الضفة أو غزة أو القدس ؛ وبالعكس أكد بيجين أن الجيش الإسرائيلي باق إلى ما لا نهاية في تلك المنطقة . وأنه بعد فترة انتقال لا تزيد عن ثلاث سنوات سوف ينتهي الحكم العسكري والإداري الإسرائيلي فيها.

ثم قالوا : وبتوقيع إسرائيل / مصر اتفاقيتي كامب ديفيد تكون اسرائيل قد حققت هدفها وفرضت أساساً معيناً وطريقة معينة يلتزم بها كل من يريد التفاوض معها مما يعطي مفهوماً جديداً = ←

ثالثا : خلق الشلل في وظيفة مصر الاقليمية(1)

كان المفهوم السائد في القيادة الإسرائيلية العمالية، هو تطبيق مبدأ شد الأطراف. ومن ثم فقد اعتقدت تلك القيادة أن خير سياسة يجب أن تتبع هي خلق روابط وثيقة متجانسة أساسها التحالف الضمني مع العواصم الثلاث : طهران ، أنقرة ، ثم أديس أبابا. وهو تحالف تسيطر عليه ثلاثة مبادئ :

= ←— لقراري (242 , 338) يتلاءم مع أهداف اسرائيل وتفسيراتها لهذين القرارين، والمخالفة للمفهوم العربي، ومفهوم كل المحافل الدولية، الأمر الذي يُضعف حجة الجانب العربي] . راجع كتاب "لعبة الأمم والسادات . محمد الطويل – الزهراء للإعلام العربي طبعة أولى عام 1988 صـ 522 : صـ 530، الفقرة أولاً صـ 524 والنقطة سادساً صـ 525 أما ما جاء في صـ 528 بالنسبة للاتفاقية الثانية، النقطة رابعاً : فنقول : [إن ما جاء في هذه الاتفاقية يتناقض مع ميثاق جامعة الدول العربية، وما يتضمنه من اتفاقات « دفاع مشترك » واتفاقات ثقافية ومعاهدات اقتصادية، ومشروعات تكامل اقتصادي بين هذه الدول .... ويدعوا ذلك إلى كثير من التساؤلات التي نجد من الصعب الإجابة عنها ...] .

. ولكن القيادة لم تستجب وها نحن نحصد نتائج الاستبداد بالرأي ، وعدم قبول الشورى في قضايا الأمة المصرية .... فهل نعتبر ؟.

(1)قال تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ يس/30 . لقد حذر بعض ضباط الجيش المصري الرئيس أنور السادات ، ومن النتائج الخطيرة التي يمكن أن تجنيها مصر من وراء خروج مصر من المواجهة مع العدو الإسرائيلي ؛ وخروجها عن الإجماع العربي بل والإسلامي في مواجهة الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين . وقد نشر هذا التحذير في كتاب « لعبة الأمم والسادات » مصدر سابق .صـ 526 في الاتفاقية الثابتة من اتفاقيات كامب ديفيد النقطة أولاً :

1- تخلي مصر عن مسئوليتها التاريخية قبل الأمة العربية في موقفها المصيري، رغم أن مصر بحكم الواقع والدستور جزء من الأمة العربية، ورغم أنه لا غنى للأمة العربية عن مصر.

2- أن خروج مصر المفاجئ قد أحرج الأمة العربية ، وأضعف شوكه دول المواجهة ضعفاً خطيراً يعجل احتمال سقوط مصر فريسة للضغط الإسرائيلي الأمريكي.

3- أن خروج مصر من المعركة أضعف مصر نفسها في مواجهة القوة الإسرائيلية المدعمة بلا حدود من الولايات المتحدة الأمريكية.

4- أنه لا يمكننا أن نتصور مستقبلاً مشرقاً لمصر منفصلة عن الأمة العربية التي تتكامل فيها مقومات الثروة والمصير.

5- لقد كان عزل مصر عن الأمة العربية هدفاً يحاول أن يحققه الاستعمار الصهيوني من فرض سيطرته العسكرية والاقتصادية والسياسية على المنطقة تحت مظلة القوة الأمريكية العاتية المتحالف معها.

. فلماذا ركبت القيادة المصرية رأسها ولم تستجب لنصائح قادة الأمة وعلمائها إن عدم الاستجابة ترتب عليه هذا الواقع المحزن الذي تحصد فيه الأمة رعاة ورعية ثمار السياسة الخاطئة والبقية تأتي ... ولا حول ولا قوة إلا بالله .

«المبدأ الأول» علاقات ثنائية بين تل أبيب وكل من هذه العواصم الثلاث .

«المبدأ الثاني» خلق التجانس بين المصالح الإسرائيلية والمصالح الأمريكية بحيث أن العلاقات الاسرائيلية تماثلها وتتوازي معها علاقات أمريكية مع دول الأطراف الثلاثة .

«المبدأ الثالث» تكتل ثلاثي ؛ من ثم ضد المنطقة العربية، وبصفة خاصة ضد الوظيفة الاقليمية لمصر : تل أبيب واشنطون طهران أولاً، ثم تل أبيب واشنطون أنقرة ثانياً، وأخيراً تل أبيب واشنطون أديس أبابا . المايسترو الذي يحرك هذه التحالفات هو إسرائيل ولكن باستقلال تام في كل تطبيق عن الآخر مع المشاركة الثابتة للولايات المتحدة .

مجموعة متغيرات جعلت إسرائيل تعيد النظر في هذه السياسة . فمن جهة فان كلا من هذه الدول الثلاث بدأت تَبْرز في الساحة على أنها بديل أو مساند لإسرائيل في علاقة الولايات المتحدة بالمنطقة فإيران لها وزنها، وشاة إيران يؤمن بأن عليه تقنين وظيفته لصالح الولايات المتحدة. وكذلك الحبشة ودون الحديث عن تركيا. كيسنجر بدأ يفكر في توسيع فكرة الأعمدة المتعددة لمساندة النفوذ الأمريكي، حيث لا تصير إسرائيل وهي تمثل السند
الوحيد. وهكذا برزت «أولاً» : فكرة تحويل قبرص إلى قاعدة أمريكية، «ثانياً» : وفكرة الاستفادة مما تقدمه شبه جزيرة سيناء من إمكانات استراتيجية، «ثالثاً» : والاعتماد الحقيقي على القدرة الايرانية مع استغلال الموقع الاستراتيجي، «رابعاً» : توسيع دائرة التعامل مع تركيا ليس كعنصر من عناصر الحلف الأطلنطي، بل وكقاعدة متقدمة لحماية القواعد الخلفية للقيادة الأمريكية في المملكة العربية السعودية وحولها . بدأت عندئذ إسرائيل تعيد النظر في استراتيجيتها ورغم أن الوثائق لا تسعفنا بهذا الخصوص إلا أننا نستطيع أن نتصور المتغيرات :

أ) فإسرائيل تريد أن تصير السند الوحيد للولايات المتحدة في المنطقة، وهي لذلك عقب مجئ ليكود إلى السلطة وبتوافق تام مع فلسفة ليكود نجدها تسير في هذا الاتجاه بأدلة مادية. ويكفي أن نتذكر حادثة ضرب المقاومة في تونس ثم قتل رجلها الثاني أيضاً في تونس، إن هذا لم يكن سوى رسالة لواشنطون لذلك الذي تستطيع أن تفعله تل أبيب في المنطقة .

ب) وهي من ثم تسعى لأن تضعف علاقات واشنطون بأى من هذه الدول الثلاث. بدأتها بتركيا، وما أعقب قصة قبرص وبرود العلاقات الأمريكية التركية لم يعد خافياً على أحد . ثم أعقبتها بالحبشة حيث لعبت الورقة اليسارية دورها الحاسم . ثم اكتمل ذلك التطور بإيران والورقة الإسلامية بدورها لعبت دوراً أساسياً .

جـ) وهي تريد أن تجعل هذه الدول الثلاث مساندة لها في التدخل في المنطقة العربية. الحبشة في قرن أفريقيا، وبصفة خاصة في حوض النيل ، تركيا في كل من العراق وسوريا، إيران في منطقة الخليج. أنها تقدم بهذا المعنى لتحرك اقتصادي يرتبط بالأهداف الإسرائيلية في المدى البعيد نسبياً وسوف نرى ذلك تفصيلاً فيما بعد .

د) وهي كذلك تسعـــى لخلق الصلة المباشـــرة بين العواصم الثلاث : طهران وأنقرة وأديس أبابا، وذلك تمهيداً لخلق اطار يحيط بالمنطقـــة العربية ويحصـــرها بين (كماشة) ضخمة تمتـــد من أقصى المشـــرق إلى الشمـــال من جانب والجنـــوب من جـــانب آخـــر .

هـ) وهي تجعل هذا النفوذ وسيلتها لتقفز إلى ما هو أبعد . فإيران مقدمة للقفز إلى أفغانستان، وبصفة خاصة إلى الباكستان، حيث تُحدِّثُنا بعض الأنباء المتسربة عن تعاون خفي بين تل أبيب ودولة القنبلة الاسلامية. أديس أبابا مقدمة للقفز إلى دول باب المندب العربية، وبصفة خاصة من جانب دولة اليمن الجنوبي ومن جانب آخر دولة زائير بحيث تستطيع أن تَشُلَّ مصر وتحاصرها في أفريقيا .

المتغير الأساسي والحقيقي في كل هذا الإدراك هو الرغبة الثابتة في شَلّ دور مصر الاقليمي بكل ما تعنيه هذه الكلمة » .

ثم يتساءل الكاتب عن دور مصر الإقليمي .. والحضـــاري .. والقيـــادي .. فيقـــول : « لا توجد سوى مصر تستطيع أن تؤدي دوراً اقليمياً معيناً بحيث تقول كلمتها في كل ما يحدث في الاقليم، وتتحدث في علاقة الاقليم بالإطار الدولي باسم ذلك الاقليم. فهي **بكثافتها السكانية** وقدرتها التكنولوجية لا توجد أي قدرة أخرى تستطيع أن تنافسها، ويدعم ذلك **موقعها الاستراتيجي** حيث تتوسط المنطقة وبفضل **قناة السويس** وقدرتها على أن تتحكم في باب المندب فهي قادرة على أن تتحكم في جميع التعاملات بين أجزاء هذه المنطقة. المنطقة لا توجد فيها سوى كيانات هشة وإن وجدت بعض القدرات التي تستطيع أن تُناوئها كتركيا والباكستان، فهي تقع على الحافة بعيدة عن القلب لا تملك القدرات الاستراتيجية التي تملكها مصر. إسرائيل تعمل على نزع هذا الدور الاقليمي أو شلَّه بحيث أنها هي التي تأتي وتدعم من خلاله وجودها وسيادتها .

ومن ثم فإلى جانب تفريغ مصر من جميع عناصر القوة وعزلها عن محيطها العربي، يصير حِصَارها في كل موضع تعودت أن تمارس فيه وظيفة قيادية منطلقا طبيعياً لاكمال عملية التخريب. وإذا كانت سياسة (مناحيم بيجين) لم تستطع تطويع الارادة الشعبية المصرية من الداخل، وتطبيع علاقاته مع دولة وادى النيل فإن سياسة خلفائه التي أساسها العمل على شَل القدرة والفاعلية المصرية بأي معنى من معانيها هو منطلق آخر لتحقيق

نفس الهدف. ويجب أن نعترف بهذا الخصوص، أنها أي السياسة الاسرائيلية فعلا نجحت : لقد استطاعت أن تغسل **عقول الطبقة المثقفة**. واستطاعت أن تخلق أدواتها في داخل مصر وخارجها تارة بوعي حقيقي وتارة بلا وعي . واضحينا نعاصر عمليات دق الطبول وزف القيادات والرقص على الحبال، وتلميع التفاهات في مصر وخارج مصر .

وانتقل الكاتب بعد ذلك الحديث عن سياسة إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط فقال : « ليكتمل هذا الاطار، لابد أن ننتقل إلى دائرة أكثر اتساعاً من علاقات تل أبيب بالقاهرة، وهي التي تدور حول سياسة إسرائيل في علاقتها بمنطقة الشرق الأوسط . هذه الناحية في حاجة إلى وقفة تأمل بما يعنيه ذلك من تفصيل في كثير من الجزئيات، ولكننا في هذا الاطار الذي حددناه والمتعلق مؤقتاً بسياسة إسرائيل مع مصر يجب أن نتوقف أمام ثلاثة عناصر أساسية :

«أولاً» توريط دول المنطقة القوية ،

«ثانياً» تدعيم تجزئة دول العالم العربي ،

«ثالثاً» البدء بإنشاء إسرائيل الكبرى ،

سوف نترك جانبا المفهوم الجديد والذي أساسه أن اسرائيل لم تعد في نظر قيادتها دولة غربية تنتمي إلى الحضارة الأوروبية، وتمثل امتداداً طبيعياً لتلك الحضارة وإنما هي دولة شرق أوسطية ليس فقط بحكم الوجود المكاني بل أيضاً بحكم الانتماء الحضاري . هذه الناحية التي تملك أبعاداً عديدة سياسية واقتصادية في حاجة إلى دراسة على حدة . ولكن الذي يعنينا هو أن هذه النظرة ارتبطت وتفاعلت مع سياسة إسرائيل نحو المنطقة . فهي أولاً تعمل بوسائل معقدة على توريط الدولة القوية . وربطت مصر في اتفاقيات كامب ديفيد(1). ثم أوقعت الأسد في مستنقع لبنان . وأكملت الطوق بدفع العراق للصدام مع

---

(1) راجع في ذلك كتاب « لعبة الأمم والسادات » مصدر سابق صـ 522 : صـ 530 والذي ذكر أن أربعة من ضباط الجيش المصري وجهوا خطاباً للرئيس السادات في أول أكتوبر 1978 بعد التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد يوضحون له كيف تورطت مصر بسبب هذه الاتفاقية [والضباط الأربعة هم عبد اللطيف البغدادي – زكريا محي الدين – حسين الشافعي – كمال الدين حسين] .

. ولكن الرئيس السادات لم يستجب لهم .

نموذج من هذا التوريط : الوثيقة رقم 6

من بيغن إلى كارتر

17 ايلول – سبتمبر 1978 = —>

إيران في حرب استغرقت ثمانية أعوام، وهي لا تزال عامرة بجميـــع الاحتمـــالات. الناحية الثانية المتعلقة بتجزئة دول العالم العربي، بل جميع دول العالم العربي دون استثناء . ذلك الذي يحدث في لبنان هو نموذج لما سوف يحدث خلال الأعوام القادمة في جميع الدول العربية . ويكمل ذلك البدء الجدي في انشاء اسرائيل الكبرى . غزو لبنان وضم جنوبه ليس سوى خطوة سوف تعقبها خطوات أخرى . إسرائيل تسير في سياسة توسع واضحة أفقياً ورأسياً . التوسع الأفقي بالضم استعداداً لمرحلة الضـــم الرأسي حيث يحدث من جانب هضم ذلك الذي تم الاستيلاء عليه ومن جانب آخر لعمليـــة تهويد كلية وشاملة .

حدث ذلك نسبياً في منطقة الضفة والقطاع، وســـوف يحدث غداً في جنوب لبنان والبقيـة آتية . وهنا يجب أن نتذكر أن الانسحاب من سيناء محدود الدلالة .

«أولاً» فسيناء لم يُنظر إليها في أي مرحلة من تاريخ الصهيونية على أنها جزء من أرض إسرائيل الموعودة .

«ثانياً» أن الانسحاب جاء نتيجة ضغط أمريكي وكما سبـــق ورأينا حدث في لحظة كانت تفكر فيها واشنطـــون بخلق قواعد مستقلـــة عن إسرائيـــل؛ لتســـاند الوجود الأمريكي في المنطقة .

«ثالثاً» أن الانسحاب لا يعني عدم امكانية العودة(1) . وهذه ناحية أخرى سوف نعود لتفصيلها في موضع آخر » .

= —> سيدي الرئيس

لي الشرف أن أبلغكم ، سيدي الرئيس ، إنه في 28 حزيران – يونيو – 1967 أعلن البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) موافقته على قانون ينص على الآتي ، « أن الحكومة مخولة بمرسوم أن تطبق القانون والتشريع والترتيبات الإدارية للدولة على أي جزء من « ارتيز إسرائيل » (أرض إسرائيل– فلسطين) كما ورد في المرســـوم . وعلى أساس هذا القانـــون أصدرت الحكومـــة الإسرائيلية مرسوماً ، في تموز (يوليو) 1967 ينص على أن القدس هي مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم ، وهي عاصمة دولة إسرائيل .

باخلاص

التوقيع : مناحيم بيغن

هذه الوثيقة من ضمن الوثائق التي تم التوقيع عليها في اتفاقيات كامب ديفيد

المصدر : راجع كتاب اتفاقات السلام المصرية الإسرائيلية في نظر القانون – محمد خضـــر الرفاعي – دار الجليل – عمان صـ 153 : صـ 195.

مصدر الوثائق (اتفاق كامب ديفيد واخطاره – عرض وثائقي صـ 12 : 16 (مؤسسة الدراسات الوثائقية سلسلة الدراسات رقم 50 بيروت الطبعة الأولى 1978.

(1) راجع كتاب قراءة في فكر علماء الاستراتيجية وآخرين. د. جمال عبد الهادي المبحث الثالث صـ41 للمفكر روجيه جارودي حيث ينقل عن المنظمة الصهيونية مقالها عن «حلم إسرائيل الكبرى» فقال (استعادة سيناء بثرواتها هدف ذو أولوية، ولكن اتفاقات كامب ديفيد تحول الآن بيننا وبين ذلك .. لقد حرمنا من البترول وعائداته واضطررنا للتضحية بأموال كثيرة في هذا المجال، ويتحتم علينا الآن استرجاع الوضع الذي كان سائداً في سيناء قبل زيارة السادات المشئومة، وقبل الاتفاقية التي وقعت معه عام 1979 .

ثم تحدث الكاتب عن العلاقة الأمريكية المصرية فقال :

« فهم السياسة الاسرائيلية في المنطقة، يفرض التعرض ولو بإيجاز للمبادئ المسيطرة على التعامل الأمريكي مع مصر . إن التطور الحقيقي الذي أصاب هذا التعامل هو التغير في النظرة الأمريكية خلال فترة الخمسة عشر عاماً الماضية والذي خضع للتأثير الصهيوني لتتبلور هذه النظرة حالياً حول عناصر معينة تدعو القيادات المصرية إلي القلق الحقيقي .

مبادئ السياسة الأمريكية في التعامل الحالي مع مصر، تدور حول أربعة عناصر أساسية :

«أولاً» سيادة مفهوم التوتر والاضطراب في مصر .

«ثانياً» استخدام إسرائيل كأداة أساسية في السياسة الأمريكية في المنطقة بما في ذلك علاقة واشنطون بمصر .

«ثالثاً» معاملة مصر على أنها حظيرة لكلاب الحراسة وليس أكثر من ذلك .

«رابعاً» إخضاع التعامل الاقتصادي مع مصر لنفس فلسفة التعامل مع الدول المحيطة بجنوب أفريقيا » .

وفصّل الكاتب حديثه على النحو التالي : «**المفهوم الأول** وهو يعكس تطوراً خطيراً في السياسة الأمريكية كشف عنه رجل المخابرات الأشهر قبل وفاته «كونسالين» في وثيقته المعروفة باسم «القادة الحقيقيون للعالم» . لقد كانت الفكرة السائدة المسيطرة على الإدراك الأمريكي هي ضرورة السعي نحو تحقيق نوع من الاستقرار في المنطقة . إن هذا لصالح

عملية الاستثمار واستنفاد ثروات المنطقة . وهي لذلك الدبلوماسية الأمريكية لم تكن تتردد في التعامل مع أسوأ النظم السياسية طالما كانت قادرة على تحقيق درجة معينة من الاستقرار . النظرة الجديدة والتي مبعثها الادراك الاسرائيلي مختلفة . خلق درجة معينة من عدم الاستقرار والاضطراب الذي لا يصل إلى حد الثورة أي عدم الاستقرار والاضطراب المنضبط . هو خير استراتيجية يجب أن تُتْبع . أنها تسمح بضبط الحركة والاكراه على الاهتمام بالمنزل الداخلي .

العنصر الثاني والذي هو محور السياسة الأمريكية، أن العلاقة بين اسرائيل وواشنطون لم تعد مجرد علاقة توظيف؛ بل أضحت علاقة عضوية حيث تصير إسرائيل مقدمة الحربة للسياسة الأمريكية . إسرائيل لن تصير مجرد دولة في المنطقة ولكنها تصير

الدولة التي تمارس وظيفة المنطقة في اطار التوازن الاستراتيجي العام . وهكذا لن تصير فقط أداة واشنطون للتحكم في دول المنطقة بل سوف تصير أداة واشنطون لاستخدام المنطقة سواء لمواجهة القدرة السوفييتية أو في التعامل مع أوروبا الجديدة لصالح الولايات المتحدة وبصفة عامة هي أداة الامبراطورية الأمريكية في منطقة شرق البحر المتوسط .

العناصر الأخرى ليست في حاجة إلى ايضاح مؤقتاً » .

ثم انتقل الكاتب بالحديث عن السياسة الإسرائيلية خلال الأعوام القادمة (منذ عام 1989) فقال : «ما نريد أن نطرحه بصراحة ووضوح هل تؤمن اسرائيل بسياسة مستقبلية في الأعوام القادمة تتفق مع مفهوم السلام ؟ الاجابة عن هذا السؤال بالتفصيل هي هدفنا من هذه المقالات المتتابعة ولكننا نستطيع مؤقتاً أن نحدد النقاط الآتية :

«أولاً» **اسرائيل تستعد لحرب قادمة**(1) والتقارير الصادرة عن مراكز الدراسات الاستراتيجية في تل أبيب وغيرها تحدد ميعاد تلك الحرب حول عام ١٩٩٥. لماذا ؟ لأسباب معينة سوف نعرض لها بالتفصيل .

«ثانياً» أن الحرب القادمة سوف تذكرنا **بالانفجار النازي** الذي لم يترك دولة في أوروبا دون أن ينالها من تلك الحرب الرذاذ . كذلك فإن هذه الحرب لن تترك دولة واحدة من دول الشرق الأوسط دون أن تتعامل معها . بل أنها قد تقود إلى مفاجآت محورها تحالف بين إسرائيل والدول غير العربية في تمزيق خريطة المنطقة العربية .

«ثالثاً» أنه في انتظار هذه الحرب هناك خطة معينة قد بدأ في تنفيذها للإعداد لميدان المعركة .

«رابعاً» أن القيادة الاسرائيلية التي سوف تتحكم في هذا التطور ليست القيادة السياسية الحزبية ولكنها القيادة العسكرية المهنية .

فهل تستطيع مصر أن تقف ازاء ذلك التطور موقف السلبية ؟ وماذا تستطيع أن نفعل ؟

---

(1) في ضوء هذا نستطيع أن نفهم التحالفات العسكرية وغيرها بين العدو الصهيوني و (تركيا واليونان وأريتريا وأثيوبيا وأوغندا وحلف الأطلنطي وأمريكا ، والاتفاق الإستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية).

تعقيـــب :

إن ما ختم به الكاتب مقاله، يعتبر صيحة تحذير للأمة، علّها تنتبه !! وتعد العدة لمواجهة هذا الخطر الاستعماري الصهيوني الكاسح الذي يرفع شعار السلام لتخدير مشاعر الأمة ، حتى يتمكن من تحقيق أحلامه . وهذا التحذير أيضاً قد ورد على لسان : أستـــاذ الاستراتيجيـــة الشاملـــة – بأكاديميـــة ناصـــر العسكرية – تحت عـــنوان [هل يمكن لإسرائيل أن تقيم سلاماً] وذلك في كتابه النظام السياسي في إسرائيل . الطبعة الثانية عـــام 1992 الناشـــر دار الوفـــاء للطباعـــة والنشـــر . المـؤلف لواء أ.ح.د فوزي محمد طايل صـ 306 : 311 حيث يقول : « قامت إسرائيل على أيدي مقاتلي عصابات مسلحة ، وأقامت هيكل الدولة على أساس أنها " أمة مسلحة " ومزجت في المستعمرات بين " الزراعة والدفاع " . وجعلت من " نظرية الأمن " أسلوباً لإدارة الدولة ، وأقامت نظاماً للحكم ، يوصف بأنه " ديمقراطية الدولة المعسكر " .

" Garrison State democracy "

وجعلت اقتصادها اقتصاداً عسكرياً " قلباً وقالباً ، وجعلت من فكرة "الخطر الدائم" الوسيلة الرئيسية لإحداث التماسك الاجتماعي ، وأفرز مجتمعها " نخبة عسكرية خالصة " وربطت بين "الهجرة والاستيطان والاغتصاب بالقوة "»[1]

فإسرائيل كما يقول " بن جوريون " « لا يمكن أن تبقى إلا بقوة السلاح »[2] ولا غرو " فغاية الدولة " تحقيق اسرائيل الكبرى بحدودها التوراتية " " من نهر مصر إلى نهر الفرات " وهي غاية يستحيـــل بلوغها دون قتال وطـــرد المزيـــد من أهـــل البـــلاد[3]، وحكم العالم من "القدس" بعد بناء " الهيكل " لا يتصور إلا وأن يكون على أنقـاض" المسجد الأقصى " !! وإذا كان الأمـــر كذلك .. فمـــا بالنا نجد اســـرائيل وقـــد حرصت على عقـــد

---

(1) تمزج إسرائيل في المستوطنات التي يقيمها المهاجرون الجدد ، في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بين مهاجرين مدنيين يلبسون الملابس العسكرية ، وعسكريين من الوحدات الخاصة يلبســـون ملابس مدنية .

(2) لئن كانت هذه العبادة تعد بمثابة استراتيجية ثابتة « لحزب العمل » ، من عهد " بن غوريون " حتى عهد " رابين " ، فإن التمسك بها من قبل " ليكود " أشد ، ومن قبَـل الأحزاب الدينية هو الأكثر تشدداً .. راجع Ben Gurion, years of change, Loc, Cit, P. 211

(3) من سيناريوهات القضاء على الانتفاضة الفلسطينية، في الفكر الإسرائيلية، تحويلها إلى حرب ==>

ما يسمى " مؤتمر السلام " وهي أحرص ما تكون على استمراره مهما حدث ؟ وما بالنا نجد إدارة " كلينتون " في أمريكا – والتي ستتولى رسمياً في 20 يناير 1993 – تجعل استمرار هذه المباحات هدفاً من أهدافها ذات الأولوية ؟ ، والإجابة يسيره فإسرائيل في حاجة إلى ثلاث سنوات بحد أدنى قد تصل إلى أربع سنوات لاستقبال مليون مهاجر ، أو يزيد (حتى عام 1996/1995م) ، واستيعابهم، والاستفادة من امكاناتهم في المجالات التكنولوجية ، والعسكرية بصفة خاصة ، فضلاً عن تهيئة الظروف الدولية والاقليمية لجولة جديدة يتحسبون أن تكون مع المسلمين كافة في هذه المرة، وليس مع العرب فحسب كسائر الجولات السابقة.

***وقد يدلنا على هذا عدد من الأقوال والتحركات :**

* في حديث "لسيمحادينيتص " رئيس الوكالة اليهودية، أجراه معه "شلومو أراو" لجريدة نيوزويك ، الصادرة يوم 12 أغسطس 1991م ، سئل " دينيتص " عن مدى ما تزيده الهجرة الحالية للقدرة العسكرية الإسرائيلية فأجاب : أنه لا يتوقع حدوث حرب خلال السنوات الخمس القادمة بالذات، وأن اسرائيل دولة صغيرة، لذا فإنها ستستخدم " قوتها الچيوبوليتيكية " في المرحلة القادمة . هذا على حين نجد الجنرال "رحفعام زعيفي " يقول في حديثه – سابق الإشارة إليه – أنه لا يرى أن جيل أبنائه سوف يستطيع أن يعيش في سلام !!

* وجه " يتصحق شامير" حديثه يوم 31 أكتوبر 1991 في مؤتمر مدريد إلى الحضور ، ثم إلى الكافة موضحاً ومطالباً ما يلي :

لا يمكن قيام سلام حقيقي بدون معالجة " هذه " المواضيع الاقليمية وحلها . والمقصود هنا، موضوعات " المباحثات متعددة الأطراف " التي سبق أن أوضحنا موقف اسرائيل منها، وأنها لا تعدوا تهيئة المسرح العالمي والمسرح الإقليمي لحركة اسرائيلية شاملة تالية، لن تخلو من استخدام للقوة.

= ⟵ أهلية بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وهضبة الجولان (التي يسكنها الآن 11000 يهودي و 15000 آخرون معظمهم من الدروز) ، على غرار حرب 1948م. يتم أثناء ها طرد الفلسطينيين تجاه الأردن وسيناء ، وإقامة حزام أمني في كلا الاتجاهين : (شرق الأردن – ومن شرم الشيخ حتى العريش) ، وتأكيد سيطرتها على هضبة الجولان التي يخططون لإسكان 31000 يهودي بها خلال الأعوام الثلاثة القادمة .. وقد تم رصد 168 مليون دولار من احتياطي الميزانية (وافق عليها الكنيست يوم 23 أكتوبر 1992م) لبناء مستوطنات هناك.

* ضرورة اعتراف كل العرب بإسرائيل، وإيقاف كل الحملات الإعلامية ضدها، والتعامل معها على أساس قبول إسرائيل " ككيان ثابت في المنطقة "
* قال : " إنني أناشدكم إلغاء "الجهاد" ضد اسرائيل(1)
* وأناشدكم شجب "ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية" ... أي التسليم الكامل بفكرة إسرائيل الكبرى.. وقد قامت المنظمة بهذه المهمة في باريس في شهر مايو 1989 عندما وصف الميثاق بأنه "لغو" "Caduc" !!
* وأدعوكم إلى شجب التصريحات التي تدعوا إلى القضاء على إسرائيل مثل ذلك التصريح الذي صدر عن مؤتمر الرفض في طهران (في الأسبوع المنصرم) .. ويبدو أن الأمر سيكون أبعد من مجرد شجب .. مستعينة ببعض حلفائها، توجيه ضربة عسكرية إلى إيران ، نيابة عن إسرائيل، شبيهة بما حدث ضد العراق عام 1991م .. وقد لا ينصرم عام 1993 دون حدوث هذه المحاولة ، التي بدأ التصعد تمهيداً لها بالفعل ، فصرح " يتصحق رابين " ورئيس أركانه "إيهود باراق " أن إيران هي أكبر التهديدات الموجهة لاسرائيل في الوقت الحالي، وهددوا بالحيلولة، بالقوة دون امتلاكها لقدرات نووية.
* وفضلاً عن هذا فقد صدرت التصريحات الأمريكية التي توضح نواياها فقد جاء إعلان "بل كلينتون" يوم 20 نوفمبر 1992 غاية في الصراحة إذ قال : إن أولى مهامه بعد تسلمه مهام الرئاسة في يناير القادم ستكون " ضمان دعم " النظم العلمانية الديمقراطية " ومنع انتشار أسلحة التدمير الشامل وحرمان الدول العدوانية من تخزين وحيازة وإنتاج الأسلحة ".
* إننا نناشدكم أن تمكنوا اليهود الراغبين في الخروج من بلادكم من تحقيق رغباتهم . كانت هذه رسالة موجهة إلى سوريا كي تدفع مقدماً ثمن الانسحاب الجزئي الـــذي

---

(1) الجهاد قيمة اسلامية عليا، وهو ذروة سنام الأمر الذي جاء به محمد ﷺ وقال عنه [الجهاد ماض إلى يوم القيامة] ، وقال : [ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل] .. ومع ذلك خرج عدد من الكتاب – الذين يصعب وصفهم – يطالبون إلغاء كلمة الجهاد واستبدال كلمة أخرى بها (راجع مقال الأستاذ فهمي هويدي الأهرام يوم 1991/12/14 ، ولقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية – مستخدمة بعض الدول الإسلامية – حذف لفظ الجهاد من مقررات مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في "داكار" عام 1991.

قد تقوم به معظم القوات الاسرائيلية الموجودة بالجولان، في اطار ترتيبات أمن وإنذار تسمح بتواجد أمريكي دائم هناك .

* بدأت سوريا إجراءات تهجير اليهود[1] ، وتابعت الولايات المتحدة الأمريكية المطلب الإسرائيلي . وأعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في مطلع شهر مايو 1992 أن السفارة الأمريكية في دمشق لديها تعليمات بمتابعة تنفيذ السلطات السورية لقرار الرئيس السوري "حافظ الأسد" السماح لليهود السوريين السفر إلى الخارج.

* وفي مقال رئيسي للدكتور "هنري كيسنجر " بصحيفة "لوس انجيلوس تايمز" في أوائل شهر أغسطس 1992 – بعد تشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة برئاسة "رابين" – عرض التصورات الاستراتيجية المستقبلية لإسرائيل ، فدعا إلى ما سماه "الأرض مقابل كسب الوقت" ، واستثمار الفرص المتاحة على الوجه الأمثل .. دون التورط في مشاريع تستهدف سلاماً نهائياً.

هذا هو الفكر الصهيوني الأصيل[2] . فليس هناك ما يردع إسرائيل كي ترد الحق لأصحابه، أو تقلع من سياسة العلو في الأرض والإفساد. بيد أن الحقيقة هي : أن إسرائيل غير مستعدة حتى عام 1996/1995م . لخوض حرب متسعة النطاق، فهي تحتاج هذه الفرصة للإعداد والاستعداد، كي تدخل مرحلة تفوق في خطورتها وأهميتها « إعلان دولة إسرائيل » منذ قرابة أربعين وخمس سنين خلت .

* إن قادة الصهيونية بصفة عامة، والإسرائيليين بصفة خاصة، لا يرون تناقضاً بين عرض السلام في الوقت الذي يعدون فيه لاستخدام القوة، بل إنهم لا يرون أن أي اتفاقية للسلام – بما في ذلك الاتفاقية الإسرائيلية المصرية – ليست سوى مجرد نصوص لوقف مؤقت لإطلاق النار .. لا تعدو قيمتها قيمة قصاصة من الورق ، وإن قيمتها الحقيقية ستظهر أثناء الحرب القادمة !!

---

(1) يوجد بسوريا 4000 يهودي ، كانت سوريا قد اشترطت أن تتم هجرتهم إلى أي مكان خلاف اسرائيل .. " وما الفرق ؟ "

(2) يتساءل "كيسنجر صاحب استراتيجية" الخطوة خطوة " في مقاله هذا " أليس التسويف مما يُلَبِّي مصالـح اسرائيل على النحو الأفضل ، ولو لمجرد أن العرب سـوف يقبلون غداً ما يرفضونه اليوم " .. ثم تكون مفاوضات جديدة .. وهكذا .

ومن جهة أخرى فإن الفكر الإسرائيلي في مجملة لا يرى في التحرك الدبلوماسي وسيلة مجدية، فهناك من التناقض بين الأطراف ما يجعل العناق غير مرغوب فيه، وغير موثوق به. فالحوار بين الطرفين هو دائماً كحوار الطرشان [1]

* فإسرائيل لا تجد من يَحدّ من أوهامها وتطلعاتها للهيمنة على العالم، والعلو والإفساد في الأرض. وهي بجلبها المستمر للمهاجرين اليهود تحتاج أرضا جديدة، وتحتاج إلى مزيد من المياه والشباب والأطفال الإسرائيليون يُنَشَّئُون على أن إبادة الشعوب المجاورة وإخضاعها وتحريقها، وطرد أهل الأرض التي يحلون فيها رويداً رويداً، وعدم جواز قطع عهد مع غير اليهود .. الخ .. هي من أمور العقيدة الواجب ترسيخها في الوجدان، اتقاء لغضب الرب، وحتى لا يكون تركها وبالاً عليهم فيشردوا من جديد فإن عليهم ألا يقيموا سلاماً[2].

* إن إسرائيل تعد العدة لحرب قادمة بعد استكمال حجم معين من الهجرة، وقد قدم "معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى" وهو معهد صهيوني / أمريكي على مستوى عال، دراسة عن الحرب القادمة بعنوان {The Future Battle Field and Arab Israeli Cenflict}[3]

وصدق الله تعالى إذ قال﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ الإسراء/104 وقال جل شأنه متوعداً بأن يبعث عليهم عباداً لله أولي بأس شديد ليجوسوا خلال الديار ... فقال سبحانه ﴿ .. وإن عدتم عدنا .. ﴾ الإسراء/8

---

(1) Raymond Choen, Loc, Cit, p.p. 160 - 174. & Reharxvam Zeevi, A Home for palestinians Newsweek, November 1990, p. 56

(2) مافتئ قادة إسرائيل يهددون بالحرب الإسرائيلية الشاملة القادمة ضد الدول العربية، ومن هذه التهديدات : . تصريح الجنرال "موشيه باركوخيا" في 1990/6/4م. . تهديد "إيهود باراق" رئيس الأركان العامة في 1991/8/5 . تهديد كل من "أريل شارون" وزير الإسكان، و "موشي أرينز" وزير الدفاع يوم 1991/8/29 . تهديد "ديفيد عبري" مدير عام وزارة الدفاع في 1992/4/14. وأخيراً . تهديد "موردخاي غور" نائب وزير الدفاع، يوم أول أغسطس 1992 ... وفي يوم 1991/6/20م صرح "إيهود باراق" للتليفزيون الإسرائيلي بأنه قد تم عرض خطة الحرب القادمة على مجلس الوزراء.

(3) Hirsh Good man & W. Seth Carus, .. Transaction publishers, New Jersey, 1990, 218 ps.

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال : [لن تقوم الساعة حتى تكون حرب بين المسلمين واليهود فيختبئ اليهودي وراء الشجر والحجر فيقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي خذه فاقتله] . حديث أخرجه الإمام مسلم.

وقد لا يكون هذا إلا بعد بلوغهم "غاية العلو والإفساد في الأرض .. ألا وقد اقتربوا .."

* كما أن اللواء فوزي طايل رحمه الله قد ذكر بأن العدو الصهيوني قد جهز لجولة سادسة فقال نصا [ليس من قبيل الإغراق في استقراء الأحداث المستقبلية ، أن نتحسب لجولة عدوانية اسرائيلية سادسة في عِقد التسعينات ، وعلى الرغم مما يسمى "خطة بوش" للسلام في الشرق الأوسط ، فإن كل المؤشرات تدل على أن الجولة السادسة سوف تقع حتماً .. بل إنها وشيكة الحدوث .] (راجع مجلة استراتيجيا العدد 109 نوفمبر – ديسمبر 1991 صـ 28 .

* وهذا ما يؤكده روجية جارودي في كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " ومحاورات جارودي القاهرة " الطبعة الثانية ، الناشر دار الغد ، صـ 287 :

سؤال : د. مصطفى محمود : أحب أن أنقل لك شعور كاتب اسلامي يمثل كل الاسلاميين في مصر. والسؤال يدور حول شعورنا أن المسرح يعد في منطقتنا لمواجهة عسكرية قريبة وأن إسرائيل ومن ورائها أمريكا سوف تحسم أطماعها عسكرياً فهل يشعر جارودي معي أن الاحتمال وارد ، أم أنها هموم مبالغ فيها ؟

الجواب : جارودي : " أعتقد أن إسرائيل ستكون مفجراً لحرب عالمية جديدة ، ولن يكون لهذه الحرب سمات الحروب العالمية السابقة.

فالحروب السابقة وقعت بين الدول الغربية وكانت بمثابة حروب أهلية في إطار النظام الرأسمالي. الحرب الجديدة ستكون حرب حضارات بين الشمال الرأسمالي وبين الجنوب، وسوف تلعب إسرائيل في هذه الحروب دوراً حاسماً وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي فإن الولايات المتحدة تبحث عن شيطان آخر تبرر به هيمنتها وتدخلها واستعمارها. فتحت ستار محاربة الشيوعية كانت الولايات المتحدة تتدخل في الدول التي تبعد على الأقل عشرة آلاف كيلو متر عن حدودها. الشيطان الجديد الذي عثرت عليه أمريكا هو "الإسلام" الذي تسميه الإرهاب. وبخاصة في الدول الإسلامية البترولية التي لا تقع تحت سيطرتها. مثل إيران – ليبيا – وأعتقد أن أول حرب ستكون ضد إيران. وعندما اجتمع قادة الإرهاب. في شرم الشيخ حدد شيمون بيريز الهدف الجديد مدعياً إن إيران هي مصدر الإرهاب بكافة أشكاله في العالم دون أن يقدم دليلاً على ذلك " .

* كما أن الخطوات العملية التي اتخذها العدو، إعداداً للجولة المرتقبة على مسرح العمليات المرتقبة.

فهناك سيطرة قد تمت على القرن الأفريقي احتلال لحنيش الكبرى، وقواعد عسكرية إسرائيلية في أرتيريا، وفتح جبهة مع السودان العمق الاستراتيجي لمصر. وهيمنة اقتصادية على قطر. وتواجد استعماري عسكري في البحر الأحمر والخليج والمحيط الهندي، وبعض بلدان العالم العربي واتفاقات عسكرية استراتيچية، ومناورات مشتركة مع تركيا واليونان وأمريكا في صحراء النقب وغير ذلك.

* فهل كل ذلك لمجرد التهويش ؟ أم أن العدو قد بَيَّت النية على شئ لا نريد أن نفكر فيه !! وعلى كل .. عند جهينة الخبر اليقين.



المقالـــة الثانيـــة

" فلسفـــة إسرائيـــل الجديـــدة وموقعهـــا فـــي منطقـــة الشـــرق الأوســـط "

تحت هذا العنوان كتب المؤلف -رحمه الله- « نحن لا نريد سوى أن نفهم ما يجري حولنا . تعود كيسنجر أن يقول : حصافة رجل الدولة الحقيقي هو أن يسير في اطار أساسه صحة توقعاته ، ونحن قد مضى علينا وقت لم نقتصر فيه على عدم القدرة على التوقع، بل واضحينا نتهرب من رؤية الواقع، بل وتصل في بعض الأحيان إلى الكذب على أنفسنا والتضليل في حقيقة ذلك الواقع . نريد الحقيقة كما هي دون أي مغالطة ودون تغليف الحقيقة بما يجردها من مضمونها الواقعي .

ماذا يحدث في إسرائيل وإلى أين تسير القيادة الاسرائيلية ؟

يخرج علينا من آن لآخر من يشوه الحقيقة يحدثنا عن تطور في إسرائيل وعن قوى سياسية تتعاطف مع قضيتنا وعن تجاوب في بعض الدوائر، . فما هي حقيقة هذا التطور؟ وممن يصدر هذا التعاطف ؟ هل هو من قوى لها وزن في الخريطة السياسية ؟ هل هو عملية تخدير من منطلق مبدأ توزيع الأدوار ؟ أسئلـــة كان يجب أن يطرحها المسئولون بصراحة ووضـــوح ولكن من أين لهـؤلاء القدرة على التفكير العلمي الواعي الدقيق ؟ ولا نريد أن نُتَّهـــم بأكثر من ذلك .

عودة إلى موضوعنا؛ نعتقد أن النقطة الأولى التي يجب أن نبدأ بها في هذا التحليل تدور حول محور أساسي : حقيقة الفلسفة السياسية التي تسيطر على الإدراك الإسرائيلي الحاكم، والتي منها تنبع جميع عناصر التعامل مع مشكلة الشرق الأوسط أو بعبارة أدق

برز لأول مرة مع مناحيم بيجين أثنـــاء زيارتــه للقاهــرة كلمـــة تركت تمــر دون تعليـق عندمـا وقف أمام أهــرامات الجيزة وقـــال : «هؤلاء أجدادنا بناة الأهـــرام[1]» . هـذه العبارة لم تكن عشوائية وإنما هي تعبير عن نظرة جديدة وقناعة جديدة هـي التي تسود الطبقة الحاكمة الاسرائيلية منذ عام ١٩٧٧ والتي أساسـها أن اسرائيل ليست امتداداً للحضارة الغربية في المنطقة العربية وإنما هي دولة شرق أوسطية بحكم التواجد أولاً والتاريخ ثانياً وهي من ثم من حقها ليس فقط التحكم في هذه المنطقة بـل وقيادتهـــا تعبيـــراً عن الوظيفـــة التاريخية للمجتمع اليهودي. وقد ترتبت وارتبطت بذلك نتائج عديـــدة سواء من حيث التخطيـــط للحـركة أو من حيث التعامل الاقتصادي .

فما معنى ذلك ؟ وما هي خلفياته ونتائجه على التعامل مع مصر ؟

قبل أن ننطلق في تحليل هذا المحور الخطير الذي على المخطط للسياسة الخارجية المصرية أن يكون واعياً به، علينا أن ندفع ببعض الملاحظات التي يجب أن تكون واضحة في الذهن منذ البداية :

«الملاحظة الأولى» أن التوليفة الحاكمة في إسرائيل تعكس انقلاباً حقيقياً . هذا الانقلاب هو التعبير عن وصول القوى المحافظة إلى السلطة واستقرارها في السلطة إلى فترة لن ترى في الأمد القريب نهايتها . القوى الحاكمة في الوقت الحاضر في تل أبيب هي توليفة بين اليمين التقليدي والقوى الدينية، وتتوسطها المؤسسة العسكرية، لا يعنينا هل هو ليكود أم تعاون بين ليكود وآخرين، أو كتلة العمل، وحتى لو قُدِّر لحزب الماباي وحده أن يحكم أنه لم يعد ولن يعد في الأمد القريب سوى عنصر من بين عناصر هذه التوليفة، التي هي تعبير عما يحدث في العالم الغربي من تطور نحو مفهوم اليمين الجديد . هذا اليمين الجديد هو المتربع في السلطة في الولايات المتحدة وفي مجموع دول أوروبا الغربية، بل وإلى حد معين في الاتحاد السوفييتي . ليس هذا موضع تحليل معنى اليمين الجديد ولكن لنا عودة لذلك .

---

(1) راجع جريدة الوفد يوم الخميس 9 أكتوبر 1997 نشرت مقالاً بعنوان «إسرائيل تعرض الآثار المصرية والعراقية المسروقة تحت عنوان (آثار أرض التوراة) في النمسا». وأن تل أبيب استعدت لهذا المعرض منذ عامين، « نتن ياهو » رئيس الوزراء الإسرائيلي قد افتتحه وسط دعاية إعلامية مكثفة، وهذا المعرض يدعمه 58 هيئة نمساوية. وقد ذكرت نفس الجريدة أن المغزى المراد من وراء المعرض هو طرح شعار من النيل إلى الفرات على المستوى القضائي بعد أن شاع -ولايزال- سياسياً . فإذا كانت "أرض التوراة" هي هذه الأرض التي يصورها المعرض بمقتنياته من العراق إلى مصر مروراً بالشام فإن تلك المساحة كلها ، وبالتالي هي أرض إسرائيل .

* أنظر كتاب "أهداف إسرائيل في البلاد العربية" اللواء الركن محمود شيت خطاب .

«الملاحظة الثانية» أن من يصنع القرار حتى في داخل الكنيست هو من يمثل هذه القوى الثلاث، لجنة الأمن القومي، والسياسة الخارجية لا يستطيع أن يجلس فيها من لا ينتمي إلى أحد الأحزاب(*) الكبرى الثلاثة : حيروت، وكتلة ليكود، حزب العمل، الحزب الديني أو كتلة المفدال . أما من عدا هؤلاء فلا وجود لهم في تلك اللجنة، وهي التي تشارك في صنع سياسة إسرائيل الخارجية . الكنيست يصوت ولا يناقش، هذا تقليد لم تعرفه إسرائيل فقط منذ فترة قصيرة بل منذ وجود إسرائيل حتى اليوم .

«الملاحظة الثالثة» علينا ألا ننسى أن إسرائيل تلجأ إلى تنفيذ سياستها إلى مبدأ توزيع الأدوار . فعندما تجد السلطة المسئولة موقفها متعنتاً أو صلباً أو غير مقبول من الطرف الآخر تدفع بقوة جانبية للأخذ بزمام الموقف لتليين الطرف الآخر أو لقيادة العمل الدبلوماسي . حدث هذا مع الاتحاد السوفييتي، والكتلة الشيوعية أعقاب حرب عام 1967؛ حيث تولى حزب(1) الماباي وظيفة التعامل الخارجي المباشر . كذلك مع الدول الأفريقية تقدم «الهستدروت» يأخذ بيده بزمام الموقف . بل في الصين، نجد الموساد (أي جهاز المخابرات) هو الذي يتولى تنفيذ سياسة إسرائيل الخارجية، وهو اليوم يحدث أيضاً مع مصر . ولذلك لا يجوز أن تخدعنا بعض تصريحات أو تعبيرات متعاطفة . يجب أن نتساءل : ممن تصدر هذه التصريحات؟ وما هو وزنها الحقيقي في خريطة القوى السياسية المتحكمة في إسرائيل؟

وهل هي مرتبطة بدور معين محدد مسبقاً من حيث الزمان والمكان والهدف؟

(*) راجع كتاب "النظام السياسي في إسرائيل، اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل – دار الوفاء للطباعة والنشر عام 1992 صـ 103 الفصل الرابع – الأحزاب السياسية . فيقول [ولا يعبر كثرة الأحزاب في إسرائيل عن انقسام حول هوية الدولة أو غايتها ، ولا حتى عن انقسام "أيديولوجي" حاد داخل النظام السياسي] ثم يتبين للقارئ أن في إسرائيل خمسة أنواع من الأحزاب وكل نوع يتفرع منه أكثر من أربعة أحزاب .. لذلك يقول فوزي طايل صـ 136 [معنى ذلك أن هناك أكثر من عشرين حزباً ، وأن الأحزاب السياسية كلها بمثابة أجنحة في حزب واحد صهيوني هدفه تحقيق إسرائيل من "الفرات إلى النيل" ، ومن نهر الأردن للبحر المتوسط وتكون عاصمتها الموحدة "القدس" التي يعاد فيها بناء الهيكل على أنقاض الأقصى . فاعتبروا يا أولي الأبصار .

(1) حزب الماباي : هو حزب العمل في إسرائيل حصل على 46 مقعداً عام 1949 ، وعلى 45 مقعداً عام 1951 ، ثم على 40 مقعداً عام 1955 وفي انتخابات عام 1959 حصل على 47 مقعداً، وهبطت حصته من المقاعد عام 1961 إلى 41 مقعداً . (راجع النظام السياسي في إسرائيل) اللواء فوزي محمد طايل صـ 110 – مصدر سابق .

«الملحوظة الرابعة» أن إسرائيل تعاصر حالياً مرحلة من التمركز في السلطة لم تعرفها في تاريخها، ومرد ذلك أن الطبقة العسكرية التي تمثل قيادة المؤسسة العسكرية ليست تلك الطبقة التي تعودناها . لقد تعودنا رجالاً وسياسيين أو مشبعين بالمفاهيم الأيديولوچية وصلوا إلى القيادة العسكرية عن طريق انتماءاتهم السياسية . موشى دايان نموذج واضح . اليوم لم يعد لذلك مجال، فالمؤسسة العسكرية يقودها مهنيون، هم عسكر تمرسوا على مهنة القتال منذ طفولتهم ونجحوا في ذلك دون أن يرتبط هذا النجاح بتفوق مماثل في قناعاتهم السياسية، بل ويغلب ألا تكون لهم انتماءات حزبية . الدولة بمفهومها الحقيقي اكتملت حيث أضحت مؤسسات ثلاث تعكس الوظيفة القومية، ولا تشتـرك في المهاتـرات الحزبيـة : **الجامعة، الجيش، والأداة الدبلوماسية** . هذه القوة الجديدة التي حللها لنا أكثر من دارس هي المحور الحقيقي للتطور الذي تعيشه إسرائيل » .

وانتقل الكاتب ليعرف بعلاقة الشرق أوسطية بدولة إسرائيل فقال : « ما معنى اسرائيل دولة شرق أوسطية ؟

في خطبة «لشاريت» أمام الأمم المتحدة منذ قرابة ثلاثين عاماً عرّف حقيقة إسرائيل ووظيفتها في العالم المعاصر . وهو لم يكن في هذا سوى بوق يعكس أفكار قائد الدولة الصهيونية بن جوريون . إسرائيل هي دولة غربية . إنها امتداد للحضارة الأوروبية إنها الرضيع الذي وضعت جذوره القدرة والحضارة والتقاليد التي تنتمي إلى أوروبا ذات التقاليد الواضحة في منطقة الشرق الأوسط إسرائيل تدافع عن هذه الحضارة وتحمل علم هذه الحضارة . إنها واحة الديمقراطية في صحراء التخلف . ما هي الحضارة الغربية في أبسط مفاهيمها ؟ ثلاثة عناصر متكاملة . ديمقراطية للنظام السياسي . احترام لكرامة وحرية الإنسان . سيادة لمنطق العقلانية والعلمانية في آن واحد . هذه هي المفاهيم السائدة في الصهيونية العمالية .

وليكتمل هذا الاطار وضوحاً علينا أن نعود إلى تقاليد الصهيونية السابقة، على إنشاء إسرائيل . لقد وجد في تلك التقاليد بغض النظر عن المفاهيم الصهيونية تقليدان : أحدهما اشتراكي وثانيهما يميني . **«الأول»** يستمد تقاليده الأولى من التطور اليهودي في شرق ووسط أوروبا، وهو الاتجاه السائد والذي يمثله بن جوريون . **«الثاني»** الذي برز في الثلاثينات والذي يستمد تقاليده الحقيقية عن الدولة العلمانية من جانب وايطاليا الفاشستية من جانب آخر، يوصف بالاتجاه التصحيحي . حمل لواءه جابوتنسكي، واستطاع في لحظة معينة أن يخلق مدرسة متكاملة مختلفة عن التوجه الأول . لا تعنينا التفاصيل والتطور التاريخي بقدر ما يعنينا جوهر هذا التوجه الفكري .

«أولاً» فهو خلافاً للمدرسة العمالية، يجعل من الدين اليهودي هو المحور الحقيقي للصهيونية . الصهيونية هي لغة اليهودية في القرن العشرين . العلاقة بين التوجه السياسي والتقاليد الدينية ليست علاقة توالد؛ ولكنها علاقة ترابط بحيث أن كلاهما وجه آخر لحقيقة واحدة . على العكس من ذلك فإن التوجه الاشتراكي يرى في اليهودية أحد مصادر الصهيونية. الصهيونية هي حصيلة تطور اندمجت فيه عناصر أربعة : قيم اشتراكية، عنصرية، قومية، ثم تعاليم وتقاليد يهودية . وهكذا الصهيونية تصير تزاوجاً بين مصادر أربعة فرضت عليها التطورات التاريخية الاندماج، لتكون نموذجاً جديداً للوجود الانساني اليهودي . وبعبارة أخرى الدين اليهودي يصير أحد عناصر التكوين للصهيونية في التطور الاشتراكي، بينما يصير هو والصهيونية حقيقة واحدة في التصور الآخر . الدين اليهودي بتعاليمه هو المحور الحقيقي للحركة الصهيونية . من العبث الحديث عن العلمانية في الدول العبرية .م

«ثانياً» ويرتبط بذلك النظرة **إلى الاستيطان اليهودي**[1] **في أرض فلسطين**، فهو في هذه النظرة التصحيحية أي نظرة جابوتنسكي وتابعيه تعبير واضح عن جهد

---

(1) راجع كتاب "النظام السياسي في إسرائيل. فوزي محمد طايل - مرجع سابق صـ278 حيث يقول : وترجع قصة الهجرات والاستيطان هذه إلي دراسات صهيونية أجريت في أواخر الستينات وكانت تقدر أن ضم إسرائيل للضفة الغربية ونهر الأردن وقطاع غزة سوف يؤدي إلى أن يشكل العرب عام 1990 نسبة 45% من إجمالي السكان في إسرائيل مضافاً إليها هذه الأراضي الأمر الذي يعرض إسرائيل لحرب أهلية (الذي حدث بالفعل في شكل الانتفاضة التي بدأت في ديسمبر 1987) . لذا ارتفعت أصوات صهيونية تعارض ضم الضفة الغربية وقطاع غزة في هذه المرحلة الزمنية خوفاً من حدوث هذا الخلل (الديمغرافي) ، وكان الخيار الآخر هو السير قدماً لتوحيد ما اطلقوا عليه أرض إسرائيل (إرتص يسرئل) على أن يصحب هذا الخيار أمران :

الأول : جلب هجرة مكثفة من الإتحاد السوفيتي قدروها بـ 400,000 ألف يهودي قبل عام 1990 على أن تستوطن الأراضي التي احتلت بعد عام 1967.

الثاني : طرد الفلسطينيين وتشجيعهم على الهجرة الاختيارية النهائية إلى خارج فلسطين فيما أطلقوا عليه "عملية المغناطيس العكسي" ... ثم قال في صـ 279 : وتتوقع وزارة الاستيعاب والهجرة الإسرائيلية وصول من 100 : 120 ألف مهاجر حتى عام 1993 .

* ولقد حذر أربعة من ضباط الجيش المصري الرئيس السادات (في حينه) من خطورة ما يجري في هذا الشأن راجع كتاب "لعبة الأمم والسادات" مصدر سابق صـ 524 النقطة ثالثا حيث قالوا : [لم يأت ذكر لوقف عملية انشاء المستعمرات الإسرائيلية (وكلها غير مشروعة) ..... وبذلك يمكن أن تستمر عملية تغيير الأوضاع السكانية في هذه المناطق لمصلحة إسرائيل] .

* راجع كتاب حوارات القدس - عماد الدين أديب - كتاب اليوم عدد يناير 1997 صـ 56 تحت عنوان "سيناريو التهويد" قالت د. حنان عشراوي : [هناك خطة مدروسة متكاملة لتفريغ القدس من الفلسطينيين المقدسين ولجلب إسرائيليين يهود إلى القدس . وذلك لإحداث خلل أو عدم توازن (ديمغرافي) في القدس وبشكل مدروس إسرائيل تقوم بإخلاء القدس عن طريق الضرائب ، منع البناء ، هدم البيوت ، خاصة حي المغاربة القديم ، عن طريق جعل الحياة للمقدسين الفلسطينيين مستحيلة أو شبه مستحيلة .]

استعماري أنه ليس مجرد مشكلة خلق اطار للتطور الطبيعي للوجود اليهودي، في شكل دولة قومية كما يحدث بالنسبة لجميع المجتمعات المعاصرة التي وصلت إلى مستوى معين من الاقتناع للقدرة الذاتية . وهذا ما يقوله هرتزل وأبناؤه، وإنما هو امتداد للحركة الاستعمارية التي نشأت وتبلورت في علاقة العالم الغربي بالعالم المتخلف والملون خلال قرنين من الزمان . ورغم أننا سوف نرى فيما بعد كيف أن جابوتنسكي وبصفة خاصة خلفاءه لن ينظروا إلى إسرائيل على أنها امتداد للحضارة الغربية، إلا أنه فقط في هذه الناحية يرى هؤلاء أن هناك علاقة وثيقة بين التراث الأوروبي وإنشاء إسرائيل. عملية إنشاء إسرائيل في ذهن جابوتنسكي هي إعادة بناء مملكة إسرائيل وهذه المملكة هي الشئ الوحيد الذي يصير انجازاً حقيقياً للسياسة الأوروبية في الشرق الأوسط .

«ثالثاً» مملكة اسرائيل[1] . يجب أن تشمل كنقطة بداية كل ما يتصل بفلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني أولاً وأن تستوعب ضفتي نهر الأردن الغربية والشرقية من جانب آخر . إن فكرة التدرج في انشاء اسرائيل وفي اعلان النوايا الحقيقية للصهيونية لا موضع لها . على الحركة الصهيونية أن تعلن منذ البداية أهدافها الحقيقية وعليها أن تنطلق في انشاء دولة اسرائيل التاريخية هي تلك التي حددتها المصادر التوراتية .

«رابعاً» وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ليس أمام الشعب اليهودي سوى استخدام القوة[2] . القوة والعنف بجميع تطبيقاته . أن العنف هو الذي يقود إلى الخلاص القومي . ليست هناك دولة لم تنشأ إلا بحد السيف . والصراع العسكري هو مرحلة أساسية في البناء القومي حيث ينتقل الشعب من السلبية إلى الإيجابية هذا الصراع هو وحده الذي يكسب الشعب احترام الذات . فقط الصراع والألم والعنف والدماء هو الذي يثبت للشعب ازاء نفسه أنه جدير بأن يرتفع إلى مستوى الأمة .

---

(1) مملكة إسرائيل وهم افتعله اليهود، راجع في ذلك كتاب إسرائيل بين اليهودية والصهيونية (ترجمة حسين حيدر)، الناشر دار التضامن - بيروت طبعة أولى 1990 صـ25 . ولابد أن نعلم أن العدو لا يؤمن بمبدأ السلام، من أجل هذا يغتصب المزيد من الأرض ومن أجل هذا، فتح باب الهجرة أمام اليهود من شتى بقاع العالم إلى الأرض المحتلة؛ ومن أجل هذا يجري بناء المستوطنات أي تهويد الأرض، أي تغيير ديمغرافية السكان والأرض. هل كان علينا أن ننتظر طيلة هذه السنوات منومين مخدرين وقد صممنا الآذان عن نصائح العلماء التحذيرية: من أهمية إعداد القوى المعنوية والمادية لمواجهة الخطر الصهيوني الاستعماري. هل كان علينا أن ننتظر طيلة هذه الفترة حتى نؤمن بأن العدو لا يريد السلام ؟ .

(2) العدو الصهيوني لا يعرف السلام وهذا بنص التوراة حيث تقول (أرجلهم إلى الشر تجري، وتسرع إلى سفك الدم الذكي. أفكارهم أفكار إثم. في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام =

«خامساً» وتبعاً لذلك فالخلاف بين الصهيونية العمالية، والصهيونية التصحيحية، أيضاً فيما يتعلق بالسياسة الخارجية واضح ودقيق . وسوف نرى كيف يعود هذا الخلاف ليسيطر على القيادة الإسرائيلية عقب مجئ مناحيم بيجين إلى السلطة .

الاشتراكية الصهيونية كانت تنظر إلى السياسة الخارجية على أنها علاقة بين الأهداف والأدوات، في علاقة منطقية ثابتة، وبعبارة أخري فهو يختار الأهداف لتتوافق مع الأدوات المتاحة. الصهيونية التصحيحية لا تؤمن بذلك، بل ترى ضرورة أن الأهداف تفترض وقد تحددت دون اعتبار بالإطار الدولي أن تسعى لتغيير ذلك الإطار الدولي تبعاً لتلك الأهداف وليس العكس . أنها يجب أن تكون قادرة، أي الصهيونية، على أن تغير من الاطار الدولي ولو في لحظة معينة وبالديناميكية الكافية ليتقبل تلك الأهداف .

«سادساً» جابوتنسكي كان مقتنعاً بأن العالم العربي أكذوبة، وأن منطقة الشرق الأوسط لا يوجد بها سوى عالم اسلامي**القومية العربية** هي اختراع خلقه الوهم الغربي . ومن ثم فإن اطار الصراع ليس هو الصدام العربي الاسرائيلي ولكنه التصادم الاسلامي الشرقي مع الصهيونية السياسي[1] . في داخل هذا الاطار فقط يتحدد هذا الصراع . وهنا يجب أن نتذكر أن جابوتنسكي عاش في الدولة العثمانية وقبل تصفيتها مع الحرب العالمية الأولى . وترسبت في ذهنه حقيقة ثابتة وهي أن طيلة الفترة الممتدة من المؤتمر الصهيوني الأول حتى تفجير الامبراطورية العثمانية ورغم الضعف الحقيقي للدولة العثمانية فإنه لم تجرؤ أي قوة دولية على أن تتعامل بجدية مع أهداف الصهيونية .

= لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيه لا يعرف سلاماً). سفر أشعياء 4/59 : 8 .

طريقتهم لاستخدام القوة إنما تكون بعد إضعاف البلد – الوطن – الشعب الذي يريدون استخدام القوة معه. لأن طبيعة اليهود الغدر .. والخسة وإيقاع الشعوب بعضها مع بعض حتى داخل البلد الواحد.

قالت التوراة سفر أشعياء 3/19 (وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه، وكل واحداً صاحبه، مدينة مدينة، مملكة مملكة، وتهراق روح مصر داخلها .. وأفني مشوراتها ...) .

وهنا نذكر بالمقولة التي تقول [**وقطعت جهيزة قول كل خطيب** : فالعلماء وأهل الاختصاص حذروا الأمة في حينه من أن العدو الصهيوني لم يقتنع بما اغتصبه من أرض العالم العربي، بل يرنوا ببصره إلى اغتصاب المزيد من أرض الأمة تحقيقاً لحلم (أرض التوراة من النيل إلى الفرات) وأن العدو يري أن السبيل الوحيد لتحقيق هذا الحلم هو استخدام القوي بكافة أشكالها سواء النووية التكتيكية أو الجرثومية أو الكيمائية. = ←

«سابعاً» ولكنه من جانب آخر كان يؤمن بسيادة أي حضارة أخرى على الحضارة الاسلامية . وصل به الأمر إلى نقد كل اتجاه يهودي، كان أساسه النظرة الرومانسية إلى الحضارة الاسلامية . ورغم تسليمه بأن العالم الاسلامي كان يمثل كيانا حضارياً واحداً إلا أنه كان يقع في مرتبة دنيا بالنسبة للحضارة الغربية . هناك مناقشة فقهية حول مصدر هذا التخلف في فكر جابوتنسكي : هل هو نتيجة لخصائص عنصرية تنتهي بسيادة العنصر الأبيض ؟، أم أنه مرتبط بمستوى التقدم الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة ؟ ولكن الأمر الذي يعنينا أن هذا التصور قاد إلى نتيجتين :

«الأولى» أن الصراع في المنطقة هو الصراع بين اسلام متخلف ويهودية متقدمة، وليس صراعاً بين قومية عربية وآخرى صهيونية . «الثانية» أن هذا الصراع حتمي لا يمكن التهرب منه .

«ثامناً» وتصل قمة فلسفة جابوتنسكي مع أحد اتباعه «ليفنيه» الذي وقف في صراع فكري عنيف مع وصف إسرائيل بأنها امتداد للحضارة الغربية . أن جوهر التاريخ الأوروبي هو استئصال اليهود فترة الحكم النازي . هذه هي حقيقة التاريخ . واستئصال اليهود من جانب قادة النازي سهلة، في واقع الأمر نوع من التواطؤ من جانب جميع الأمم الأوروبية وبغض النظر عن نظامهم السياسي . وهو يصل به الأمر إلى القول بأن فترة التعاطف على اليهود التي ميزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ليست الا لمحة من الزمن ولا يوجد ما يمنع من تصور فترة قادمة أكثر تعصباً ضد السامية .

= —> من أجل هذا يقوم العدو أيضاً بتخريب المجتمعات العربية من الداخل، من خلال إشاعة الفتن الطائفية، ومن خلال إشاعة الفرقة بين الحاكم والمحكوم، ومن خلال نشر الإيدز والمخدرات وإفساد الذمم، ومن خلال تدمير الاقتصاد (الزراعة – الصناعة – التجارة) ومن خلال الهيمنة العسكرية والإقتصادية، والتعليمية والإعلامية لطمس هوية الأمة الإسلامية، وضرب جدار المقاومة – العقيدة – وأيضاً من خلق شلل في وظيفة العالم العربي الإسلامي العالمي على اعتبار أنها حاملة رسالة خير أمة أخرجت للناس.

كل ذلك تمهيداً للغزو العسكري.

(1) راجع كتاب «إسرائيل بين اليهودية والصهيونية» روجية جارودي ترجمة حسين حيدر طبعة أولى عام1995 الناشر دار التضامن ص15 حيث يقول: [ويتم التحول الأدبي إلى الحقوقي، ومن الجدل السياسي إلى الحرب الدينية عبر التباس آخر.. وخلط آخر. فلا يكفي اللعب على الانزلاق غير المعترف به من الصهيونية الدينية إلى الصهيونية السياسية «مما يسمح بإضفاء القداسة على السياسة وجعلها أمراً محرماً لا يمكن تناوله» بل يجري اللعب على التطابق بين الصهيونية السياسية واليهودية لاتهام كل من ينتقد السياسة الصهيونية لقادة اسرائيل بمعاداة السابق .

هذه هي خلاصة سريعة وموجزة لفكر جابوتنسكي وتلاميذه . هذا الفكر الذي ظل بعيداً عن السلطة في إسرائيل خلال قرابة ثلاثين عاماً، هو الذي حمله معه إلى موقع القيادة مناحيم بيجين مع وصول كتلة ليكود إلى السلطة وهو الذي يسيطر اليوم على القيادة الاسرائيلية .

فما هي العناصر الواضحة في هذا الفكر والمسيطرة اليوم على الادراك القيادي الاسرائيلي بالتعامل في منطقة الشرق الأوسط وبصفة خاصة مع نظرية السلام كمحور للتعامل بين مصر وإسرائيل ؟

تطور مفاهيم جابوتنسكي والقناعة الجديدة في القيادة الاسرائيلية المعاصرة .

مع مجئ ليكود إلى الحكم واختفاء حزب العمل من السلطة حدث تطور خطير في القناعة القيادية وفي مفهوم ممارسة السلطة في أبعاد ثلاثة .

«الأول» عملية تهذيب المفاهيم التي سادت في إسرائيل خلال قرابة ثلاثين عاماً من حيث التعامل مع مشاكل إسرائيل السياسية في الداخل وتبويب وظيفتها في الخارج سواء كان ذلك بالنسبة للأبعاد الاقليمية لتلك الوظيفة أو لعلاقة اسرائيل بالولايات المتحدة .

«الثاني» هذا التهذيب لم يقتصر على أن يقدم لنا فلسفة جديدة، بل هي أقرب إلى الواقع الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الإسرائيلي . خطورة هذه الفلسفة الجديدة، أنها بلورت حقيقة القوى الجديدة بحيث يمكن القول بأنها تعبر بصدق عن حقيقة تلك القوى التي تسود الواقع الاسرائيلي وهي لذلك قد التصقت بهذا المجتمع بحيث يمكن القول بأنه حتى لو حدث ضعف أو اختفى حزب حيروت وكتلة ليكود، فان المفاهيم الجديدة سوف تظل سائدة إلى فترة غير قصيرة.

«الثالث» أن محور هذا التطور الحقيقي النظرة إلى إسرائيل على أنها دولة شرق أوسطية، وأنها تنتمي إلى هذه المنطقة عضوياً وحضارياً بما يعطيها من حقوق معينة ويضفى عليها شرعية معينة فيما يتعلق بوظيفة تلك الدولة في المنطقة .

فلنتابع هذه العناصر الثلاثة بشئ من التفصيل .

المفاهيم الجديدة التي بلورها حزب حيروت في القناعة القيادية الإسرائيلية .

هذا الإدراك والذي يستمد مصادره من مفاهيم جابوتنسكي، والتي سبق ولخصناها يستند بصفة خاصة إلى عنصرين أساسيين:**«الأول»** أن إسرائيل دولة شرق أوسطية و **«الثاني»**القناعة بأن الدين هو العنصر الأساسي، والمحور الأول والوحيد في تنظيم اطار التعامل مع منطقة الشرق الأوسط، كلاهما أي هذين العنصرين يكمل الآخر ومن هذا يتكون النسيج العام للسياسة الإسرائيلية الجديدة .

فلنتابع هذه العناصر قبل أن نحلل نتائجها .

«أ» أول هذه العناصر : أن إسرائيل دولة شرق أوسطية. هذا المفهوم يملك مصادر بعيدة. فمنذ الكلمات الموجعة التي وجهها ديجول إلى بن جوريون قبل حرب الأيام الستة، بدأ التفكير الجدي في كيف تستطيع إسرائيل أن تندمج في المنطقة لتصير وجوداً طبيعياً متجانساً مع دول المنطقة. وجاءت حرب 1967 وانتصاراتها العنيفة لتمنع ذلك التطور. لقد خرجت إسرائيل دولة منتصرة يملؤها الغرور. ولكن مع مجئ ليكود إلى السلطة لم تعد نظرة إسرائيل إلى دور الشرق الأوسط على أنها دول الجوار الجغرافي، أنها أكثر من ذلك. فإسرائيل دولة تنتمي إلى هذه المنطقة تاريخياً وحضارياً فضلاً عن ذلك الانتماء المكاني. أليست إسرائيل من حيث التاريخ إحدى دول المنطقة قبل أن تظهر في هذه المنطقة الدولة الإسلامية الكبرى؟ المنطقة هي أرض الأديان حيث نزلت فيها الأديان الكبرى اليهودية[1].

نزلت وتطورت في منطقة الشرق الأوسط. وإسرائيل هي أداة الدين اليهودي. وهل يستطيع أحد أن يلغي قصة التاريخ؟ وهي لذلك جزء من تاريخ هذه المنطقة الحضاري. الشعور بالانتماء الحضاري ظل يسيطر على المجتمع اليهودي في جميع مراحل تاريخه، بل ووُجدت عناصر يهودية ظلت في تلك المنطقة وهي تحافظ على ذلك الانتماء الروحي تدفع ضريبة ذلك بالدم والتضحية .

---

(1) إن الله سبحانه وتعالى قد تعهد للبشرية برسل خاتمهم محمد ﷺ يدعون إلى دين واحد هو الاسلام قال تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران/19 . قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران/85 . قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ المائدة/3 . فالفارق بين الرسالات كما يقول تعالى ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ المائدة/48 فاليهودية ليست دينا سماوياً وإنما هي بدعة ، كما أخبر بذلك الحافظ "ابن كثير" في تفسير القرآن العظيم قوله تعالى ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ...﴾ البقرة/42 فقال : (قال قتادة لا تلبسوا الحق بالباطل - يعني لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام ، إن دين الله الإسلام ، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله) .

* راجع مختصر ابن كثير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت المجلد الأول صـ 58.

* ولقد أرسل موسى عليه السلام بشريعة التوراة وهو مسلم قال تعالى ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ سورة يونس/84

هذه الطبيعة الشرق أوسطية، تضفي على إسرائيل طبيعة معينة، وتفرض عليها وظيفة حضارية معينة وترتب لها أيضاً حقوقاً معينة في مواجهة دول وشعوب المنطقة أقلها حق القيادة والتوجيه. السياسة الخارجية الإسرائيلية يجب أن تنبع من نظام القيم الجديد الذي ينطلق ويتأسس على هذا المفهوم .

«ب»**العنصر الثاني**: أن محور التعامل في المنطقة، ومع المنطقة هو العنصر الديني. ليس فقط بمعنى أن إسرائيل هي الدولة التي تحمل عبء الوظيفة السياسية لليهودية، بل كذلك بمعنى أن ما يسود هذه المنطقة هو الطبيعة الإسلامية للتصور الديني والسياسي. نتائج ذلك عديدة نذكرها بإيجاز لأنها تخرج عن نطاق موضوعنا الآن نسبياً:

(أولاً) أرض الأمة العربية ليست إلا وهما خلفه الإدراك الخاطئ من الجانب الأوربي.

(ثانياً)ورقة الاسلام هي العنصر الأساسي في عملية تفتيت المنطقة، يجب أن تُستغل إلى أقصى حد. مرد ذلك إلى القناعة بأن الدين متغير أساسي في الوجود السياسي. ومن ثم يجب توظيفه كمنطلق يسمح بالتسلل إلى المنطقة وذلك بأسلوب مزدوج: من جانب تشويه التراث الاسلامي، ومن جانب آخر خلق القناعة بعملية التواصل الحضاري بين ذلك التراث وأصوله اليهودية، خلق الجسور بعبارة أخرى بين التراث اليهودي وما يسمى بالحضارة الاسلامية يصير سلاحاً ذا حدين: فهو أداة لخلق الترابط وهو من جانب آخر وسيلة لاثبات فضل اليهودية على الاسلام. بل ولا يتردد البعض في الحديث عن المصادر اليهودية للقرآن .

(ثالثاً) ويرتفع هذا إلى القمة عندما يطلق علينا انصار هذا التصور ما يسمونه حوار الحضارات حيث يجب أن يتقابل الفكر الكاثوليكي والفكر الاسلامي ويتوسطهما الفكري اليهودي، الذي هو (وهو وحده) مصدر مباشر لكلا الاتجاهين. بل هو لا يقتصر على أن يطلق هذه الفكرة كبالون اختبار بل ينقلها إلى مشروع سياسي يرتبط بالقدس وينجح في خلق القناعة بها سواء لدى الرئيس السادات وسواء القيادات المسئولة في الفاتيكان.

سياسة اسرائيل الخارجية الجديدة ومقوماتها:

من هذا المنطلق تتبلور سياسة إسرائيل الخارجية التي بدأنا نعاصرها منذ عام 1977 وظلت في عملية تطور ثابتة لتتبلور حول عناصر أساسية مع عام 1982 وبصفة خاصة مع حرب لبنان.

ما هي عناصر هذه السياسة؟ تقوم على العديد من المبادئ، ولكن تعنينا من هذه الأصول خمسة عناصر أساسية تسمح لنا بفهم وظيفة اسرائيل الاقليمية في هذا النطاق:

(أولاً) هذه المفاهيم أن إسرائيل تملك نظاما جديداً للقيم؛ هو الذي يجب أن يسيطر على سياستها الخارجية، ويجب أن تنبع منه جميع تحركاتها. وسوف نعود إلى ذلك تفصيلاً .

(ثانياً) العالم العربي على استعداد لتقبل الوجود الاسرائيلي في المنطقة، العالم العربي لم يكره اليهود ولم يعرف مفهوم التعصب العنصري في مواجهة الشعب اليهودي، الذي هو مفهوم أوروبي. لقد صدر له من خلال مفاهيم التعامل السياسي في القرن العشرين. وهو اليوم في حاجة لأن يتعلم كيف يتقبل الوجود الإسرائيلي، وبصفة خاصة قيادة المنطقة من جانب الدولة اليهودية.

(ثالثاً) التعامل مع المنطقة العربية يجب أن ينبع من مفهوم القوة والعنف، ليس فقط لأن هذه المنطقة لا تفهم سوى هذه اللغة، وليس فقط لأن هذا هو أسلوب بناء الشعوب القومية، بل إن الحديث عن السلام لابد وأن يُضعف الموقف اليهودي. يجب على الجانب اليهودي أن يشجع الجانب العربي على التصلب الذي تقابله الهزائم العسكرية[1]، لأن العرب لن يتقبلوا الموقف إلا إذا فقدوا الأمل في القدرة على التصدي. وهذا هو الذي يُفسر مذابح صبراً وشاتيلا .

(رابعاً) الزعم بأن إيران ضد إسرائيل، ليس الا لغة غوغائية آن الأوان لاخضاعها لنظرة نقدية حقيقية: العلاقة بين إيران واليهود هي علاقات تاريخية، والصداقة بين الشعبين رغم أنها اجتازت مراحل متباينة إلا أنها تاريخية وقديمة. هناك ترابط حضاري بين الشعبين الفارسي واليهودي، يجب أن يعود إلى الحياة حتى ولو من منطلقات جديدة، وبمنطق جديد. هذه العلاقة أيضاً يجب أن تمتد إلى تركيا، بحيث يتم خلق مثلث يحصر في داخله منطقة الشرق الأوسط لصالح إسرائيل.

(خامساً) كذلك فإن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ليس محورها حاجة إسرائيل إلى الولايات المتحدة، وإنما هو حاجة الولايات المتحدة إلى إسرائيل. يجب من ثم أن يوجد تحالف بين الدولتين على قدم المساواة، بحيث أن علاقة تل أبيب بواشنطن يجب

---

(1) وهذا ما حدث عام 56 ، عام 67 لقد استدرج العدو الصهيوني الأمة العربية إلي حربين حدد زمانها ومكانها والأهداف التي تحقق من ورائها ، دون أن تدرك الأمة العربية خطورة هذا الأمر .

أن تسودها الندية. وهكذا كان التطور نحو التعاون الاستراتيجي ثم التحالف الحقيقي بين الدولتين، الذي تم في اطار هذه القناعة وهو أمر يبدو واضحاً منذ أن كان «مناحيم بيجين» يجلس في مقعد القيادة في الجانب الاسرائيلي «وهيج» لايزال مسئولاً عن السياسة الخارجية الأمريكية.

هذه المفاهيم الخمسة هي التي تسيطر على السياسة الخارجية الإسرائيلية. بقي أن نفصل في البعض منها وبصفة خاصة فيما يتعلق بثلاثة أبعاد:

أ) القيم الجديدة التي تسود صانع السياسة الخارجية الاسرائيلية.

ب) علاقة هذه القيم بالوظيفة الاقليمية للدولة اليهوديـــة.

جـ) أثر ذلك في التعامل مع مصر خلال الحقبة القادمة.

نظام القيم الجديدة والسياسة الإسرائيلية:

نستطيع أن نحدد هذه القيم بأربعة مثاليات تتابع تدريجياً :

(أولاً) إسرائيل هي دولة دينية تدافع عن القيم الأصيلة للدين اليهودي[1].

(ثانياً) إسرائيل تؤدي وظيفة حضارية، أوسع وأشمل من مجرد التعبير عن العلاقات بين اليهود والدولة العبرية.

(ثالثاً) إسرائيل هي قائدة منطقة الشرق الأوسط، تتحدث باسمها ومن حقها أن تسيطر على تلك المنطقة.

(رابعاً) إنشاء إسرائيل الكبرى عنصر آخر، ولكنه مستقل، عن وظيفة الهيمنة والسيادة على المنطقة. كل من هذه العناصر في حاجة إلى تفصيل.

إسرائيل ليست مجرد دولة لتجميع اليهود، ولكنها دولة تحمل راية القيم الدينية[2] اليهودية. إنها الدولة اليهودية، حيث القيم التقليدية لهذا الدين تجد مكانها الحقيقي وبحيث تستطيع هذه الديانة أن تُنَوع لتمارس وظيفتها التاريخية. وهي لذلك ليست فقط دولة المجتمع اليهودي إنها أكثر من ذلك. إنها الدولة التي يجب أن تؤدي وظيفة القيادة الحضارية. المجتمع اليهودي الذي تقيمه هذه الدولـــة ليس مجرد الشعب الذي ظُلم وضحي به ودفع ضريبـــة التطـــور نحـــو الكمال الروحي. أنه مقدمة الحضـــارة التي أن

(1) ، (2) سوف نقوم بالتعليق عليهما في نهاية المقالة تحت عنوان (تعقيب) .

لها أن تقود الانسانية لتهدي، وتوصل نظرة جديـدة في الحياة والوجود. إن حق العذاب يؤهل هذا الشعب لأداء هذه الوظيفة. والاختيار الإلهـي يعطي دولة إسرائيل حقوقاً معينة ويفسر ليس فقط حقها في السيادة على المنطقة، بل وحقها في أن تتحدث باسم المنطقة. إن واجبها أن تنظر إلى شعوب المنطقـة على أنها تجمعات متخلفة، وهي وحدها التي سوف تخرجهم من الجهالة.

وهنـا تبرز بوضوح كيف أن وظيفة مصر الاقليمية يجب أن تختفي لصالح وظيـفة اسرائيل الاقليمية. ولكن لا يوجد ما يمنع أنه خلال مرحلة أولى، يمكن توظيف مصـر إلى خـلق التسـرب في داخل المنطقة، وعقب أن يتـم ذلك تستأصـل تلك الاداة ويكون التعامـل مباشرة.

القوى المساندة والمؤيدة للسياسة الاسرائيلية الجديدة :

على أننا لا يجوز لنا أن نتصور أن هذه السياسة الجديدة محورها فقط الفكر التصحيحي المحافظ. إنها تعبير عن واقع اجتماعي واقتصادي يؤكد أنه حتى عقب اختفاء ليكود، أو رغم مشاركته للماباي في الممارسة السياسية، فان هذه السياسة سوف تظل هي المحور الحقيقي للسياسة الاقليمية لإسرائيل.

(أ)**فمن الناحية الاجتماعية** أو بعبارة أدق من حيث التطور الداخلي في المجتمع الإسرائيلي، هناك توافق تام بين هذه السياسة والواقع المعاصر الإسرائيلي. الواقع المعاصر الاسرائيلي محوره هو الزيادة الواضحة في عدد السكان الذين ينتمون إلى الأصل الشرقي، وهؤلاء يتميزون بالتعصب العنيف من جانب، وتدعيم السلوك الاستفزازي المبالغ فيه في مواجهة العرب. فالتحليلات الميدانية تؤكد أن اليهود من أصل شرقي، قد وصلوا في التعداد الذي أجري في أعقاب حرب لبنان إلى ضعف اليهود من أصل غربي. بل والملاحظ أن هناك تقارباً حقيقياً بين اليهود الشرقيين من جانب واليهود المتدينين؛ حتى لو كانوا من أصل غربي، ثم جيل الصابرا وهذا يفصح عن حقيقة التوجه السائد. ويلاحظ على هذا التوجه هو التشدد في التعامل مع العرب، وتفضيل أساليب العنف وعدم التحرك ازاء موجات الارهاب التي تمارسها السلطات الحكومية في مواجهة سكان الأرض الأصليين. موقفهم لم يتغير ولم يؤثر في تمسكهم بالتشديد في التعامل سواء حرب لبنان أو مذابح المعسكرات بل وحتي عقب نشر تقرير كاهان. أن الذي حدث من خلاف حول الرضاء القومي مرده فقط أمران :

من جانب عدم تحقيق الأهداف التي وُضعت في حرب لبنان، ومن جانب آخر الخديعة التي استخدمت في تقديم المعلومات إلى مجلس الوزراء.

(ب)**الناحية الاقتصادية** بدورها ذات موضع هام. إسرائيل تعلم أنها في حاجة في نهاية هذا العقد لتحتفظ بمستواها من حيث الرفاهية الذي حددته لنفسها، وهو مستوى دول جنوب أوروبا الفقيرة أي اليونان وأسبانيا، إلى معونة أمريكية تصل إلى حوالي ثلاثة وثلاثين بليونا من الدولارات والاقتصاد الأمريكي لا يستطيع أن يقدم هذه المساندة ؟ ولذلك على إسرائيل أن تكتشف لها مصادر أخرى.

التوجه الاقتصادي لتغطية هذا العجز في الأمد القريب نسبياً يتجه إلى أربعة مصادر:

أولاً : السوق الاستهلاكي المصري ليستوعبه ويستغل امكانياته.

ثانياً:سوق منطقة الشرق الأوسط الاستثماري حيث العوائد البترولية لابد وأن تثير شهية المخطط الصهيوني.

ثالثاً: السوق الدولي للسلاح وفعلاً بدأت إسرائيل بهذا الخصوص منذ فترة غير قصيرة جهدها وبصفة خاصة في الصين، التي بلغ حجم تعاملها حتى نهاية العام قبل الماضي أكثر من بليوني دولار. ثم السوق الإيراني دون الحديث عن أسواق أخرى أقل أهمية.

رابعاً: ثم السوق الدولي للخدمات وبصفة خاصة في دول العالم الثالث سواء في أفريقيا أو في أمريكا اللاتينية.

كل هذا يقود إلى طرح السؤال: **ما هي عناصر وما هو مستقبل وظيفة إسرائيل الدولية** ؟ تأسيساً على وجودها في قلب منطقة الشرق الأوسط؟

هنا يبرز بشكل واضح كيف لابد وأن يكون المنطلق الأول هو شَلّ وظيفة مصر الاقليمية والدولية وانتزاعها لصالح إسرائيل .... والحديث ذو شجون .

تعقيب :

* ولنا تعقيبات على بعض النقاط التي وردت في مقال الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع .

التعقيب الأول : فيما يتعلق بفكر "جابوتنسكي" صـ 33 سادساً مقولته (بأن العالم العربي أكذوبة) .

نقول : * العرب هم مادة الإسلام ، ولا يبغضهم إلا منافق لقوله ﷺ : [بغض العرب نفاق] خرجه الطبراني 146/11 وكان العرب لهم وجود في الجزيرة العربية ، وما وراءها قبل أن يكون لليهود وجود في هذا الكون .

* فإن (هود عليه السلام ، صالح عليه السلام ، وشعيب عليه السلام ، واسماعيل عليه السلام ومحمد ﷺ) أنبياء عرب ، وبعثوا في العرب ، قبل أن تقوم اليهود دولة في " 14 مايو 1948 " على أرض فلسطين المغتصبة .

* كما كان العالم العربي بدينه .. ولغته .. وشعوبه .. جزءاً من دولة الخلافة الإسلامية منذ عهد محمد ﷺ حتي نهاية عهد الدولة العثمانية حينما اطبقت القوي الاستخرابية على العالم الإسلامي واحتل الإنجليز مصر عام 1882 ، واحتلوا فلسطين عام 1918 واحتل الفرنسيون الجزائر وتونس والمغرب وسوريا ، واحتل الإيطاليون طرابلس الغرب 1914 بالتحالف مع روسيا التي احتلت تركستان الغربية ، والقوقاز والقرم طبقاً لاتفاقية (سايكس – بيكو) . لتمزيق العالم العربي ووضعه تحت الاحتلال الأجنبي أي أن الأمة العربية المسلمة لم ينقطع وجودها عن الأرض طيلة قرون ، لا يعلم عددها إلا الله .

* ولم تكن قد ولدت دولة الإحتلال الصهيوني على أرض فلسطين في 14 مايو 1948. هذا الكيان الصهيوني الذي أقامته قوي الاستعمار العالمي بقيادة (انجلترا وفرنسا وأمريكا وروسيا) ، بموافقة وتأييد ما يسمى بالمنظمات الدولية ، بدءاً من عصبة الأمم ، الأمم المتحدة ، مجلس الأمن والنظام العالمي الجديد . بعد إبادة وتشريد الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني ، واغتصاب .. وتهويد أرضه . وبعد ذلك يدعي أنه من نسيج هذه الأمة وجزء لا يتجزأ من كيانها .

* ولكن الذي يحزن القلب هنا أن :

العدو الصهيوني ينظر إلي المعركة التي فرضتها قوى البغي والعدوان على أمتنا ، على أنه صراع عقدي بينها وبين الإسلام ، في الوقت الذي فرض على الأمة أن تنظر إلى هذه الهجمة الشرسة علي ديارها ومقدساتها أنه صراع علي الأرض .. أي على التراب الوطني .

* هذه النظرة القاصرة من القادة والزعماء منذ عام 1918 وحتي الآن ، أدت إلى تنحية عامل النصر الوحيد من مثل هذه المعارك .. وهو الإسلام .

التعقيـــب الثانــي :

* أما ما يقال من أن الصراع على أرض فلسطين إنما هو صراع بين إسلام متخلف ويهودية متقدمة فاكذوبة ،

فالإسلام لم يسمح له أن يدخل المعركة ضد العدوان الصهيوني الاستعماري ، منذ الاحتلال الإنجليزي لفلسطين عام 1918 حتى الآن . إذا استثنينا حركات الجهاد الإسلامي علي أرض فلسطين (عز الدين الأقسام - الإخوان المسلمون - الانتفاضة) بل إن الأمة لم يتح لها الدخول في معركة حقيقية مع اليهود إذا استثنينا العبور المشهود للجيش المصري في رمضان (1393هـ . 1973م) .

* أي أن المعركة تدار من طرف واحد ولم يبدأ الصراع بعد ، ويوم يبدأ ويقوده الإسلام ، فسوف يدرك الصهاينة والمستعمرون خطورة إقدامهم على اغتصاب أرض فلسطين، بيت المقدس (المسجد الأقصى) .

* أما الزعم بأن الإسلام متخلف فهذه اكذوبة ، فالإسلام هو دين الله في الأرض وفي السماء ، الذي أرسل به الرسل جميعاً بداية بنوح ونهاية بخاتم الرسل محمد ﷺ ، ولا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره ، هذا الدين أقام الله به أمماً ، نشرت العدل والأمن والأمان لبني الإنسان في أرجاء الأرض وارتفعت بالإنســـان بعقيدتها وعلومها الشرعيــة والطبيعيــة وحضارتهــا التي لا ينكرها إلا جاحد . إن الأمة الإسلامية ظلت تقود العالم بدين الله عز وجل ، وبعلمائها في جميع مجالات الحياة منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وعلى عهد الدولة الأموية ،وبني العباس وآل عثمان ، وقد عبر الإسلام إلي أسبانيا والبرتغال ليقيم دولة الأندلس ، التي نعمت وارتقت في ظل الحضارة الإسلامية ، وظلت جامعات قرطبة وغرناطة وأشبيلية قِبْلة أبناء أوربا ليتعلموا ويرتقوا وللأسف بدلا من أن يشكروا نعمة الله عليهم التي جاءتهم علي أيدي المسلمين ، إذا بهم يتنكرون لأمة الإسلام . [شمس الله تسطع على الغرب] تأليف زيغرد هونكه ، ترجمة د. الدسوقي - دار الفكر .

وظلت الحضارة الإسلامية تنير الطريق أمام البشرية وتعبِّد لها الطريق على مدار ثلاثة عشر قرن من الزمان.

حيث كانت أمة الإسلام أقوى قوة دولية في العالم ، بل القوة الوحيدة صاحبة الكلمة المسموعة ، بفضل دينها الإسلامي ونظامها السياسي والعقدي والاقتصادي والاجتماعي والسلوكي والأخلاقي ، وامتدت حدودها السياسية لتشمل تركستان الشرقية (سنكيانج) وتركستان الغربية والقرم والقوقاز وتتاريا والأندلس وأوربا الشرقية وذلك غير الجزيرة العربية ، وشبه جزيرة الأناضول (تركيا) وبلاد الشام والعراق وإيران والشمال الأفريقي ، إن العالم مدين بحياته للعلماء المسلمين الذين برعوا في الهندسة والطب والفيزياء وغيرها من العلوم الكونية . فأين كان اليهود المتقدمون ! طيلة الثلاثة عشر قرن من الزمان ، لقد كانوا من رعايا الدولة الإسلامية ينعمون بالأمن والأمان ، ويتمتعون بحضارة الإسلام الذي استنقذهم من المستنقع الآسن ليرفعهم إلي القمة السامقة ولولا فضل الله والإسلام لظلوا ومعهم أبناء أوربا في جهالة القرون الوسطى .

التعقيب الثالث :

* تحت عنوان نظام القيم الجديدة والسياسة الإسرائيلية صـ39 :

أ – قال "جابوتنسكي" بأن إسرائيل دولة تدافع عن القيم الأصيلة للدين اليهودي .

ب– إن إسرائيل ليست مجرد دولة لتجميع اليهود، ولكنها دولة تحمل راية القيم الدينية اليهودية حول الجزئية (أ) نقول :

* ليست اليهودية دين سماوي ، وأنما اليهودية (بدعة) أي من ابتداعهم، وتفكيرهم، ويمكن الرجوع إلي ما يسمي "الكتاب المقدس" وما كُتب فيه، لكي ندرك أنه (مُؤلَّف) يعني كلام بشر، ليس للوحي فيه نصيب، وأنهم أصحاب معتقد فاسد. راجع في ذلك . الكتاب المقدس(*) (طبعة ساحة أستور) نيويورك – لندن – 1804 . راجع النسخة الحديثة طبعة عام 1976 لتري الفارق في التأليف !! .

(*) راجع الكتاب المقدس كتب الشريعة الخمسة – دار المشرق – بيروت عام 1987 صفحات 34 , 35 , 46 , 47 وغيرها لترى باعترافهم أن التوراة كلام مؤلَّف .

(*) راجع الكتاب المقدس – العهد الجديد – الطبعة الكاثوليكية ط11 – دار المشرق – بيروت عام 1982 مقدمة الطبعة الثامنة لتقرأ اعتراف النصارة –أيضاً– أن الأناجيل كلام مؤلَّف .

(*) راجع "قذائف الحق" محمد الغزالي – منشورات المكتبة العصرية – بيروت – صـ19 وما بعدها

*) راجع أيضا كتاب "تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام د. محمد السيد الوكيل ، عميد كلية الحديث وأستاذ التاريخ بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ط1 1995 الناشر دار قطر الندي للنشر والتوزيع – الجيزة – القاهرة صـ8 وما بعدها لترى أن اليهود ليس لهم دين أصيل !!

* أما حول الجزئية (ب) نقول :

جابوتنسكي يتحدث عن القيم الصهيونية الأصيلة .... ولا ندري .

* أين هي القيم ... في أُناس يزعمون أن الله عز وجل يتعب .. ويُصارَع .. ويأكل .. وينسى راجع في ذلك سفر التكوين 34/32 : 39 انجيل مرقس 19/16 .

* أين هي القيم الأصيلة .. لدي أُناس (اليهود) يصورون الأنبياء والرسل علي أنهم زُناة !! ويشربون الخمر !! راجع سفر التكوين 30/19 : 34 وسفر التكوين 9/3 10/3 : 11 ، 34/32 : 39 .

* أين هي القيم ... لمن يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وأن ما عداهم حمير (جويم) راجع سفر المكابين 38/15 .

* أين هي القيم ... في لُصوص دأبوا علي السرقة منذ أبد الآبديين !! راجع سفر الخروج 23/3 , 3/11 , 35/12 : 36 .

* أين هي القيم .. في أُناس (اليهود) يُبررّون لأنفسهم جرائم الغدر، وسفك الدماء، من خلال (الطعن في الأنبياء) في سلوكهم .. وأخلاقياتهم .. ومعتقداتهم .. (لسيدنا داود وسليمان) عليهما السلام .

* أين هي القيم .. التي عند اليهود ؛ حيث أنهم يُصرّون علي اغتصاب الأرض .. والديار .. ويذبحون أهلها، حسب ما أرشدتهم توراتهم، ويزعمون أن هذه الأوامر (مُوحَي) بها من الله إليهم !!

نقول لجابوتنسكي .. وأمثاله .

* هل هذه هي القيم اليهودية الأصيلة ؟

* هل هذا هو السلام الذي يعطيه بنو يهود للعالم ؟

* هل إثارة الفتن بين أبناء الأمة الواحدة، ليقتل بعضهم البعض، هي من القيم الأصيلة ؟ - راجع في ذلك سفر أشعياء النبي (59/6 : 8) حيث يقول : [أعمالهم أعمال اثم، فعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلي سفك الدماء الذكي، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سُبُلاً معوجة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً.] ... هذه هي توراتهم توضح حقيقتهم .. (راجع كتاب عن طريق الخداع والجواسيس غيرالكاملين) .

* هل هذه هي القيم الدينية الأصيلة ؟

بقيت كلمة أخيرة :

يمكن القول بأن الذين تخلفوا هم المسلمون ، وليس الإسلام والتخلف بسبب تنكرهم للدين ، سبب رفعتهم وانتصاراتهم ، وحينما تفيئ الأمة إلي دينها وقرآنها فسوف يدرك حينذاك جابوتنسكي وغيره ، من المتقدم ومن المتخلف .

مصادر المقالة الثانية

- AVINERI, The making of modern zionism, 1981.
- SCHWELD, The land of Israel, 1985.
- GAVRON, Israel after Bejin, 1984. Brenner, The Iron wall, 1984.
- RODINSOM, Cult. ghetto and State, 1981.



المقالــة الثالثــة

" هل تنجح إسرائيل في وراثة دور مصر القيادي لمنطقة الشرق الأوسط .. ؟ "

تحت هذا العنوان يقول الكاتب – رحمه الله – « هل حقاً سيطرت الغشاوة على عيوننا وقلوبنا ؟ ولم نعد نستطيع أن نري ما يحدث حولنا ؟ بل وقد أصبحنا عاجزين على أن نكتشف ما هو تحت أقدامنا؟ وإلى متى سوف نظل كذلك ؟ الأبواق من حولنا تزداد قوة، والمزايدات أضحت على أشدها، والكذب بلا حياء ولا خجل، ولم يعد أحد يؤمن لا بمبدأ التخصص ولا بمعنى الخبرة. هل هذه قيادة ؟ رغم ذلك فإن الأمل لم نفقده ولن نفقده. مرت بنا في تاريخنا الطويل أسوأ من هذه الفترة واستطاعت أمتنا بقدرتها وثباتها أن تتخطاها بصبر وهدوء. وفي تاريخ كل شعب وُجدت لحظات الضعف والهوان والانحدار، وقوة الشعب الحقيقية تبرز في تلك اللحظات، فإذا به يخلع عن نفسه ذلك الرداء من الوصولية والتفاهة، وينطلق في طريقه الذي خصته به العناية الربانية، مندفعاً في قوته صارخاً في الأمة. الشعوب القوية وحيدة في صراعها لا صديق لها. والعملاق أيضاً له عثراته ولكن ويل لمن يتعامل معه عندما يكتشف هذا العملاق ليس فقط قوته الحقيقية بل ما أوقع فيه من خيانة وخديعة.

أعداء مصر عديدون، قد يتوافقون وقد يتفقون، ولكنهم دائماً يجدون أنفسهم في خندق واحد، وكل ما يتمنون هو أن يصوبوا سهامهم ضد أم الحضارة، دولة التاريخ التي خصها الإله بوظيفة معينة. ليس هذا بجديد، فالكلاب المسعورة التي هجمت على مصر عديدة، وعلى مر التاريخ. ولكن الجدير هو أن هذه الكلاب ولأول مرة في تاريخ مصر تتعدد وتتنوع، وهي تتعدد وتتنوع كنتيجة مباشرة لتعدد وظائف مصر في عالمنا المعاصر.

الكلاب التي تسعى لأن تنهش في جسد مصر عديدة. ولكن ما هو أخطر من ذلك أن مصر الخالدة تقف عاجزة وصامتة لا تحاول أن تدافع عن نفسها. فإلى متى ؟ وإلى متى تظل نائمة ؟ سؤال نتركه جانباً ولو مؤقتاً ونعود إلى هذه الكلاب نبحث عن أسباب نباحها.

لا نريد أن ندخل في تفاصيل عملية مرهقة ولكن علينا أن نفهم منذ البداية أن مصر تملك وظائف ثلاث، يجب ألا نخلط بينها:

(أولاً) وظيفة حضارية.

(ثانياً) وظيفة اقليميـة.

(ثالثاً) وظيفة دوليـــة .

وتحدث الكاتب عن وظائف مصر الثلاثة في خبرة التاريخ فقال : « كل من هذه الوظائف مستقلة عن الآخرى تملك دلالتها المتميزة وإن كانت هذه الوظائف قد تتداخل وتتعانق في بعض المواقف، وهي على كل تؤثر وتتأثر بالآخرى.

(أ)**الوظيفةالحضارية** هي أقدم هذه الوظائف تقودنا هذه الوظيفة إلى أقدم مراحل التاريخ. مصر هي التي قدمت لليونان حضارتها الفكرية. ومصر هي التي أقامت صرح الحضارة العظمى في وادي النيل. بينما كان الانسان في جميع بقاع الأرض يعيش في الجحور، كان في مصر يشيد أعظم حضارة شهدها الانسان: يبني الأهرامات، ويشق الطرق، ويكتشف بقدراته الذاتية(*) الاله الواحد ليتجه إليه بكل قواه، معلناً إيمانه وخضوعه، في أرضه، زُرعت أعظم الحضارات وأقدسها. لا تزال حتى اليوم، نسعى إلى اكتشاف أسرارها لنقف عاجزين إلا عن بعض القشور التي دفنتها الرمال. مصر الحضارية لم تكن عملاً فردياً ولكنها كانت جهداً جماعياً، ارتفع وتألق دون منافس.

(ب)**الوظيفةالاقليمية** لا تبدو واضحة صريحة إلا عقب سقوط بغداد أمام جحافل "هولاكو". منذ مقتل "كليوباترا" انطوت مصر على نفسها. وظيفتها الحضارية تقلصت حتى عدة قرون عقب دخول الاسلام. ورغم أنها بدأت منذ القرن الثالث الهجري تستعيد نفسها،

(*) يقول رسول الله محمد ﷺ " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ورب العالمين قد أخذ العهود والمواثيق على بني آدم وهم في عالم الذر أنه سبحانه وتعالى الخالق الذي يجب أن يعبدوه، ويُخضِعُوا حياتهم لمنهاجه وشريعته، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ سورة الاعراف/172 وذلك يعني أن الإنسان ومنهم المصريون القدماء خلقوا مفطورين على معرفة ربهم وخالقهم ورازقهم، وأن التعرف على الله الواحد الفرد الصمد، يأتي نتيجة أن الله سبحانه وتعالى هو الذي فطر الإنسان على هذه المعرفة .

إلا أنها لم تبرز واضحة إلا عقب أن غزا أرض الرافدين همج المغول(*). هاجر علماء العراق إلى مصر التي احتضنتهم وشعرت بأن واجبها أن تحمي كنوز العرب. ولكن ما هو أهم من ذلك ؟ أن مصر كان عليها أن تقف إزاء التسرب إلى المنطقة. بدأت تبرز واضحة الوظيفة الاقليمية وقد اختلطت بالوظيفة الحضارية. » وذكر الكاتب كلاماً مهماً جداً فقال : الفترة الثالثة في تاريخ مصر، تبدأ حقيقة بهذا الغزو الذي تبعته وأعقبته معركة عين جالوت. منذ تلك الفترة ظهرت وتبلورت الوظيفة الاقليمية لمصر: بمعنى أنه على امتداد آلاف الكيلومترات شرقاً وغرباً، جنوباً بل وإلى حد معين شمالاً، لا توجد قوة أخرى تستطيع أن تؤدي ما يجب أن تقوم به مصر. **واجب مصر هو أن تحمي هذه المنطقة أن تمنع أي قوة أخرى خارجية من أن تتسلل إليه.**

لا توجد أي قوة في هذه الامتداد هُيِّئت لها القدرات التي هُيِّئت لمصر في ذلك الاتساع المكاني، الذي تعودنا أن نحدده بالأرض العربية. ولكنه ليس إلا دائرة تعقبها دوائر أخرى: فهناك الدائرة العربية، لتحيط بها الدائرة الاسلامية، ولترتبط بها دائرة البحر المتوسط الشرقي، ولتتبعها الدائرة الافريقية. هذه الدوائر المختلفة، بل والمستقلة لا يجمعها سوى أمر واحد وهو أن مصر الخالدة تتوسطها، وقد هيأت لها القدرة على أن توجه وتتحدث. توجه هذا المتسع الاقليمي، وتتحدث باسم هذه المنطقة. كلا العنصرين، يعنيان واجب مصر في أن تكتل هذا الكيان الاقليمي في ارادة واحدة، تعمل لصالح أبناء هذه المنطقة فقط. إنها وظيفة الدولة، القائد حيث تكتل القوي ضد أي محاولة للتسرب إلى المنطقة. وظيفة مصر بعبارة أخرى أيضاً الدفاع عن المنطقة ضد أي تدخل خارجي. خضعت المنطقة **لخمسة اعتداءات متتالية**. نجحت مصر في صد ثلاثة منها، وأخفقت في التعامل مع احدها ولا تزال بين النجاح والاخفاق في آخرها. **الأول** هو المغول القادمون من وسط آسيا. **والثاني** تمثل في الموجات الصليبية الهابطة من أوروبا الكاثوليكية. في كليهما استطاعت مصر أن تقف بصلابة لتطرد المعتدي. إن الغزو الأوروبي الجديد ما بين فرنسا وبريطانيا وروسيا لم يسمح باكتمال التطور. وقبل أن تعلن كلمة النجاح كانت العدة قد اتخذت للغزوة الخامسة متمثلة بالصهيونية الأوروبية. ورغم أن مصر نجحت في طرد فرنسا وبريطانيا لكن حركة هرتزل عَهِدَ إليها باستمرارية وظيفة شَلّ الدور الاقليمي لمصر التاريخية.

(*) إن مصر لها دور حضاري بارز طيلة عهد (عمر وعثمان وعلي) رضوان الله عليهم، وطيلة عهد الدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة العثمانية، خاصة في مواجهة الغزو الأوروبي الصليبي (492-660 هـ) . والغزو التتاري، إن حاكم مصر "الأشرف خليل محمد بن قلاوون" هو الذي واجه الغزوة الصليبية المغولية، وحرر آخر معقل صليبي في عكا عام 690 هـ.

(جـ)**الوظيفة الدولية** برزت في صورة واضحة مع القرن العشرين وبصفة خاصة مع الحرب العالمية الثانية. جوهر هذه الوظيفة إيقاف القوى العظمى من الاستيلاء على مصر وتوظيفها لصالحها. المنطقة حَبَتها الطبيعة بثلاث مزايا: الموقع الاستراتيجي، والثروات الطبيعية، فضلاً عن أنها موضع الأديان المقدسة(1). في جميع مراحل التاريخ لم ترتفع قوة معينة إلا واتجهت إلى مصر تسعى للاستحواذ عليها، لأنه فقط منذ تلك اللحظة تستطيع أن تزعم تلك القوة بأنها أضحت عالمية. وذلك منذ أقدم العصور. الاسكندر الأكبر أعقبته روما. لم يستطع قيصر روما أن يصف نفسه بأنه «الأمير» أو الحاكم الأعلى أو الرأس، ومن ثم يزعم بأن إرادته هي وحدها محور «السلام الروماني» إلا عقب أن استأصل القدرة على التحدي في الاسكندرية والكرنك. في الأولى بمقتل كليوباترا وفي الثانية بهدم أعظم جامعة عرفتها العصور القديمة.

هذه الوظائف الثلاث والتي رغم اختلاطها يجب التمييز بينها بوضوح، لو حاولنا فهم حقيقة السياسة الاسرائيلية، وكيف أنها لابد وأن تصطدم بمصر، في قرقعة للسلاح تضع حداً لوجود إحداهما كمركز للثقل الدولي والاقليمي في المنطقة. »

ثم بدأ الكاتب يشرح ويفصل وظيفة إسرائيل الدولية ... وما هي أبعاد المستقبل فقال « إسرائيل وهي تسعى لأن تؤدي وظيفة دولية واقليمية في المنطقة، وانطلاقاً من المنطقة لا تستطيع أن تنسى مجموعة من الحقائق:

---

(1) في الحقيقة لا توجد أديان مقدسة، لأن الله عز وجل جعل له ديناً واحداً هو الإسلام قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران/19 وهذا الدين -الإسلام- هو الذي ارتضاه لعباده أجمعين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . بل و لن يقبل غيره منه، قال تعالى : ﴿ ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران/85 . بل وأمر المخلوقين جميعاً يوم الحج الأكبر حيث قال الله تعالى لرسوله أن يبلغ هذا الأمر : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .... ﴾ سورة المائدة/3 .

- ولكن توجد شرائع متعددة، فلقد جاء موسى عليه السلام ومعه شريعة، ثم تبعه عيسى عليه السلام ومعه شريعة مكملة لشريعة موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ المائدة/48 .
- ونستأنس بما جاء في الانجيل - برغم ما بُدل منه وما حُرِّف فيه - يقول انجيل متى على فرض أن القائل هو عيسى عليه السلام [لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء -وفي طبعة أخرى لأنقض الناموس يعني الوحي- ما جئت لأنقض - لأبطل - بل لأكمل، الحق أقول لكم لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم الكل] متى 18:17/5.
- ثم جاء محمد ﷺ بشريعة مهيمنة على الشرائع السابقة لأنها الشريعة الخاتمة ألا وهي شريعة الإسلام فقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ... ﴾ المائدة/48 .

(الحقيقة الأولى) أنه مادامت مصر قوية فلن تسمح لدولة أخرى أن تؤدي أيا من تلك الوظائف. عقب خروج مصر من الصف العربي، عشنا قرابة عشــرة أعــوام والصــراع بين الدول العربية على أشـــده في سبيل سرقة وظيفة مصر بهذا الخصوص، حاولت العراق وسرعان ما حسمت أمرها. ثم جاء دور سوريا وراحت تغالط نفسهـــا في أكثر من موقف واحد. ولا أزال أذكر الحوار الساخن الذي دار مع الوزير الســوري في مؤتمر بطرابلس، منذ عدة أعوام. كذلك السعودية تصورت أنها قادرة على القيــام بهذا الدور. حتى ليبيا في لحظة معينة عاشت أحلام اليقظة وظنت أنها تستطيع أن ترث دور جمال عبد الناصر.

(الحقيقة الثانية) أن إسرائيل دولة دخيلة، ومهما وصفت نفسها بأنها دولة شرق أوسطية، فهي من حيث طبيعتها وتكوينها ليست كذلك. انها تصلح لأن تؤدي وظيفة الدولة الحارس ولكنها لا تستطيع أن تقوم بوظيفة الدولة القائد. هي قادرة على أن تخدم مصالح دولة عظمى، ولكنها لا تستطيع أن تخدم مصالح المنطقة.

(الحقيقة الثالثة) أن إسرائيل لا تملك المقومات الذاتية التي تؤهلها لأن تؤدي وظيفة دولية أو اقليمية. وهي لذلك لابد وأن تسعى إلى تغيير الإطار الاقليمي لتصير قادرة على أداء تلك الوظيفة. انها سوف تظل مصطنعة ولابد وأن تنتهي مهما طال بها الــزمن إلى الفشل.

ثم قال الكاتب إذا أردنا أن نفهم ذلك « فلنعد إلى التاريخ نستمع إلى تعاليمه في عناصر واضحة من حيث التعامل:

أ) **العنصر الأول** وهو أن أرض فلسطين لم تكن في أي مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً للقلاقل والمشاكل. كانت على عكس من ذلك، مسرحاً للقوى الأجنبية. لم يحدث في تاريخ الانسانية أن صدرت تلك المنطقة الاضطرابات. انها فقط معبر إما للكلاب القادمة من الشمال والشرق متجهة نحو الدلتا وادي النيل بخيراتها، وإما لفراعنة مصر وهم يخرجون فاتحين للمناطق المحيطة بهم.

ب) **العنصر الثاني** أن قادة مصر العظام لم يقبلوا أو يسمحوا لأي قوة ضاربة بالتواجد على حدودهم الشرقية في المنطقة الممتدة من غزة جنوباً حتى جبال طوروس شمالاً. خير من عبّر عن ذلك كان رمسيس الثاني، وكذلك تحتمس، الذي عُرف بحملاته السنوية لتنظيف وتمشيط هذه المنطقة. كان يعلم بأن مصر لا يجوز الدفاع عنها في سيناء، وكان يؤمن بأن من وضع قدمه في منطقة الاسكندرونة فقد استطاع بسهولة أن يصل إلى أرض الاسكندرية.

جـ) **العنصر الثالث** ومفاده، أنه طالما لم توجد وحدة بين شرق سيناء وغربها فان أي دولة قوية توجد في جنوب أرض الشام، حتى لو كانت عربية. يجب أن تُستَأصل بلا رحمة.

هذه المقدمة ضرورية لفهم لماذا تعرف إسرائيل جيداً أنها لابد وأن تحارب مصر(1) وأن القاهرة لابد وأن تقف من تل أبيب كالصخرة التي تمنعها من تحقيق أهدافها. وهي لذلك تعمل جاهدة على إعادة بناء الاطار الفكري للتعامل مع مفهوم الوظيفة الاقليمية والدولية.

كيف ذلك ؟

في الادراك الإسرائيلي هي تستخدم موقعها ؛ لتؤدي وظيفة دولية، تقودها هذه الوظيفة الدولية لتدعيم وظيفتها الاقليمية. وهي في نفس الوقت من خلال تدعيم وظيفتها الاقليمية تزعم بأنها قادرة على أن تؤدي وظيفة دولية. وهذه هي الديالكتيكية الخفية، التي تسيطر على الفهم الإسرائيلي للتعامل في المنطقة، ومن خلال المنطقة. وظيفة دولية تقود إلى الوظيفة الاقليمية، ثم وظيفة اقليمية تصير منطلقاً للوظيفة الدولية.

ثم تحدث الكاتب عن وظيفة إسرائيل التي تخدم السياسة الأمريكية فقال : « الوظيفة الدولية في الإدراك الصهيوني، تعني تمكين القوى العظمى من تحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوسط. وهكذا تصير وظيفة إسرائيل الدولية وقد تحددت بهذا المعنى: كيف تمكن القوى العظمى أو إحداهما من أن تحقق أهدافها في المنطقة.

---

(1) نظرية الأمن القومي المصرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام الأمن للعالم الإسلامي، والذي ينبع من عقيدة الإسلام، والذي يقوم على عقيدة جهاد الدفع للعدو الصائل الذي يهدد الأمة، وجهاد الطلب، وأن أمن مصر يترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلاد الشام وشبه جزيرة الأناضول والشمال الأفريقي، وأن الأمن القومي العربي والإسلامي لا يمكن أن يتحقق، طالما هناك قواعد عسكرية وصهيونية استعمارية على أرض فلسطين وغيرها من بلاد العالم العربي وأن حماية أمن هذه المنطقة لابد وأن يعتمد اعتماداً كبيراً على أن تكون جزر البحر الأبيض المتوسط قواعد عسكرية إسلامية متقدمة لحماية شواطئ الشام والشمال الأفريقي، وبناء عليه فقد كان العالم الإسلامي خالياً من التواجد الأجنبي طيلة 13 قرن من الزمان إذا استثنينا فترة الحروب الصليبية 492 : 690 هـ حيث احتل الصليبيون القدس وبلاد الشام، نظام الأمن الإسلامي رفض هذا التواجد الأجنبي، وأحيا المسلمون فريضة الجهاد على مدار 200 سنة حتى تمكنوا في النهاية من تحرير بلاد الشام من القواعد العسكرية الأجنبية على يد (نور الدين محمود) و (صلاح الدين الأيوبي) و (الأشرف خليل محمد بن قلاوون) . أي أن أمن الأمة لا يمكن أن يتحقق طالما أن هناك قاعدة للاحتلال الأجنبي اليهودي في بلاد الشام .

القوى العظمى بإجمال سريع تتمركز حول ثلاث بالترتيب التالي:

(أولاً) **القوة الأمريكيــــة** والتي ترتبط بها الشركات الكبرى المتعددة الجنسية.
(ثانياً) **القوة السوفييتية** ويستتر خلفها اليسار الدولي.
(ثالثاً) **القوة الأوروبيــة** والتي لا تزال تخضع لتوجهاتها بعض دول العالم الثالث.

إسرائيل تحاول أن تخدم القوى الثلاث. ولكن عند الضرورة، وعندما يتعين عليها الاختيار، فأمامها فقط كحصان تمتطيه وتنطلق من خلاله في تدعيم تلك الوظيفة الدولية واشنطن وما يحيط بها من قوى أخرى وهي ليست قليلة.

ما هي أهداف الولايات المتحدة من سياستها في المنطقة؟ وكيف تستطيع إسرائيل أن تخدم تلك السياسة الأمريكية في المنطقة؟

الأهداف واضحة بل ومقننة. عقب فترة تردد معينة نستطيع أن نحدد هذه الأهداف وبالترتيب التالي:

(أولاً) فرض وضع التخلف على المنطقة، سواء كنتيجة لعدم الاستقرار اللازم لبناء مشروعات إنمائية حقيقية، سواء لتوجيه كل امكانيات المنطقة للاستنزاف في عمليات شراء للسلاح.

(ثانياً) منع المنطقة من الوحدة الحقيقية، أو بعبارة أخرى تمزيق المنطقة بتحويلها إلى كيانات هشة ومتصارعة[1].

(ثالثاً) أن تتولى هذه المنطقة عملية المساندة الثابتة للقوات العسكرية الأمريكية سواء بتخزين السلاح أو بتحويل أرضها أي أرض إسرائيل والعلاج لصالح القوات الأمريكية التي قد تدعى إلى العمل في هذه المنطقة.

(رابعاً) توظيف موقعها لخدمة الاستراتيجية الأمريكية في بعدين: "الأول" أن تكون مقدمة لايقاف نزول الأسطول الروسي إلى البحر الأبيض المتوسط، و"الثاني" أن تتولى عملية ايقاف الفيضان العسكري لحلف وارسو في وسط أوروبا.

---

(1) راجع "ملف إسرائيل" روجيه جارودي .

- "أطماع إسرائيل التوسعية" لواء أركان حرب محمود شيت خطاب .
- الطريق إلى بيت المقدس د. جمال عبد الهادي مسعود ج3 .
- قراءة في فكر علماء الاستراتيجية وآخرين، نفس المؤلف ، هذا ما تحاول القوى الاستعمارية والصهيونية تحقيقه في السـودان ومصر .. لا مكن الله لهم ذلك .

هذه هي الأهداف التي سوف تتولي تحقيقها إسرائيل لصالح الولايات المتحدة ودبلوماسية واشنطن، وليكتمل الاطار لابد وأن نضيف بالنسبة لمصر على وجه التحديد هـدفين آخرين:

أ) فرض وضع التبعية لمصر إزاء الولايات المتحدة.

ب) تدعيم حالة الخوف التي تسود القيادات المصرية إزاء أي تحرك فيه شئ من الاستقلالية في مواجهة واشنطن[1].

إن واشنطن لا تخاف في المنطقة حقيقة إلا من مصر، ولا تعمل حساباً إلا للقدرة المصرية، لو تماسكت وقررت النزال مع الولايات المتحدة، وسوف نرى في موضع آخر الوثائق الصريحة، وقد عُهد إلى إسرائيل بعملية التحـزيم والتخريب، والضبط وفرض الانصياع، كيف ؟ وهل نجحت في ذلك ؟ أسئلة أخرى نتركها جانباً مؤقتاً لنعود إليها بالتفصيل الكامل في موضع آخر، نقتصر مؤقتاً على تفصيل الناحية "الرابعة" والمتعلقة بتوظيف إسرائيل لخدمة الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ومن خلال تلك المنطقة. "

" إسرائيل والاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط"

" السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، ظلت حتى وقت قريب مترددة: وهي رغم ذلك ناجحة، لا نريد أن نتتبع مساراتها منذ قُدر لها أن تنزل بوزنها كقوة عظمى في المنطقة، ولكن الذي يعنينا في هذا العرض هو كيف تبلورت هذه السياسة خلال الفترة اللاحقة لوصول كتلة ليكود إلى السلطة، التطور العام في العلاقات الأوروبية الأمريكية فرض على واشنطن أن تعيد حساباتها وذلك في أبعاد أربعة :

(أولاً) حزب ليكود نفسه ووصوله إلى السلطة، وازاحته حزب الماباي بما يعنيه ذلك من تصلب وتغير في الأهداف والتعامل في ومع المنطقة.

(ثانياً) ظهور وبوضوح نوع من الاستقلالية في الارادة الأوروبية، إن أوروبا التي تتجه إلى الوحدة تكتشف وفي صورة صريحة وقاطعة أن هناك حدوداً للتوافق المصلحي عقبها فهناك صدام، بل وصراع خفي بين المصالح الأوروبية وتلك الأمريكية، يبدأ هذا الصراع المصلحي مع (ديجول) الذي غادر الحلف الاطلنطي وهو في قمة السعادة، ثم يعود

---

(1) راجع كتاب " كيف نفكر استراتيجيا " : لواء أ.ح. د. فوزي محمد طايل .

لِيَبْرُزَ مرة أخرى عندما حاول (بومبيد و) مبادرة جادة للحوار العربي الأوروبي، ثم جاء ليبرز في صورة ساطعة إزاء عملية التقارب بين ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، وبصدد كل ما يتعلق بتوحيد ألمانيا في أي صورة كانت، الشعب الألماني يعيش ممزقاً إزاء الانقسام الذي لم يعرفه ولو مرة واحدة طيلة تاريخه، ثم جاء ليبرز أيضاً هذا الصدام في المصالح في صدام عنيف، ولكنه خفـــي بين الشــركات الأمريكية، والقدرة الصناعية الأوروبية، وجاء ليظهر في صورة أقل وضوحاً بصدد سياسة واشنطن الشرق أوسطية، وبصفة خاصة مع مصر.

(ثالثاً) التعامل مع الاتحاد السوفييتي، فرغم أن الشيوعية الروسية تُقْلق القيادات الأوروبية المحافظة إلا أن ذلك ليس بذلك القدر، الذي يجعل من النظرة إليها على أنها عدو لا يمكن التفاهم معه، فروسيا قبل كل شئ آخر دولة أوروبية، وتقاليدها واحدة مع الفكر الأوروبي، ودول أوروبا الغربية لديها أحزاب شيوعية ذات قوة معينة، تمثل شريحة لها وزنها في الرأي العام، كذلك هناك أوروبا اليسارية التي آن الآوان لأن تنفرج في علاقاتها مع أوروبا الغربية ولنتذكر مرة أخرى أن مثل هذا الانقسام جديد على الحضارة الأوروبية، وقد آن الآوان لوضع حد له، ورغم كل شئ فأيهما أقرب إلى الآخر، أوروبا الشرقية التي لا يفصلها عن أوروبا الغربية سوى حائط برلين، أم الولايات المتحدة. وهناك محيط كامل يقف بين الجانبين، ثم يأتي فيكمل هذا الاطار من التوافق والتليين للعلاقات السوفييتية الأوروبية، مجئ (جورباتشوف)(1) الذي عرف كيف يُفجر هذه القنبلة.

(رابعاً) ويكمل ذلك العلاقات مع دولة جنوب أفريقيا، هذه الناحية لا تعنينا مؤقتاً ؛ ولكنها تنسحب بدورها على المنطقة ولو بطريق خفي، نتيجة للتوافق العجيب والتعاون القوي العلني بين إسرائيل ودولة جنوب أفريقيا، وبصفة خاصة عقب مجئ كتلة ليكود إلى السلطة.

هذا الاطار العام من الخلاف، برز في صورة صريحة وقاطعة عندما أُثيرت في فترة حكم (ريجان) كمشكلة مواجهة احتمالات غزو أوروبا الغربية من جانب حلف وارسو.

حلف وارسو الواقع الأوروبي الغربي:

قبل أن نطرح الموضوع، وبصفة خاصة، كيف استغلت إسرائيل هذا الواقع في تخطيط سياستها وتعاملها مع الولايات المتحدة الأمريكية، علينا أن نتذكر أن هذا الموضوع أثير قبل مجئ (جورباتشوف) وفي فترة تميزت بعدة متغيرات:

---

(1) راجع صـ 249 من كتاب "كيف نفكر استراتيجيا" لواء أ.ح. فوزي محمد طايل ليثبت أن هناك توافق بين المعسكر الروسي والإمبريالي، وأوربا، والجميع يعتبرون أن عدوهم المشترك الآن هو الإسلام (خاصة بعد انهيار الشيوعية). وصدق الله القائل : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾ المائدة/82

(المتغير الأول) وصول ريجان إلى السلطة، وهو يمثل الاتجاه المحافظ الجديد الذي يُنظر إليه في أوروبا بشئ من عدم التقدير المبالغ فيه، فهو ليس الاتجاه المحافظ التقليدي بقوته وقدرته رغم الكراهية المترسبة في الرأي العام الأوروبي نحوه، وهو ليس الاتجاه الاشتراكي الذي يجد قبولاً عاماً واحتراماً مبالغاً فيه، أنه وليد غير شرعي لأمة لا تقاليد لها، وضعه في عالم التقاليد السياسية لا يمكن أن يكون إلا بشئ من التحفظ.

(المتغير الثاني) وضوح التفوق الساحق لحلف، وارسو إزاء حلف الاطلنطي، لقد اكتشفت أوروبا فجأة أن ما لديها من سلاح بما في ذلك السلاح الأمريكي التقليدي، لن يسمح بإيقاف حركة غزو خاطفة لأوروبا الغربية من الجيوش اليسارية، تعداد جيوش حلف موسكو يزيد على ضعف الجيوش الغربية المتمركزة في دول الأطلنطي، عدد الدبابات التي يملكها حلف وارسو كذلك أكثر من ضعف ما يملك الحلف الأطلنطي، مع ادخال أيضاً فرنسا، الجندي أكثر تدريباً وكفاءة، هناك تطور خطير كمي وكيفي لصالح شرق أوروبا، فهل سوف يستغل ذلك الاختلال في التوازن ؟ متى وكيف ؟

(المتغير الثالث) ما أثير في تلك الفترة بغباء وقصر نظر من القيادات الأمريكية، وبصفة خاصة من (ريجان) وأعوانه، عن إمكانية استخدام القنبلة النووية في أوروبا، وجعل محور الصراع النووي القادم خارج أرض الدولتين العظميين ثارت ثائرة القيادات الأوروبية فتذكرت عندئذ ما حدث عام 1973 من استنفار نووي في داخل أوروبا نفسها ودون معرفة القيادات الأوروبية بخلفيات ذلك الاستنفار الذي وصل إلى علمها فقط عن طريق الصحافة اليومية.

الخلافات والمناقشات والتراجعات بذلك الخصوص عديدة، ولا نستطيع أن نطيل في ذلك حديثاً بعيداً ولو نسبياً عن موضوعنا المباشر، ما يعنينا بهذا الخصوص، أنه في خلال ذلك النقاش برز ولأول مرة الحديث عن القنبلة النووية التكتيكية، ورغم أننا سوف نعود لتفصيل ما تعنيه هذه القنبلة، وموضعها في الترسانة الإسرائيلية، إلا أنه يكفي أن نذكر في هذا المقام كيف أن هذه القنبلة النووية تتميز بأنها محدودة الفاعلية، أنها قادرة على أن تنال قطعة محدودة من حيث المساحة، ومن ثم فاشعاعاتها تكون بدورها في نطاق محدود، التدمير يتجه إلى مساحة تتراوح ما بين ثلاثين كيلومتراً مربعاً وخمسين كيلومتراً، الاشعاع يتسع مع أقصى احتمالاته إلى خمسمائة كيلومتر مربع أي مساحة لا تتجاوز خمسة وعشرين كيلومتراً طولاً ومثلها عرضاً، ويساعد على تقييد الآثار لتلك القنبلة القاؤها من ارتفاع ساحق، لا تعنينا مؤقتاً التفاصيل الفنية بقدر ما يعنينا ما ارتبط بهذه القنبلة النووية التكتيكية من حيث علاقتها بإسرائيل » .

مصادر المقالة الثالثة

- FINKIELKRAUT, la reparation. d' lsrael, 1983.
- YINIEWSKI, Etre lsrael, 1979.
- SELIKTAR, New Zionism and the foreign policy system of lsrael, 1983.

المقالـــة الرابعـــة

" قنبلـة تكتيكيـــة ذات إشعـاع محدود يدمـر الدول المحيطة بإسرائيل .. ولا يؤثر فيها "

تحت هذا العنوان كتب المؤلف – رحمه الله – « هناك حرب قادمة في هذه المنطقة. ويتعين على القيادة المصرية أن تستيقظ من غفلتها وأن تفهم ذلك جيداً. ان النمر لن يمتنع عن افتراس الحمل، إذا راح الحمل يداعب شاربيه. نحن لم نُلقِ بعد بأنفسنا في التفاصيل والجزئيات، ولانزال نعيش في المقدمات الفكرية للتعامل مع هذه المنطقة التي هي أرضنا وأرض آبائنا، والتي ليس من حق أحد أن يضع قدمه فيها حتى لو قبلت ذلك بعض القيادات المخوخة، التي برزت بفعل فاعل وليس لها موضع بيننا. نريد رجالاً يقودون هذه الأمة، وليس غلماناً لا يُتقنون إلا فن هز الأرداف. نريد زعماء من أمثال سعد زغلول(1) الذين سطروا بدمائهم وحياتهم صفحات خالدة من القوة والقدرة والتضحية. هذه القيادة التي تحيط بنا ليست سوى قشور، سوف تنهار أمام أول ضربة قوية تعكس صلابة أمتنا التاريخية »

ومعني ذلك أن علينا أن نوضح حقائق معينة.

(أولاً) من هم أعداؤنا ؟

(ثانياً) كيف يفكر كل عدو من أعدائنا ؟

(ثالثاً) وماذا قد أعد كل من أعدائنا لِشَل قدراتنا ؟

---

(1) راجع كتاب " واقعنا المعاصر " ، محمد قطب – مطبعة المدينة المنورة .

لسنا غافلين عن ذلك. وسوف يأتي تفصيله في موضعه. إن الذي نراه حولنا، لا يدعو إلا إلى الألم والتمزق. لقد طُردت مصر من الجامعة العربية. فكان من جانب قياداتنا الصمت ولو بكبرياء. ثم فتحوا لنا الباب للعودة، فلم نفعل سوى الطبل والزمر. فهل هذه هي تقاليد مصر الخالدة ؟ لقد أخطأنا في كلا الموقفين، وعلي قيادتنا أن تفهم ذلك وتعي معناه.

" لا يعني هذا أننا نؤمن بسياسة كامب ديفيد. فقد عارضناها وتحملنا لذلك حياة المنفي. ولا يعني ذلك أننا لا نؤمن بالعمل القومي العربي. فقد عايشناه وقبلنا أن نقضي ستة أعوام في بغداد البعثية، والصواريخ تنهال على رؤوسنا. ولكن يجب أن تكون القواعد واضحة وأن يكون العمل مقننا، وأن يعرف كل منا حقه وواجبه. لقد آن الأوان أن نطرح جانباً لغة المزايدات وأن يغادر القيادة كل من لا يصلح لتحمل تبعات القيادة ".

" وليتذكر الجميع أن خصومنا يلعبون على هذا الغموض، ولنكن على وعي بأن أعداء نا منهم من يعيش بيننا ويلبس رداء العروبة، وهؤلاء يجب أن تتم تعريتهم بلا حياء. لا نزال في بداية الحديث ولكل موضوع موضعه، ولنقتصر مؤقتاً على ما لا يريد أحد أن يعترف به، وهو ذلك الكم المخيف من السلاح الذي كدس في إسرائيل ولحساب أيضاً الولايات المتحدة، يجب أن نكشف بوضوح عن الأهداف الحقيقية لواشنطون[1] في المنطقة .. ومن خلال مساندتها لإسرائيل، الترسانة التي استطاعت تل أبيب أن تخزنها في مختلف أجزاء إسرائيل، لا يستطيع أن يتصورها العقل، حتى أن نفس الاتحاد السوفييتي شعر في لحظة معينة بالقلق، ليس فقط من ضخامة تلك الترسانة بل ومن تضمنها أسلحة لا تعني إلا أمراً واحداً. الاستعداد لقتال لا يدخل في اطار التصور التقليدي للحرب وللنظرية التقليدية للحرب، في الادراك الإسرائيلي السابق على مجئ حزب ليكود للحكم. الترسانة المسلحة تسعى إلى تحقيق واحد من هدفين أو هي على استعداد لتحقيق كلا الهدفين:

(الهدف الأول) توسع إسرائيل في المنطقة مبالغ فيه، لا يقف عند حدود دول الجوار بل يتجه إلى ما هو أبعد من ذلك. وهنا يلحظ المعلق بشئ من القلق أمرين:

(1) راجع كتاب " كيف تفكر استراتيجيا " لواء أ.ح. د. فوزي محمد طايل .

(**الأول**): النظرة الثابتة نحو انشاء إسرائيل الكبرى، والتي لم تعد تقتصر على الهمس من أذن، لأذن بل أنها مطروحة بصراحة مطلقة. حديث وزير خارجية الولايات المتحدة بخصوص ضرورة تخلي إسرائيل عن فكرة إسرائيل الكبرى، لم يكن دون أساس في جوهره يذكرنا بالعاهرة عندما تقف تعلن عن إيمانها بالفضيلة. بل ونجد أنه أثناء حرب لبنان لم يعد المسئولون يتحدثون عن انشاء إسرائيل الكبرى، وإنما عن خطوات تحقق «**المخططالكبير**» لغة جديدة لا يمكن إلا أن تعكس تصوراً مختلفاً أو على الأقل يملك عناصر ليست معتادة. من بين هذه العناصر الحديث الثابت عن العودة إلى احتلال شبه جزيرة سيناء(1).

(**الثاني**): التمييز بين إسرائيل الكبرى وحدود المجال الحيوي لإسرائيل، وبمعنى منطقة الهيمنة الإسرائيلية أن هذا المجال الحيوي يجب أن يمتد إلى باكستان شرقاً، والمغرب غرباً، وتركيا شمالاً، والحبشة جنوباً. حدود إسرائيل الكبرى ليست هي حدود مجال إسرائيل الحيوي.

(**الهدفالثاني**): حماية المصالح الأمريكية في منطقة البحر المتوسط، ليس فقط في مواجهة الغزو الشيوعي، بل وأيضاً لو حدث الصدام في مواجهة أوروبا المتحدة، أوروبا المتحدة التي تضم اليوم فقط دول غرب أوروبا، قد تضم غدا دول شرق أوروبا، وهي على كل لن تقف من واشنطون، موقف الانصياع الذي عودتنا، أنها سوف تعرف كيف تقول لا لواشنطون وعندئذ ما هي حدود هذا التطور ؟ وكيف يجب تهذيبه ؟ هنا يبدو دور إسرائيل »

ثم بدأ الكاتب يشرع في ايضاح هذا التطور فعرض لذلك حقائق ثلاث :

«**الحقيقة الأولى** أنه آن لنا ألا ننظر إلى إسرائيل إلا على أنها متحالفة مع واشنطون تحالفاً عضوياً بما يعنيه من نتائج، يجب أن تنعكس أيضاً على سياستنا مع واشنطون. **الحقيقة الثانية** أن هذا التطور يتيح للعالم العربي امكانيات لا حصر لها في التعامل مع أوروبا الجديدة: ليس فقط بمعني دعائي بل وكذلك بمعني حركي. وهو أمر في حاجة إلى المتخصصين المحنكين. **الحقيقة الثالثة** أنه يجب ألا يغيب عن الذهن أن إسرائيل سوف تستغل ذلك التحالف الجديد لتحقيق أهدافها في المنطقة، وسواء كان ذلك بتمزيق المنطقة، بحرب تشنها تل أبيب على الدول العربية، أو بصدام حقيقي دولي تلعب فيه إسرائيل دوراً أساسياً، فعلى حكام العرب أن يعوا معنى ذلك ويعدوا أنفسهم لمواجهته.

---

(1) ملف إسرائيل روجية جارودي * أطماع إسرائيل التوسعية ، لواء ركن محمود شيت خطاب ؛ * الطريق إلى بيت المقدس د. جمال عبد الهادي مسعود جزء 3.

ما يعنينا في هذه الصرخة: أين القيادة المصرية من احتمالات هذا التطور ؟ هل تعد نفسها لمواجهة مثل ذلك الموقف ؟ ليس فقط في التعامل مع إسرائيل، بل ومع القوي العظمى بل ومع نفس الدول العربية ؟

أم أنها سوف تظل تدفن رأسها في الرمال ؟ »

ثم شرع الكاتب – رحمه الله – بعد أن حذّر الأمة بالأخطار المحدقة من عدوها، بدأ الحديث عن القنبلة النووية التكتيكية، لأنها خطر المستقبل الحربي فقال : « الحديث عن القنبلة التكتيكية النووية ورغم أنه لا يزال يغلفه الكثير من الغموض أو على الأقل عدم الرغبة في طرح ذلك الموضوع علانية للنقاش بسبب مدى ما ترتب عليه من قلب لجميع معطيات التعامل الدولي أبرز مجموعة من الحقائق:

(أولاً) اكتشف الرأي العام أن الدولتين الأعظم أي الاتحاد السوفييتي من جانب والولايات المتحدة من جانب، هما وحدهما اللتان اكتشفتا القنبلة الذرية التكتيكية، وأن هذه القنبلة لا توجد ولا تخزن إلا في داخل كلتا الدولتين، بحيث أن القيادات المحلية سواء في حلف وارسو أو في الحلف الأطلنطي ليس لديها القدرة على الوصول إلى تلك القنبلة.

(ثانياً) في خارج هاتين الدولتين فهناك جهود مبذولة وضخمة توصلت إلى نتائج مرموقة في العلاقة بين اتحاد جنوب أفريقيا وإسرائيل، بل ثبت وكما سوف نرى تفصيلاً فيما بعد لدي المخابرات المسئولة أن هاتين الدولتين قد توصلتا إلى هذه القنبلة بفضل تعاون معين مكنهما من اختبار أيضاً تلك القنبلة منذ أكثر من خمسة أعوام.

(ثالثاً) أن الولايات المتحدة تتجه إلى فكرة ايقاف الجيوش المتحالفة الشيوعية، لو فكرت في الزحف حول وسط أوروبا وبصفة خاصة في ألمانيا الشرقية باستخدام هذه القنبلة النووية، أنها الوسيلة الوحيدة لايقاف التقدم الشيوعي نحو أوروبا الغربية وبصفة خاصة نحو بحر الشمال أو المحيط الأطلنطي بل والبحر المتوسط.

(رابعاً) جميع القيادات السياسية الأوروبية وقفت ضد ذلك الاستخدام وتساءلت: كيف نضرب أنفسنا بالقنبلة النووية، أيا كانت محدودية اشعاعاتها ؟ ورغم أن هذا القول كان بين جدران مغلقة إلا أنه تسرب للخارج، وكان رد فعله موجة عارمة في عدة اتجاهات: تدعيم التحرك بعيداً عن حلف الأطلنطي، ولو من خلال تحييد أوروبا من جانب آخر، ثم بروز صوت خافت بــدأ يرتفع تدريجياً يدور حول عملية نزع السلاح النووي والكيمائي من الأرض من جانب أخير.

في هذا الاطار برزت عملية توظيف إسرائيل في حوض البحر المتوسط لصالح الدبلوماسية الأمريكية.

قواعد التعاون الأمريكي الإسرائيلي في البحر المتوسط الشرقي:

تقدمت إسرائيل تعرض خدماتها الأمريكية، ورغم أن هذا تحيط به سرية مطلقة إلا أننا نعتقد أن عناصر هذا التعاون الذي لم تكتشف عنه حتي اليوم بطريقة واضحة تعني أموراً ثلاثة: **(الأمر الأول)** التخزين لهذه القنابل في إسرائيل.

(الأمر الثاني) استعداد إسرائيل لضرب أوروبا، وبعبارة أدق وسط أوروبا، حول أرض ألمانيا الشرقية وما يحيط بها في جنوب وسط أوروبا، بتلك القنابل لو طُلب منها ذلك من جانب واشنطون بحيث تمنع القوات اليسارية من أن تجتاز منطقة الألب، والتدفق نحو البحر المتوسط.

(الأمر الثالث) الانطلاق في تلك العملية من خطة كلية شاملة، أعادت تشكيل الاستراتيجية الأمريكية بما يخدم الأهداف الاستراتيجية.

كل من هذه العناصر في حاجة إلى تفصيل، بل يرتبط بذلك مجموعة من التساؤلات التي يجب على المحلل السياسي أن يتعامل معها بدقة ووضوح. **ماذا تجني إسرائيل من ذلك؟ وما هي الخطة الاستراتيجية الأمريكية الجديدة؟** وأين من كل ذلك التعامل الاسرائيلي مع منطقة الشرق الأوسط ؟ وأين وضع مصر ومستقبل مصر من كل ذلك ؟

الاستراتيجية الأمريكية الجديدة مع خطر الفيضان الروسي في وسط أوروبا

رغم أن الدبلوماسية الأمريكية وكذلك الاستراتيجية الأمريكية تطورت وتنقلت في اضطراب واضح منذ الحرب العالمية الثانية، إلا أن الأمر الذي لا شك فيه، أننا نلحظ وبصفة عامة فرقاً واضحاً، بين تلك الاستراتيجية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ونفس تلك الاستراتيجية عقب قرابة أربعين عاماً من تلك الحرب، النظرة الأمريكية التقليدية التي تبلورت خلال الخمسينات، وكان حصيلتها حلف الأطلنطي، أساسها الدفاع عن أوروبا في وسط القارة العجوز من خلال مثلث يجمع بين ألمانيا الغربية، وفرنسا، وايطاليا، كقاعدة متقدمة خلفها عناصر مساندة في بحر الشمال من جانب، ومن بريطانيا من جانب آخر، في خط ممتد من أقصي القطب على جنوب أوروبا بجوار البرتغال وأسبانيا، هذه النظرة اختفت وحلت محلها نظرية أساسها أن تلك الأرض سوف تقوم فقط بعمليات اعاقة للتقدم ؛ ولكن الدفاع سوف يتمركز في شمال أفريقيا أي جنوب البحر المتوسط. ومَردُ ذلك لعدة متغيرات:

(أولاً) وضوح ارادة المجتمع الأوروبي في عدم استعداده أو رغبته للدخول في حرب حقيقية تدور على أرضه حيث سوف يكون التدمير مخيفاً، والتضحيات لا حدود لها بسبب طبيعة الحياة الأوروبية، وفي حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

(ثانياً) وضوح التفوق الساحق لأوروبا الشرقية، الذي يجعل أي مقاومة مباشرة له عابثة ومن ثم فان الاستراتيجية الأمريكية تفضل البدء بارهاق التدفق اليساري في معارك جزئية ومن خلال عمليات انتشار سريعة وواسعة تبعد قواته عن مصادر تمويه وتطيل خطوط مواصلاته تسبق توجيه الضربة القاصمة.

(ثالثاً) الاتجاه الثابت في أوروبا نحو الوحدة، وإذا كانت اليوم تتوقع واشنطن الوحدة في دول السوق المشتركة، في غرب أوروبا، فان الآمال غير المعلنة هي أن تصير الوحدة لكل دول أوروبا بما في ذلك أوروبا الشرقية، وهذا ما يؤكده الجميع في فترة غير قصيرة نسبياً، مشروع توصيل نهر الدانوب بوسط أوروبا، وحتي لوكسمبرج، وجعله قناة مائية للاتصال يسير في خطي حثيثة على قدم وساق، الغاز السوفييتي يتدفق بدوره حتى ألمانيا الغربية، الأحاديث الخاصة تراهن على أن هذه الوحدة لن تتجاوز الربع الثاني من القرن القادم، بل والبعض يتصور أن هذه الوحدة سوف يصاحبها تفتيت* في الاتحاد السوفييتي ؛ بحيث سوف يشمل أيضاً روسيا الأوروبية، ليعيد حلم ديجول من الأورال إلى المحيط، فنترك الأحلام جانباً ولكن الذي لا شك فيه أنه خلال أعوام قليلة سوف نجد أكثر من نصف دول القارة الأوروبية في تكتل واحد، يعكس إرادة دولية واحدة وسياسة خارجية واحدة، جميع الجهود الأمريكية لوقف هذا التطور الذي باء بالفشل.

(رابعاً) كذلك وضوح الدور الذي تلعبه ليبيا لصالح الاتحاد السوفييتي، أن التكدس المخيف للسلاح في الصحراء الليبية وتصور أنه من ليبيا سوف يحدث تقدم سوفييتي نحو البحار المحيطة بأفريقيا لا يمكن أن تتركه واشنطن دون اهتمام.

وهكذا تبلورت عناصر هذه الاستراتيجية الأمريكية حول عناصر ثلاثة:

أ) **العنصر الأول** وهو محور هذه الاستراتيجية وأساسه، أن الجيوش الأمريكية(1)

(*) وقد حدث فعلاً هذا الأمر وأصبح واقعاً على الساحة .

(1) الجديد في هذه الاستراتيجية أن حلف الأطلنطي قد أسندت إليه مهمة محددة، الشمال الأفريقي ولهذا شكل قوة تدخل سريع - بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وأسبانيا - وجرت مناورات مشتركة مع بعض قوات المنطقة، تحت ستار مواجهة الخطر القادم من جنوب البحر المتوسط، والذي يكمن في الانفجار السكاني وتنامي الصحوة الإسلامية (راجع كتاب أزمة شيشان والخطر المحدق بمسلمي آسيا اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل ط، 1995 الناشر مركز الإعلام العربي صـ 15:12 - راجع أيضاً كتاب مذابح البوسنة والهرسك أندلس جديدة. اللواء فوزي طايل طبعة 1992 - الزهراء للإعلام العربي صـ 133/132 .

سوف تجتاح شمال أفريقيا، ابتداء من المغرب أي من المحيط الأطلسي ومتجهة في خطـــوات سريعـــة كاسحة نحو قناة السويس، لتخلق الاتصال مع إسرائيل، هذا التوغل سوف يحقق لها مزايـــا ثلاث:

(الأول) تحييد جميع القوي الموالية للاتحاد السوفييتي، وبصفة خاصة تضع حداً لإمكانية استخدام ليبيا كبقعة زيت للانتشار الروسي في أفريقيا، حيث يوجد تكدس للسلاح يدعو للقلق.

(الثاني) عدم الصدام المباشر مع القوى الشيوعية المتدفقة نحو وسط أوروبا، وحيث سوف يكون البحر المتوسط بمثابة عائق طبيعي.

(الثالث) الاعتماد على الذات، حيث أن القوى الأمريكية المتدفقة بدءاً من المغرب سوف تترابط مع القاعدة الأم، من خلال المحيط الأطلسي دون الحاجة إلى الوسيط وهو مفهوم بدأ يسيطر منذ عدة أعوام على الفكر العسكري الأمريكي.

ب) في خلال ذلك يُعهد إلى إسرائيل بوظيفتين لهما أهمية مطلقة في هذا التخطيط

(الأولى) وقد سبق ورأيناها وهي ضرب وسط أوروبا بالقنابل النووية التكتيكية؛ لايقاف التدفق الشيوعي، وهي الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك الهدف.

(الثانية) ضرب الأسطول السوفييتي في قواعده بالبحر الأسود ومنعه من الخروج بكثافة معينة إلي البحر المتوسط، مما لاشك فيه أن هناك عوائق طبيعية تحول دون ذلك الخروج المكثف، ولكن يأتي الأسطول الجوي الإسرائيلي والصواريخ أرض أرض التي تكمل ذلك وتمنع هذا الأسطول من أن يكون ذلك، وتمنع هذا الأسطول من أن يكون مصدر تهديد جدي وبصفة خاصة في البحر المتوسط الشرقي.

جـ)العنصرالثالث والذي أساسه التوغل[1] الأمريكي، بمساعدة الجيش الإسرائيلي في الشرق العربي، ليلتقي بالقوات التركية، وبحيث يستطيع أن ينال الاتحاد السوفييتي من أضعف مواقعه في منطقة القوقاز وما يحيط بها.

فلنترك جانبا العنصر الثالث الذي لم يتضح بعد بخصوصه التصور الأمريكي بدقة وثبات، ولكن فنتذكر أن هذا العنصر كان خلف الإدراك الأمريكي، الذي كثر الحديث عنه في لحظة معينة، والذي كان أساسه تحويل منطقة الشرق الأوسط إلى قاعدة دفاعية وهجومية للعسكرية الأمريكية، والذي ارتبط به التفكير في تحويل منطقة سينـــاء[*] إلـــى

---

(1) هناك اتفاقات أمنية استراتيجية بين (تركيل واليونان وإسرائيل وحلف الأطلنطي) وجرت مناورات مشتركة من هو العدو ؟

(*) هل يمكن أن تقوم قوات حفظ السلام بهذه المهمة ؟؟ سؤال ؟ يحتاج إلى أخذ هذا في الاعتبار وخاصة أن العدو لا يتهاون ؟

قاعدة مستقرة تخدم مثل هذا التحول، وعلى كل فان هذا التفكير ليس جديداً، بل كان أحد عناصر الاستراتيجية النازية التي كانت تسعى لأن تنال من الاتحاد السوفييتي، عن طريق الالتفاف من الجنوب ولم يوقفها سوى هزيمة روميل في العلمين.

بطبيعة الحال قد يتساء ل البعض: وهل هذا التخطيط وبصفة خاصة في عنصريه الأول والثاني لا يزال قائماً رغم التغير الداخلي في الاتحاد السوفييتي الذي وضح بصفة خاصة بعد مجئ (جورباتشوف) ؟ نعم لا يزال قائماً وعلينا بذلك الخصوص أن نتذكر عدة أشياء، أنه في نطاق التخطيط، فان واضع الاستراتيجية يجب أن يضع أمامه جميع الاحتمالات حتى لا يفاجأ في أي موقف يواجهه، من جانب آخر فان القيادة الأمريكية لا تزال تنظر إلى النوايا الحقيقية لجورباتشوف بكثير من الشك، ومن جانب ثالث فان احتمال اختفاء (جورباتشوف) وعودة الفريق الحاكم القديم أو على الأقل أفكاره لا تزال قائمة، ومن جانب آخر فلا يوجد ما يمنع من استخدام لغة السلم والسلام كوسيلة للتخدير، أو استعداد لحرب تأتي مفاجئة دون توقعات.

إسرائيل والاستراتيجية الجديدة في منطقة حوض البحر المتوسط

عودة إلى التساؤل: ماذا تجني إسرائيل من قيامها بهذه الوظيفة لصالح العسكرية الأمريكية ؟ أننا نعلم جيداً أن تل أبيب لا تعمل الا لحسابها، وحتى إن تظاهرت بأنها تخدم إحدى الاستراتيجيات الكبرى، فان أهدافها هو فقط مصلحتها، تعوّد (ابن جوريون) أن يقول على من يقود السياسة الإسرائيلية أن يتصور نفسه راكباً لدراجة ويريد أن يصعد الجبل، هو ينتظر حتى يجد حافلة متجهة إلى أعلى فيضع نفسه في وضع يجعله مشتبكاً مع الحافلة، ولا يفعل أكثر من أن يغير من وضعه تبعاً لحركة الحافلة في صعودها إلى أعلى ولا يتعب نفسه ولا يبذل جهداً أكثر من الاحتفاظ بتوازنه.

إسرائيل تحقق بهذا التوظيف أهدافاً متعددة، كل منها له وزنه:

(أولاً) أول هــذه الأهــداف والذي قد يبدو لنا محدود الأهمية ولكنه في الإدراك الصهيوني هو جوهري وأساسي: الانتقام من ألمانيا، إن ألمانيا النازية(*) التي استأصلت

(*) لقد ذكر روجية جارودي في كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" طبعة أولى 1996 – دار الغد صـ220 يقول [إنه لا توجد وثائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودي في معسكرات الإبادة والإعتقال أيام حكم النازيين في ألمانيا.] .
ثم قال في كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" طبعة ثانية عام 1997 أثناء محاوراته بالقاهرة صـ219 يقول : [ففي فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور، يوجد قانون باسم قانون (جيسو) صادر عام1990 وهو يقضي بالسجن على كل من يتشكك في رقم الستة ملايين يهودي =

المجتمع اليهودي يجب أن تدفع ثمن الخطيئة في شخص أبنائها، هذا الهدف ثابت وتقليدي في فكر حيروت، عندما أرادت تل أبيب في فترة (ابن جوريون) أن تعيد علاقاتها مع ألمانيا، حتى مع التعويضات المعروفة التـي مكنت إسـرائيل من حرب 1967 تصدي لـه (مناحيم بيجين) ولم يتردد للمرة الوحيدة في تاريخه أن يستخدم أقذر النعوت، وأقبح الصفات، وتحت قبة الكنيست، هدف نفسي ولكنه في المجتمع الصهيوني يصير عنصراً أساسياً وهاماً في تفسير التعامل.

(ثانياً) زيادة التبعية الأمريكية لإسرائيل، بعض القوي في داخل المجتمع الأمريكي بدأت تتحدث عن الخلاف الاستراتيجي، وبصفة خاصة في وزارة الخارجية ذات تقاليد التعاطف مع القضية العربية، هذا التوظيف لابد وأن يزيل هذه الغشاوة، ويطرح على الولايات المتحدة سؤالاً صريحاً، ما هو ثمن هذا التوظيف ؟ لمن يكون سوي مساندة إسرائيل في النطاق الإقليمي، الأمر الذي يفسر مواقف واشنطن إلى جانب إسرائيل في أكثر من مناسبة حتى والرأي العام الدولي وجميع القوى الدولية تضج من تعنتها وسلوكها ازاء أبناء فلسطين في الأرض المحتلة.

(ثالثاً) كذلك فإن مثل هذا التوظيف يصير ورقة حاسمة في التلاعب بنفس الاتحاد السوفييتي، أنها أداة للمساومة، والواقع أن عملية المساومة ليست جديدة في تاريخ السياسة الاسرائيلية، استخدمتها أثناء ثورة الخميني، وهي اليوم قادرة على استخدامها في علاقتها بالاتحاد السوفييتي، إسرائيل تعلم أن مستقبلها يتوقف على هجرة اليهود الروس وأحد وسائل التطويع للإرادة الحاكمة في موسكو، هو أيضاً التهديد المقنع، والواقع أن هذا التوظيف يرفع من إسرائيل ليجعل منها أحد أدوات التأثير في التوازن الدولي خصوصاً عندما يرتبط ذلك بأهداف أخرى رأيناها في التطور الكوني، الذي تعيشه الاستراتيجية الأمريكية.

= ـــ> الذين يقال أن هتلر وأعوانه قد أبادهم.] [عابد توفيق الهاشمي – الأستاذ المشارك والخبير وعميد كلية الدراسات الإسلامية سابقاً] في كتابه "عقيدة اليهودي في تملك فلسطين" طبعة عام 1990 صـ239. يقول : [والذي أراده – والله أعلم – أن الستةملايين يهودي الذين زعموا إعدام النازيين لهم قبل الإحصاء الذي حدث عام 1948 كان دعاية لهم لكسب عطف العالم عليهم في إقامة دولتهم والانتصار لهم. وانتقاماً من عدوتهم اللدودة ألمانيا التي مازالت تدفع الغرامات لإسرائيل منذ ما يقارب من نصف القرن !!] .

(رابعاً) على أن هناك أهدافاً أخرى أكثر عمقاً، وأكثر ارتباطاً بالتعامل الاسرائيلي مع منطقة الشرق الأوسط، فالولايات المتحدة لم تكن راضية عن التطور النووي في الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية، مثل هذا التعامل السابق ذكره، لابد وأن يؤدي إلى تحييد الولايات المتحدة ازاء التوجه الاسرائيلي، نحو انتاج القنبلة الذرية، وبصفة خاصة وهي لن تستخدم سوي القنبلة الذرية التكتيكية، لم نسمع كلمة واحدة عن هذه القنبلة التكتيكية، ولكن المتتبع للمناقشات لاحظ أمرين: "الأول" هجوم حقيقي على إسرائيل من جانب جميع المتحدثين الأوروبيين، "الثاني" وهو أن الجميع يعرف بخفايا التعاون العسكري بين واشنطن وتل أبيب، والذي يدور أساساً حول السلاح غير التقليدي.

ولنا عودة إلى ذلك، فمثل هذا الموضوع أخطر من أن يترك عابراً.

جميع هذه العناصر تقودنا مرة أخرى لتأكيد كيف أن سياسة إسرائيل الاقليمية والدولية هي الالغاء الكلي والشامل لوظيفة مصر في هذا المجال، وسرقة هذه الوظيفة فقط لصالح تل أبيب ".

وظائف إسرائيل والدور الاقليمي لصالح الدبلوماسية الأمريكية

قبل أن نترك جانبا هذه الوظيفة الدولية لاسرائيل، حيث تصير الوظيفة الاقليمية قوة تقود إلى تدعيم الدور الدولي والعكس صحيح، وحيث يبرز واضحاً كيف أضحت إسرائيل إحدى أدوات الدبلوماسية الأمريكية في تطويع المنطقة لخدمتها، وكيف يرتبط كل ذلك بتحويل إسرائيل إلى قاعدة تعمل فقط لصالح العسكرية الأمريكية، علينا أن نتذكر وظائف أخرى ترتبط بهذا التوظيف:

(الأولى)عمليةتخزينالسلاح، فكما أن ليبيا تخزن السلاح لصالح موسكو، فان إسرائيل تقوم بهذه العملية لصالح واشنطن، والسلاح الذي يخزن في إسرائيل ليس فقط السلاح التقليدي بل وبصفة أساسية السلاح غير التقليدي، القنبلة النووية التكتيكية رأيناها ولكن يجب أن نضيف السلاح الكيمائي والجرثومي، وكلاهما في غاية الخطورة في الحرب القادمة، وسوف نري ذلك تفصيلا فيما بعد.

(الثانية)تحويلإسرائيلإلىقاعدة(1) خلفية لتقديم الخدمات للجيش المقاتل، أي الجيش الأمريكي الذي قد يُفرض عليه القتال في هذه المنطقة، الخدمات متنوعة، فمنها

---

(1) لقد استطاعت واشنطن أن تخلق قواعد عسكرية لها في كثير من بلاد العالم العربي الإسلامي ومنها قاعدة ديجوجارسيا وقواعد أخرى في البحرين الأحمر والأبيض.

الخدمات الصحية، بما في ذلك المستشفيات والمصحات، كذلك الخدمات الترفيهية، والتي تبدأ من أمـــاكن الاسترخاء إلى منازل المتعة الرخيصة، مشروع (هوفمان) الذي كان قد طرح قبل الانسحـــاب الاسرائيلي من سيناء، والمتعلق بتحويل الكيبوتزات إلى قرى سياحية ليس غريبا عن هذا المفهوم والذي أساسه إنشاء خط من الكيبوتزات على طول الحدود الاسرائيلية الشرقية وبحيث يمتد حتى شرم الشيخ، وقد جاءت الفتـــرة الأخيـــرة تحدثنـــا عن التفكير في مشاريـــع أخرى على طول الشاطئ الاسرائيلي وبصفة خاصة في الجـــزء المواجـــه لمدينة القدس .

(الثالثة)ويرتبطبذلك مشروع قديم طرح في أوائل الستينات، حول مستقبل إسرائيل. وعاد الحديث عنه يتجدد خلال الأعوام الماضية بخصوص تحويل تل أبيب إلى عاصمة[1] سياحية ومصرفية لمنطقة الشرق الأوسط، بل وفي علاقات هذه المنطقة بالقارات الثلاث، العاصمة السياحية تعني ربط تل أبيب بالعالم القديم من خلال أربعة خطوط حديدية إحداها يتجة إلى طهران عبر بغداد والثاني يخترق صحراء سيناء، ليصـــل إلي الرباط على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوســـط الأفريقي، والثالث يدور حول البحر الأحمر مخترقا شبه الجزيرة العربية شرقاً، وحوض وادي النيل غرباً، لتجتمع هذه الروافد الثلاثة في تل أبيب، ليصعد منها خط رابع يصل إلى أوروبا عبر استانبول وليعيـــد إلى الحياة في صورة أكثر عصرية قطار الشرق السريع، المهم أنه في هذا التصـــور تصير تل أبيب وقد أضحت العاصمـــة العالمية للسياحة التقليدية في دول القـــارات الثـــلاث القديمـــة، وهكذا تتعانـــق النواحـــي الاقتـــصادية بالأبعاد العسكرية وكلاهمـــا يجتمعان فـــي توظـــيف اقليمي، لصـــالح النفوذ الـــدولي، وفـــي توظيف دولي لصالح التوســـع الاقليمي لدولة إسرائيل ".

---

(1) وهنا نتساءل : هل هناك علاقة بين هذا الهدف وبين تخريب مصر من الداخل ؟ والسياحة في مصر ؟ ونجيب على هذا التساؤل فنقول : نعم هناك علاقة وطيدة بين تخريب مصر من الداخل وتخريب السياحة فيها، حتى تتحول "تل أبيب" إلى عاصمة سياحية. راجع في ذلك

أ – كتاب الطريق إلى بيت المقدس الجزء الثالث د. جمال عبد الهادي مسعـــود طبعة أولـــى 1993 . دار الوفاء صـ 169 الفصل الثالث النقطة ثالثاً .

ب– كتاب الجواسيس غير الكاملين . يوسي ميلمان – دان رافيف – ترجمة لواء أ.ح.د. فوزي طايل الزهراء للإعلام العربي طبعة أولى عام 1994 صـــ 91 عملية "سوزانا" وتعني القيام بأعمال التخريب في مصـــر ... صـ 93 تحت عنـــوان قضيـــة "لافـــون" والتي قامت بها الوحدة 131 . =

" ولكن هل هذا هو كل شئ ؟

وكيف يمكن في هذا الاطار أن تترك القيادة الصهيونية مصر دون أن تسيطر عليها وتتحكم في قيادتها، وتوجهها حيث تريد، تارة بوعي حقيقي وتارة دون وعي.

مصر تملك وظيفتها التاريخية، حضارية، واقليمية، ودولية، وهي لابد وأن تصطدم بمثل هذا التصور الإسرائيلي، ومن ثم لابد من شَل واستئصال مصدر الخطر.

كيف تفكر إسرائيل والقيادة الحاكمة في تل أبيب بهذا الخصوص ؟

سؤال في حاجة إلى وقفة تأمل. »

= ---> جـ- والعدو الصهيوني يعلم يقينا بأن مصر تعتمد اعتماداً رئيسياً على السياحة، وهي -إسرائيل- تعلم من زعمائها أن العنف يهدد الأفواج السياحية ويجعلها لا تقبل على البلد مرة ثانية وإذا تكرر العنف مع السياح ظهرت نشرة عالمية بعدم التوجة -السياحي- إلى البلد الذي يزيد فيها العنف ضد السياحة . وهذا ما قرره شيمون بيريز في كتابه "الشرق الأوسط" المصدر السابق عند الفصل الحادي عشر صـ 167 تحت عنوان "تطوير السياحة" فيقول : « تشكل السياحة أحد أهم المصادر الطبيعية في الشرق الأوسط المشمس، وهي المنطقة التي لعبت دوراً حيوياً في تاريخ البشرية وثقافتها والأديان، والشرق الأوسط، هذه الجنة السياحية تعاني من مشكلة أساسية في هذا المضمار وهو العنف الذي يترك آثارة السلبية على السياحة. فالعنف يفزع السياح في حين أن تهديدات الحرب تعتبر من أخطر العراقيل أمام ازدهار السياحة والحروب الكبيرة ليست وحدها التي تعيق السياحة بل والحروب الصغيرة، وأعمال العنف. وعليه فإن العنف النابع من دوافع دينية أو سياسية والذي يستهدف السياح أو المواقع السياحية على وجه الخصوص يبعد الملايين من الناس عن الشرق الأوسط كل عام »

المقالــة الخامســة

" الترسانـة العسكريـة الإسرائيليـة الجديـدة وخصائصهـا القتاليـة "

تحت هذا العنوان كتب المؤلف – رحمه الله – « الموضوع الذي نثيره على هذه الصفحات من أعقد ما يمكن أن يتعرض له مفكر. انه في جوهره يدور حول تقييم سياستنا في مواجهة إسرائيل. مثل هذه العملية، عملية التقييم، تثير العديد من الصعوبات، التي يكاد يستحيل اجتيازها. أولى هذه الصعوبات وأهمها المصادر، فإلى جانب صعوبة الوصول إلى المعلومات الحقيقية، فان أحد أساليب أجهزة المخابرات المعروفة هو تسريب معلومات غير دقيقة، أو خاطئة بقصد، تارة هي مُبالغ فيها لخلق الخوف والرهبة، وتارة هي بعيدة عن الموضوع لجذب الأنظار بعيداً عن حقيقة ما يجري في الدول أو المجتمع موضع المناقشة. كلا هذين الأسلوبين برعت فيهما المخابرات الإسرائيلية والأمريكية.

الأسلوب الأول أي خلق الخوف والرهبة إلى حد اليأس، استخدمته القيادات الصهيونية، وقد كشفنا عن ذلك في مؤلفنا عن "الحرب النفسية" وحتى قبل صدور القرار الدولي بالتقسيم.

الأسلوب الثاني برعت فيه بدورها المخابرات الأمريكية، والتقرير المشهور عن الانتاج البترولي في الاتحاد السوفييتي أضحى من المسلم به أنه اختلق، وبهدف محدد، يدور حول صرف النظر عن احتمالات انخفاض سعر البترول في فترة معينة، ومن هنا تبدو أمامنا أول صعوبة في التحقق من المعلومات. درجت الدول ذات الفاعلية الدولية أن تكون إحدى وظائف أجهزتها للمخابرات الدراسية العلمية المتأنية لهذه التقارير واتخاذ قرارات بشأنها من حيث الترجيح أو الاستبعاد، ودرجة سواء الترجيح أو عدم القناعة، جهاز المخـابرات في ألمانيا الغربية يضم أكثر من أربعمائة عالم متخصص، وظيفتهم فقط

هـذه العملية، **فهل نحن على علم بذلك** ؟ وهل جهاز المخابرات لدينا يملك مثل هذه الأداة ؟ لا أريد أن أجيب فإن ما أعرفه لا يدعو إلا إلى الخجل، ولذلك فان الحديث يجب أن يكون بحذر، وأن يتجنب المرء سواء التهويل والمبالغة أو التهوين والتحرز في كلا الحالين هناك، خطأ يجب تفاديه.

• • ويرتبط بذلك، ورغم أن ذلك موضوع آخر سوف نعود له في موضع آخر، بينما إسرائيل بفضل أجهزتها المتعددة المتواجدة بيننا، استطاعت أن تعلم كل شئ عنا، وبجميع التفاصيل الخفية حتى عن علمائنا، نحن لم نعلم ولن نعلم عن إسرائيل شيئاً بسبب ذلك التهرب الواضح من قياداتنا، في الخوض في هذا الموضوع، ولا نقصد فقط بقياداتنا أولئك المسئولين عن سياستنا الخارجية والعسكرية بل وحتى قياداتنا العلمية.

• • في مثل هذا الواقع، لو اضطر الباحث أو المسئول اتخاذ موقف صريح بما يعنيه ذلك من ترجيح معين، فكيف يكون السبيل ؟

علماء الاستراتيجية يتقدمون بقاعدتين:

«الأولى» أي احتمال مهما ضعفت نسبة ترجيحه يجب أن يؤخذ في الاعتبار، وأن تُعِدّ العُدة لمواجهته.

«الثانية» أن تخطيط التعامل يجب أن يكون أساسه ما اتفق على تسميته «أسوأ موقف للتعامل».

القاعدة الأولى تعني أنه مهما ضعفت احتمالات موقف معين، فيجب أن يؤخذ ذلك الموقف في الاعتبار. من المعروف أن احتمالات الحرب النووية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لا تتجاوز ٢٪ وأن نصف ذلك الرقم أي ١٪ أساسه احتمالات حدوث اضطراب ذهني لمن يملك مفاتيح اتخاذ القرار، بإطلاق السلاح النووي. وهذا يعني أن الاحتمال الحقيقي هو فقط بنسبة ١٪ ومع ذلك فان هذا الاحتمال هو أساس مطلق للاستراتيجية الأمريكية وتبعاً لذلك جميع عناصر التحرك الدبلوماسي الأمريكي.

القاعدة الثانية هي أن على المخططْ للتعامل أن يفترض أسوأ موقف للتعامل سواء بمعنى تحالف الأعداء، بل وجميع الأعداء، أو احتمال المباغتة دون أي قدرة على التوقع أو احتمال تحييد جميع أدوات الدفاع والتعامل العسكري. أسوأ موقف يمكن أن تتعرض له دولة معينة، ما هو هذا الموقف ؟ أي أسوأ وضع يمكن أن توجد فيه دولة من الدول، هو الذي يجب أن يكون أساس التخطيط للتعامل مع الأعداء، بل أن هذا الافتراض، وهذا

التصور، يصل إلى حد وضع خطة للتعامل، أساسها تحول جميع الأصدقاء إلى أعداء، ولهذا نسمع الحديث حتى عن استراتيچية للقتال، أساسها نزع السلاح من يد العدو، لاستخدامه ضد ذلك العدو. وذلك يعني وضع نشن فيه قتالاً ونحن لا نملك سلاحاً للقتال(1).

ماذا يعني ذلك بالنسبة لنا ؟

يجب أن نجعل ولو من احتمال القتال مع إسرائيل بنسبة ١٪، أساساً للتقدير وأن ندخله في حسابنا بجدية كاملة، كذلك يجب أن نملك استراتيچيتنا المستقلة، والتي أساسها أسوأ موقف متصور، ويعني ذلك احتمال أن تنقلب جميع الدول العربية ضدنا، بل ومتحالفة مع إسرائيل. إن هذا هو علم التدبر، ولكن هل نحن نملك قيادة تَصلُح لذلك(2) ؟

ملحوظة أخرى يجب أن نطرحها منذ الآن، ونكون على وعي حقيقي بما نعنيه، تحليلنا للواقع الاسرائيلي بصدق وأمانة، لا يعني أننا غافلون عن ذلك الذي أصاب هذا الواقع من ضعف داخلي، واقليمي، ودولي، اسرائيل لم تعد تملك تلك القيادات الرائدة، زعماؤها أشبه برجال العصابات تبحث عبثاً عن واحد من الطبقة الحاكمة، يمكن أن يوصف بأنه رجل دولة، التماسك الايديولوچي اختفي منذ حرب لبنان، المشروع الصهيوني قد دخل مرحلة التهلهل، ولكن ونحن نؤكد ذلك(*) علينا أن نتذكر كذلك ضرورة مقارنة إسرائيل بخصومها الذين يحيطون بها، المثل الذي نعرفه جيداً يقول بأن «الأعور وسط العميان ملك».

---

(1) اذن عدم وجود توازن في التسليح ليس مشكلة وإنما المشكلة هي وجود إرادة القتال ومواجهة تحديات العدو .

(2) الجواب بصراحة .. لا والسبب في ذلك لا أقول غياب الاستراتيچية العسكرية ولكن لغياب الإسلام نفسه عن قياداتنا !!

(*) تشير صحيفة "The Jewish chronicle" إلى كتاب "سقوط إسرائيل" فتقول : « يعيش معظم الإسرائيليون حياتهم – البائسة – وهم يشعرون بالامتنان .. للسياسيين الذين يحكمونهم .. إن حكاية كون إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط .. مهزلة . ولأول مرة يظهر كتاب يخاطب غير المتحدثين بالعبرية ليفضح الفساد المالي والسياسي الذي تحياه الدولة اليهودية ومع إختلافنا مع دوافع المؤلف فإننا نتفق معه في أن إسرائيل الدولة اليهودية "آيلة للسقوط"، ولكن إرهاصات سقوطها شئ آخر غير ما يعرضه المؤلف .. ونرجو أن نهدي هذه الترجمة إلى كل الذين يحاولون بعث الحياة في أشلاء عفنه .. بقي أن نشير إلى أن الكتاب صدر في الربع الأخير من عام 1992 لمؤلفه "باري شميش" وهو من مواليد 1952، وقد هاجر إلى الأرض المحتلة عام 1975، حيث خدم في الجيش اليهودي وعايش أحداث غزو لبنان. وبهذا فإنه يكون "شاهد من أهلها".
راجع كتاب "سقوط إسرائيل" لمؤلفه "باري شميش" ترجمة : عمار جولان/محمد العابد، مراجعه علي رقان الأهلية للنشر والتوزيع . الأردن . الطبعة الأولى 1993 ص6

- أيها القارئ .. هذا الأمر أكد عليه اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل في كتابه "النظام السياسي في إسرائيل" مرجع سابق فقال : [هكذا تقترب إسرائيل من القمة وأيضاً من حافة الهاوية .. كلما اقتربت أكثر من تحقيق فكرة إعادة بناء الهيكل على انقاض المسجد الأقصى] .
- وهذا ما أكده الكاتب – رحمه الله تعالى – فهل وعى الناس توجيهات علمائهم !!؟

يجب منذ البداية أن نتساءل: لماذا إسرائيل وهي مصابة بكل هذه النقائص قوية في مواجهة خصومها ؟

أسباب ثلاثة يجب أن تكون واضحة في الذهن نسردها مؤقتاً دون التفصيل في جزئياتها ولو مؤقتاً.

أولاً: الضعف العربي على جميع المستويات ودون استثناء، لا يجوز أن تخدعنا الأصوات المرتفعة، ولا يجوز أن نقف أمام الظواهر البراقة، قوة الشعوب ليست بغناها أو بحالة اليسر التي يمكن أن تعيشها بعض الفئات، القوة الحقيقية هي الصلابة والقدرة على تخطي المصاعب.

ثانياً: التموين الخارجي وعلى وجه التحديد من جانب القوى العظمى للوجود الاسرائيلي، جميع القوى الدولية تقف إلى جوار إسرائيل، بعضها بصراحة، حيث يتم توظيف الدولة اليهودية لصالح تلك القوى، ولكن هناك قوى أخرى من حيث الواقع تقف إلى جوار إسرائيل وإن كانت تعلن غير ذلك، والدليل الواضح هو أحد الأمثلة: دولة كفرنسا، انها هي التي مكنت إسرائيل من أن تصير دولة نووية، والتعاون بينها وبين إسرائيل حتى هذه اللحظة بذلك الخصوص على قدم وساق.

ثالثاً: القدرة الصهيونية فإذا كانت إسرائيل تضعف كقدرة دولية، تزداد قوة وتوغلا حتى أن الحديث عن الصهيونية غير اليهودية أضحى متداولاً ومتكرراً، وهي بهذا المعني قادرة على أن تقدم لإسرائيل قيادات تلعب من خلف الستار، ذلك الدور الذي عودتنا القيادات الاسرائيلية أن تقوم به وبفاعلية، ولنذكر على سبيل المثال (سيلفر وجولدن) وعقبهما (كيسنجر) الذي أنقذ إسرائيل حقيقة في حرب 1973، ومكنها من نصر دبلوماسي لم تكن تحلم به(*)، وسوف نري ذلك في موضعه.

(*) هذا النصر الذي حققه كيسنجر في حرب 73 حقيقة لم يكن من عنده .. أو بسببه .. ولكن بسبب ضعف المفاوض الذي معه وهو الرئيس السادات . قال محمد إبراهيم كامل وزير خارجية مصر [قدرة السادات التفاوضية من خلال التجربة التي حدثت في كامب ديفيد كانت غير موفقة وسيئة للغاية، فهو اعتمد على عناصر معينة على أمل أن تدفع بالمبادرة إلى طريق النجاح، دون أن يدرس حدود وإمكانيات الشخصيات التي واجهها سواء مناحيم بيجن أو الرئيس الأمريكي كارتر الذي اعتمد عليه اعتماداً كلياً في كامب ديفيد.] صـ105 من كتاب " كامب ديفيد في عقل وزراء خارجية مصر" .

- ولقد قال محمود رياض – الخبير السياسي الأول لقضية فلسطين [كانت كامب ديفيد في عقل وزراء خارجية مصر – محمود فوزي – مكتبة مدبولي – طبعة أولى 1990 وكان ضعف السادات يتمثل في فشله في حرب أكتوبر 1973 في تحقيق مكاسب سياسية ، وتحول الميزان العسكري لصالح إسرائيل عام 1978، وبالنسبة لعام 1973 في حين تناقصت قوة الجيش المصري بشكل ملحوظ عن عام 1973 صـ 191 كما تخلي السادات عن الاختيار العسكري بتوقيعه اتفاق فض الاشتباك في عام 1975 وتعهده بعدم استخدام القوة] . مصدر سابق .
- ثم يقول في صـ 212 [فتاريخ السادات معروف لدي بالكامل .. الرجل لم يمارس سياسة خارجية، هذا فضلاً على أنه، وإن كان يقرأ، إلا أنه ليس بمقدار اطلاع عبد الناصر ولم تكن لديه التجربة =

إسرائيل التي نواجهها اليوم، والتي سوف نواجهها في الغد، بل وفي الوقت العاجل ليست هي التي واجهناها حتى حرب1973. هذا ما يجب أن ندخله في الاعتبار وأن تفهمه قياداتنا بوضوح مما لاشك فيه، أن إسـرائيل اليـوم والغد تملك من عناصر الضعف الكثير، ولكنها تملك أيضاً من عناصر القوة الكثير. وواجب قياداتنا أن تفهم فن القيادة، أن معنى ذلك تحليل عناصر القوة لشلها، وعناصر الضعف لتضخيمهـا، قياداتنـا تفضل على ذلك ما أسميه سياسة البكاء على الاطلال واللطم على الخدود. **فهل هكذا تقاد أمة ؟**

أحد عناصر القوة في إسرائيل هو المؤسسة العسكرية.

فهل لدينا جهاز يدرس ويملك من المعلومات الدقيقة والمتجددة كل ما يعني تلك المؤسسة؟ منذ قرابة خمسة أعوام، خرج علينا عالم إسرائيلي يتحدث عن الديمقراطية العسكرية ومستقبلها في إسرائيل. وكان لمؤلفه في الأوساط العلمية المتخصصة دوي القنبلة وعندما عدت إلى القاهرة منذ عدة أشهر رحت أبحث بحكم الفضول العلمي، عن هذا الكتاب أو من قرأه واطلع عليه أو تساء ل عن معنى ما ورد به فلم أجد إلا البلاهة المؤلمة. والغريب أن صاحب هذا المؤلف وهو إسرائيلي «يورام بيري» ينتمي إلى مدرسة علمية يقودها عالم آخر يهودي ولد بالأسكندرية ويعمل حاليا في جامعة هارفارد، وأصدر مؤلفا منذ أكثر من عشرة أعوام يعبر عن نفس التوجه ولكن بحذر، حل ضيفا في أكثر من مناسبة على مصلحة الاستعلامات المصرية، ولم يفكر أحد في أن يجري حواراً معه من متخصص ليستفيد على الأقل من وجوده ومما انفق عليه في مصر أثناء حلوله ضيفا مكرماً على بلادنا ؟ أقصد بذلك العالم اليهودي (سافران).

قديماً قيل أن الشكوي لغير الله مذلة. فهل ينطبق هذا القول أيضاً على علماء مصر الذين يعيشون ولا هاجس لهم الا أن يوقظوا الهمم ويعيدوا القيادات إلى وعيها.

= —> الشخصية علي التفاوض وتندهش إذا سمعت وقرأت رأي كيسنجر في أنور السادات وقدرته التفاوضية ، فلقد عقد كيسنجر مقارنة بين القدرات التفاوضية لكل من الملك فيصل والرئيس الأسد والرئيس السادات ، وكانت النتيجة أن السادات أضعفهم !! فليست لديه أي قدرة علي التفاوض .. ويروي كيسنجر أنه حين ذهب إسرائيل قدموا له مشروعاً ليقدم للسادات فقال لهم : لا .. قدموا له مشروعاً متشدداً حتى إذا ما رفض السادات هذا المشروع الذي وافق على المشروع المتشدد وقال إن لديه مشروعاً سوف يسميه "مشروع كيسنجر"، وانتهي الأمر بأن السادات قبل المشروع المتشدد بمنتهى السهولة !! ولما عاد كيسنجر إلى إسرائيل استقبله في المطار أيبابان وسميحاديتز سفير إسرائيل في واشنطن.] أ.هـ كتاب "كامب ديفيد في عقل وزراء خارجية مصر" – محمد فوزي ، مكتبة مدبولي – القاهرة – 1990 .

القيادة التي تخطط لمستقبل اسرائيل، ولفلسفة التعامل مع المنطقة، هي القيادة العسكرية المهنية، أفرزتها وعلمتها حرب لبنان، وهي تعمل في صمت وهدوء استعداداً للمعركة القادمة. فلنقتصر مؤقتاً على تحديد بعض العناصر التي يجب أن نكون على وعي بها، وقد طرحنا موضوع القنبلة النووية التكتيكية. نقطة البداية، في الفقه العسكري الاسرائيلي، الذي تكون خلال الأعوام العشرة الماضية، ينبع من نقطة أساسية في كل ما له صلة بالتعامل مع دول الجوار، وقد فُهمت هذه الكلمة بأوسع معانيها: التمييز بين الاجابة على السؤال، متى يجب أن تحارب إسرائيل ؟ والسؤال الآخر كيف يجب أن تحارب إسرائيل ؟ السؤال الأول يعني تحديد اللحظة التي فيها تكتمل عناصر التطور، فإذا باسرائيل عليها أن تلجأ إلى أسلوب القتال العضوي، بمعني أن ترفع السلاح ولا تجد سوي هذه الأداة أي القوة العنيفة وسيلة لتحقيق أهدافها القومية. تحديد هذه اللحظة هي وظيفة القيادة القومية، ولكن السؤال الثاني يختلف: أنه يعني ما هو الأسلوب الأمثل للقتال؟ ما هو خير أسلوب للقضاء على الخصم ؟ وهو يعني ليس فقط السلاح المستخدم، بل وكذلك الأرض التي يجب أن تحتضنها الاداة المقاتلة، فضلا عن أسلوب ادارة القتال، الحرب هي سلاح، وقائد وأرضية للمعركة وأسلوب للتعامل مع هذه العناصر الثلاثة. أي تخطيط للقتال هذا هو جوهر العملية القتالية ولا يجوز أن تتدخل فيها أي قيادة خارج القيادة العسكرية، كل ما يتصل بها لا يمكن أن تقول فيها كلمة إلا المؤسسة العسكرية، وقيادتها القتالية، قد تبدو التفرقة بين متي يجب أن نقاتل ؟ وكيف يجب أن نقاتل ؟ سهلة واضحة، وهي كذلك في كثير من المواقع، هل يكون البدء بالهجوم من جانب الجيش الاسرائيلي أم تلقي الضربة الأولى يكون من نصيبه ليعقب ذلك الهجوم الصاعق ؟ هل تكون البداية بمعني الضربة المجهضة، وسيلتها الصواريخ المكثفة، أم يجب الالتجاء إلى الطيران لأداء تلك الضربة المجهضة ؟ هل يجب أن يأخذ القتال صورة التراجع مع سياسة الأرض المحروقة، ثم القيام بعملية التفاف وحصار لاكراه الجيش المتقدم على الاستسلام، أم الهجوم الممتد على شكل رأس الثور ؛ مع البحث عن نقاط الضعف لتحقيق عملية اختراق، ومن ثم فرض الاستسلام؟ هذه أسئلة جميعها تدور حول الاستفهام: كيف يجب أن نقاتل، وليس من حق أحد سوي المؤسسة العسكرية أن تتدخل فيه، ليس (للقيادة القومية)(1)، والتي يغلب عليها الطابع السياسي سواء كانت تمثل الطبقة الحاكمة، أو المعارضة المسئولة أن تتدخل فيها.

---

(1) كان رسول الله محمد ﷺ والخلفاء الراشدون (أبو بكر – عمر – وعثمان – وعلي) رضوان الله عليهم أجمعين يخططون ويتابعون التنفيذ، ويختارون القادة والجند للمعارك التي حققت الإنتصارات وأدت إلى إسقاط أكبر امبراطوريتين فارس والروم .

منطق عسكري جديد لم تعرفه إسرائيل قبل ذلك، وبصفة خاصة قبل حرب لبنان، ورغم أن هذا المنطق سوف يكون موضع تحليل أكثر عمقاً، وأكثر تفصيلاً فيما بعد، إلا أن يعنينا مؤقتاً من هذا المنطق عنصران أساسيان.

(العنصرالأول) الفهم الواضح للمتغيرات الجديدة، التي تعاصرها المنطقة، والتي يجب أن تتعامل معها من هذا المنطلق العسكرية الاسرائيلية.

(العنصرالثاني) النتائج المترتبة على ذلك التطور، من حيث السلاح الذي يجب أن تستخدمه إسرائيل في تعاملها مع المنطقة.

نتابع هذين العنصرين بشئ من التفصيل، لنصل إلى موضع القنبلة النووية التكتيكية في هذا الاطار العام.

العنصرالأول: لا يزال يسيطر عليه التقليد الثابت من أن إسرائيل يجب أن تظل متفوقة على جميع الدول العربية في آن واحد. هذا التفوق الذي كان من السهل تحقيقه حتى حرب ١٩٦٧ لم يعد كذلك.

مصادرالمقالةالخامسة

- PERI, Between battles and ballots, Israel military in polltics, 1984.
- CROSE, Israel In the mind of America, 1985.
  051 El SENSTADT, The transformation of Israel society 1985.
- FREEDMAN, The Middle east after the Israel invasion of lebanon, 1986.
- KRAUSZ, politics and society in Israel. 1985.



المقالــــة السادســـة

"الخطوة الإسرائيلية القادمة : حرب توسعية لتحقيق الهيمنة الصهيونية الكاملة على المنطقة"

"هناك حرب قادمة في منطقة الشرق الأوسط .."

تحت هذا العنوان كتب المؤلف -رحمه الله- فقال : "هذه الحـرب، سـوف تشنهـا تل أبيب على دول المنطقة المحيطة بها .. وهي حرب من نوع جديد .. لن يكون هدفها مجرد الدفاع الهجومي، كما عودتنا إسرائيل، ولن يكون محورها أن تنتزع الشرعية الاقليمية بقوة السلاح كما حدث في عام 1956. أو تأديب القيادات التي جرؤت على أن ترفع راية العصيان ضد رعاة البقر، وكما حدث أيضا عام 1967. وإنما سوف تكون حرباً توسعية، بقصد تحقيق الهيمنة الصهيونية الكاملة على المنطقة.

خرج البعض من كتابنا الذين تعودوا التصفيق لكل دخيل أجنبي، عقب حرب رمضان يتحدث عن عصر الهيمنة .. وهذا غير صحيح .. فإسرائيل ورغم كل قوتها لا تزال تعيش وتدور في فلك الارادة العربية. مما لا شك فيه أنها هزمت في ميدان القتال ثلاث دول عربية منذ أكثر من عشرين عاما، وهي قد هزمت على دائرة المفاوضات منذ أكثر من عشرة أعوام أكبر دولة عربية في المنطقة، رغم ذلك، ففي كلا الانتصارين لم تحقق إسرائيل أي غزو حقيقي، الغزو يعني ايستئصال الإرادة المقاتلة، وفي كلا المعركتين لم تحقق تل أبيب شيئاً من ذلك، فالانتصار الأول ارتبط بتردد إسرائيلي، ورخاوة قيادية فلم تجرؤ على أن تستأصل الإرادة المقاتلة، لم تعرف كيف تتبعها في داخل وادي النيل لتستحقها، هذه الإرادة هي التي تصدت في معركة العش، ثم في حرب الاستنزاف، وهي إرادة مصرية خالصة، انتفضت في أكتوبر عقب الهزيمة العسكرية بستة أعوام، لتزلزل

الكيان الإسرائيلي الذي لم ينقذه إلا التدخل الأمريكي، فلندع جانبا لغة المزايدات والكذب والاختلاق التي برعنا فيها نحن العرب، الجيش الثالث حُوصر ولكن الهزيمة قد سجلها التاريخ، ولن تُمْحى من الذاكرة اليهودية، كذلك الانتصار الدبلوماسي لم يكن حقيقياً .. لقد ارتفعت إرادة الشعب المصري تقول كفى .. واستئصل الرجل الذي قاد مسيرة الاستسلام .. وإذا كانت توابعه لا تزال تحكم في أرض وادي النيل فهي تعيش في خوف، وترتعد، تحسبا لما هو قادم .. وهي تسير على وقع إرادة التحدي، وتنحني ازاء ها .. الذي يعنينا أن نرصده، هو أن تل أبيب استطاعت أن تفتح لها منزلا في القاهرة يأوي فيه سفير وأعوانه، وقد أحيط بهم سور الصين العظيم، ولكنها لم تستطع أن تخلق لها ولو حانوتا واحداً في تلك القاهرة، يؤمن أو يتصور أن اسرائيل قادرة على أن تكون لها علاقات سوية بشعب مصر.

وهي لذلك لابد وأن تشن حرباً جديدة ؛ لتحقيق تلك الهيمنة التي تسعى إليها منذ أكثر من ربع قرن، دون أن تنجح، متى ؟ ولماذا ؟

الإجابة عن السؤال الثاني أي لماذا ؟ يسمح بتحديد الاجابة على السؤال الأول، والذي يدور حول تحديد لحظة هذه الحرب القادمة. كذلك فان الاجابة الدقيقة والمحددة، لا يزال الوقت لم يحن بعد لصياغتها .. ولكن الإطار العام بما يخلق القناعة باحتمالات هذه الحرب القادمة جدير بأن نطرحه ونحدد عناصره الأساسية منذ الآن.

قبل أن نلقي بأنفسنا في متاهات الإجابة على هذا السؤال، وكيف أن اسرائيل وقيادتها تفكر جديا في حرب قادمة، يجب أن نلاحظ كيف أن هذا التفكير يعود إلي عام 1973 وفي أثناء حرب أكتوبر المعروفة .. أحد العناصر الأساسية التي سيطرت على (كيسنجر) في تدخله أثناء معركة أكتوبر، هو إعطاء إسرائيل فرصة إعادة البناء الذاتي والعسكري للقيام بحرب جديدة، تحقق الأهداف والآمال اليهودية التي لم تحققها حرب 1967 .

إن كيسنجر كان واثقاً من قدرة إسرائيل في عام 1973 وعقب الثغرة، التي هللوا بها وأحاطوها بعملية اخراج مسرحية، لما كان قد تردد في التعامل مع الموقف على هذا

الأساس .. وإن ما كشفته الوثائق[1] بل ونفس تصريحات (هنري كيسنجر) وأعوانه، كان الخوف على إسرائيل وإن أكبر ما كان يخشاه، أنه وقد وُلد على ضفاف قناة السويس الشعب المقاتل[2] ؛ الذي كانت الأمة العربية في حاجة إليه، أن يبرز في مصر جمال عبد الناصر جديد أشد صلابة من الزعيم الراحل .. وقد تعلم من أخطائه، وارتفع على نقائصه، يستطيع أن يكمل التطور وبمساعدة الاتحاد السوفييتي، ومن ثم يتمكن من استئصال الوجود الصهيوني في المنطقة، وهكذا كان الهدف الأمريكي هو إجهاض النصر الذي حدث ورغم أنه لم يكن سوي في البداية، وقد نجح في ذلك، بفضل قائد هش، بل وقيادة استراتيجية متخاذلة، لم تكن على مستوى القيادة الميدانية التي اقتحمت القناة، ودمرت خط بارليف، وزلزت العالم، منذ ذلك التاريخ وإسرائيل تستعد للحرب القادمة، واليوم أضحت ملامح ذلك واضحة للعيان.

لماذا لابد وأن تلجأ الأسباب التي تستتر خلف إرادة القتال الاسرائيلية، ليست في حاجة إلا إلى العين المدققة لتكتشفها:

(أول هذه الأسباب) أن الشعب المحارب في منطقة الشرق الأوسط، قد وُلد حقيقة وهو اليوم يعيش طفولته الأولي .. الأمة المقاتلة التي لا تعرف سوِي دلالة واحدة، توجد اليوم في جميع أجزاء الشرق الأوسط، لقد وُلدت هذه الأمة في وادي النيل، حيث وقف رجل الشارع وهو يتحدي، وجاء الجندي العراقي فأثبت أن هذه القدرة توجد في كل مكان، لم يعد المقاتل فقط هو الرجل الشاب، بل أصبح كذلك الشيخ المسن، والمرأة التي عودتنا الخنوع والاستسلام، واكتمل كل ذلك بأبناء **المقاومة في فلسطين** .. لم يتردد الطفل والصبي[3] ، أن يقف كل منهما أمام المتوحش المستعمر، الأمة، المقاتلة قد وُلدت وليست في حاجة إلا إلى إكمال التطور، وعندئذ مَنْ يستطيع أن يوقف هذا التطور ؟ يجب القضاء عليه، وهو لا يزال يانعاً لم يكتمل بعد تطوره.

---

(1) راجع الوثائق في نهاية المقالات لترى صدق ما قاله الكاتب -رحمه الله- .

(2) راجع كتاب "خفايا حصار السويس" مائة يوم مجهولة في حرب أكتوبر 1973 - حسين العشي ط1 1990 لترى مدى وقوة وصلابة الشعب المصري في المقاومة . وليست هذه أول مرة ففي عام 56 العدوان الثلاثي وقفت بورسعيد أيضاً في وجه الغزوة الأجنبية .

(3) إن هذا هو الذي يخيف قوى الصهيونية والإستعمار ومن أجل هذا كان التكاتف العالمي لتجفيف منابع الإسلام، وإطفاء جذوة الجهاد، ولكن الله غالب على أمره ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ . سورة الحج/40 .

(السبب الثاني) يعود إلي الواقع الاقتصادي، إسرائيل تعيش أزمة اقتصادية عنيفة، وهي تعلم جيداً أنها لن تستطيع أن تتخطي هذه الأزمة بقدراتها الذاتية، أيضا الولايات المتحدة وهي تعيش أسوأ مراحل تاريخها الاقتصادي، لن تستطيع أن تقدم لإسرائيل سوِي مساعدات محدودة، منذ أربعة أعوام أثير الموضوع علانية في أروقة مجلس الشيوخ الأمريكي، وكانت النتيجة انذاراً واضحاً لإسرائيل، أن تبحث لها عن مصادر جديدة، إسرائيل في حاجة في نهاية العقد القادم أي خلال قرابة عشرة أعوام إلى ثلاثة وثلاثين بليوناً من الدولارات سنوياً لو أرادت أن تحافظ على مستواها الاقتصادي الذي حددته لنفسها، وهو مستوي دول جنوب البحر المتوسط الفقيرة. **الانتفاضة ضاعفت المشاكل**، فهي سنوياً حسب التقديرات المعتدلة تُكلّف تل أبيب بليونا من الدولارات. وما هو أخطر من ذلك، أنها تقف عقبة ضد التنمية الحقيقية، سواء بسبب الاضطرابات أو تخلي العمل العربي الرخيص عن ممارسة المساندة للاقتصاد الإسرائيلي، سواء بسبب هجرة رأس المال من إسرائيل إلى الخارج، فضلاً عن تجمد هذه الهجرة إلى داخل اسرائيل. حرب جديدة سوف تقود إلى ثلاث نتائج:

(الأولي) طرد أهالي الضفة بصفة خاصة، إلى أرض الأردن، ومن ثم تصفية هذه المشكلة ولو جزئياً .

(الثانية) استنهاض الهمم اليهودية والأوروبية في الخارج لتقديم المساعدات والمعونات .

(الثالثة) العودة إلى حالة التكتل القومي في داخل المجتمع الاسرائيلي، الذي فقده ذلك المجتمع ولو نسبيا عقب حرب لبنان.

(السبب الثالث) ويعود إلى الانتفاضة الفلسطينية(1). إن أخطر ما يواجه إسرائيل لماذا(2) ؟ لا نريد أن نطرح مشاكل جانبية، ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن الإرادة

---

(1) من هنا كانت طلبات أعداء الإسلام من القادة الفلسطينية أن يقوموا بتصفية الصحوة الإسلامية وكذلك القيام (بغلق المساجد – والجمعيات الخيرية) التي تخدم المجتمع الفلسطيني .

(2) نقول : لأن الأمة الإسلامية قد تخلت عن فرض الله في رقبتها بنصرة أهل فلسطين ودعمهم بالمال والسلاح والجهاد بالنفس لتحرير أرض الإسراء والمعراج وكل شبر اغتصبه الأعداء، وهذه جريمة ترتكب في حق الأمة .

ثانياً : إن قطاعاً ضخماً من المسئولين عن هذه الأمة قد سلموا المغتصب بأنه صاحب الحق في أن يحيا على أرض الإسراء المغتصبة في حماية الذين ينتسبون إلى العالم الإسلامي –مثال ذلك ما جاء في كتاب"شيمون بيريز والشرق الأوسط الجديد" على لسان مؤلف الكتاب ص8:7 فقال [فرحتي في أوسلو كانت مزدوجة، فقد تصادف الليلة أيضاً عيد ميلادي السبعين، هناك في أوسلو وفي الوقت الذي كان فيه الفجر الشمالي على وشك البزوغ، كانت مجموعة صغيرة من الإسرائيليين والفلسطينيين والنرويجيين يجهدون كشركاء في أعظم أسرار السياسة سرية !، وهو سراً يعني الكشف عن = —>

اليوم وما سوف يواجهها في الغد هذه الانتفاضة. الثورة الفلسطينية هي أقدم الحركات الثورية في العالم المعاصر. مضي عليها أكثر من نصف قرن، ومع ذلك لم تحقق أي تقدم الاسرائيلية استطاعت من خلال مسالك عديدة أن تخترق هذه المقاومة، جاءت الإنتفاضة لتعلن حقيقة مزدوجة: الرفض يأتي من الأرض الفلسطينية، وليس من القيادات التي تجلس على المقاهي في عواصم العالم، ابتداء من باريس ولندن وغيرها. وارادة الرفض من جانب آخر هي ارادة للجهاد بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان، لقد ولدت الثورة الفلسطينية حقيقة مع هذه الانتفاضة وارتفعت إرادة المواجهة صريحة، واضحة، ليس فقط ضد المستعمر، بل وضد كل من يقف ضد التطور الطبيعي حتي ولو كان من نفس الأرض الفلسطينية .. أنها لن تعرف العودة إلى الوراء، أو قبول الحلول التوفيقية، وهي لذلك في حاجة إلى حلول غير متداولة لاستئصالها، وهذا ما تعلمه جيداً القيادة الاسرائيلية، وما يجعلها تقف أمام هذه الانتفاضة موقف الحيرة والتردد. وهي لذلك سوف تتجه في لحظة معينة عندما تجد أن الموقف لم يعد يحتمل سوى ذلك، إلى خلق حـرب جديدة تصيـر ستاراً يسمح لها بتحقيق مـا تريده[1] وما لا تستطيع تنفيذه إلا فـي جو استثنائي يمكنها من ذلك .

= —> بداية مرحلة تاريخية جديدة في الشرق الأوسط . وقتها قال لي أبو علاء ممثل منظمة التحرير الفلسطينيين وهو يبتسم بجدارة : الاتفاقية (هي هديتنا لك) في عيد ميلادك. قلت لنفسي يا لها من هدية ، هدية متميزة وغير متوقعة بل ومن المستحيل تقييمها .] أ.هـ – بل والأنكى من ذلك أنهم راحوا يضربون بقسوة وعنف كل من يحاول أن يدعو لتحرير فلسطين، أو يفكر أن يهاجر لنصرة إخوانه على أرض فلسطين المحتلة. بل وينكلون بكل من يحاول أن يذكر الأمة بهذا الواجب .

ثالثاً : المؤامرة العالمية : والتواطئ ما بين قوى الإستعمار العالمي والصهيونية العالمية، على غرس هذا الكيان الصهيوني في جسد العالم العربي لتمزيق الأمة واحتلالها وسلب ثرواتها، وخيراتها العقبة الوحيدة (الانتفاضة الإسلامية) ومن هنا كانت الندوات والمؤتمرات والاتفاقات لتصفية الانتفاضة، الفلسطينية (حماس والجهاد الإسلامي) والصحوة الإسلامية على اعتبار أنها الرديف للإنتفاضة يؤكد ذلك تصريحات (مادلين أولبرايت) أنني أطالب رئيس السلطة الفلسطينية بالوفاء بتعهداته لنا من تدمير البنية الأساسية للجهاد الإسلامي .

ولكن الله غالب على أمره، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وهو القائل سبحانه :

﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾

(1) والذي تريده إسرائيل الهيمنة الكاملة على المنطقة – منطقة الشرق الأوسط –لتحقيق حلمها الأكبر– مملكة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات حسب ما جاء في توراتهم سفر التكون (18/15) .

(السبب الرابع) لهذه الحرب القادمة يرتبط بحقيقة التوليفة الحاكمة في اسرائيل، فالسلطة الحقيقية في داخل تل أبيب، تتكون من تحالف خفي بين ثلاث قوى، "الأولى" وهي القوة اليمينية التي استطاعت أن تتوسع وترتفع كما لم يحدث في أي مرحلة من تاريخ اسرائيل. أسباب ذلك عديدة، ولكن يكفي أن ننظر إلى نتائج الانتخابات، ويجب أن نتذكر أن القوة الدينية ليست هي فقط الأحزاب الدينية و"القوة الثانية" الواضحة وهي القوي المحافظة التقليدية، والتي تمثلها كتلة ليكود .. أيضا هذه القوة ليست مجرد أحزاب، إنها قوي اجتماعية يسودها مبدأن، التعصب العنصري من جانب والإيمان بسيادة مبدأ الطلب والعرض في الحياة الاقتصادية من جانب آخر. حتى حزب العمل بها يتجه في نفس هذه القناعة، ثم "**مؤسسةالجيش**" أو المؤسسة العسكرية والتي تسودها القيادات المهنية، وقد خُلِقت من خلال حروب متتابعة التقاليد القومية، يربط جميع هذه القوى الرغبة في القتال .. فالقوة الدينية تريد أن تحقق الأسطورة، والقوى المحافظة تريد أن تخلق لنفسها أسواقاً جديدة، إسرائيل قد حققت تطوراً اقتصادياً، وهي لا تجد أمامها أسواقاً حقيقية للانتشار. السوق الأوربية تُقفَل أمامها، بل إن ايطاليا واليونان تتزعمان حركة طرد حقيقية للغزو الاسرائيلي. وإسرائيل دولة مُحاصرة وقد فشلت في غزو السوق المصرية بالأسلوب الذي تتبعه حتى اليوم، الحرب سوف تسمح لها بذلك، أما عن المؤسسة العسكرية فهي لا تستطيع أن تعيش دون انتصارات لِتُعيد إلى جيشها الهالة التي كانت قد خلّفتها حوله في حرب 1967.

(السببالخامس) ويدور حول تكديس السلاح في إسرائيل. من المعروف أن تكديس السلاح في أي مجتمع، يشجع على الحرب، بل وقد يفرض الحرب، إيران ما كانت قد اندفعت في حربها ضد العراق لولا التكدس الذي حدث فترة حكم الشاه، وتحت تأثير التوجه الأمريكي، من المعروف اليوم أن أحد أسباب الحرب العالمية الثانية هو التكدس المخيف للسلاح في ألمانيا النازية، سوف نري فيما بعد كيف أن هذا قد تحقق في إسرائيل. السلاح المكدس في إسرائيل لم يحدث له مثيل في التاريخ حتي اليوم، شعب لا يتجاوز عدة ملايين قليلة واتساع مساحي محدود إلى حد لا يصدقه عقل، ثم تواجد للسلاح بل وللسلاح المتقدم بهذا القدر المخيف لابد وأن يخلق جواً مشحوناً يقود ويدفع إلى القتال، وذلك يتضخم بشكل خاص، حيث يتحقق شرطان: "الأول" احتمال فقد هذا السلاح لا هميته في مستقبل غير بعيد، "الثاني" وهو احتمال امتلاك الخصم المحتمل لسلاح يماثل أو يقترب من هذا السلاح المكدس.

(السببالسادس) وينبع من المتغيرات الدولية، لم يكن الاطار الدولي في صالح إسرائيل كما هو في هذه اللحظة، وكما هو محتمل في الأعوام القادمة وحتى عام 1993

السبب في ذلك يعود إلى متغيرات عديدة .. فالولايات المتحدة تشعر ولأول مرة في تاريخها الحديث أنها في حالة ضعف حقيقية، حلفاؤها يبتعدون عنها، اليابان تنظر إلى الولايات المتحدة بكثير من عدم القناعة والرغبة في الاستقلالية، بل أنها تشعر بإيمان أن مصالحها لم تعد تتوافق مع مصالح امبراطورية القياصرة الجدد. ما أعلنه (فوكودا) في مانيلا في أوائل السبعينات، وهو أن أمن اليابان القومي يجب أن تكون له السيادة في منطقة جنوب شرق آسيا، أضحى حقيقة قائمة .. أوربا الغربية الجديدة لم تعد تقبل تعاليم واشنطن صاغرة، بل أنها تُعد نفسها بخطى قصيرة ولكن غير ثابتة، لتقود انسانية العالم الجديد، عالم القرن الواحد والعشرين .. أحلام (ديجول) في طريقها للتحقيق، دول أمريكا اللاتينية الكبرى تستعد لتغزو قارة أمريكا الجنوبية ولتطرد منها استعمار أمريكا الشمالية، الاتحاد السوفييتي ينكفئ على مشاكله الداخلية وبصفة خاصة مشكلة الاقليات .. في هذا الاطار لابد وأن تحدث عدة نتائج :

(الأولي) بحث الولايات المتحدة وحاجتها للصداقة، وهي لذلك سوف تزداد تشبثاً باسرائيل التي أثبتت الفاعلية والقدرة على الدفاع عن المصالح الأمريكية وكل شئ له ثمنه.

(الثانية) ازدياد الاهتمام بالمشاكل الداخلية، وعدم التورط في النواحي التي لا ترتبط بالواقع المحلي وهو ما سوف يبرز واضحاً في السياسة الأوربية خلال الأعوام القادمة، هي لن تهتم بالمشاكل الخارجية، ولن تنغمس في الصراعات الاقليمية، الا بقدر ارتباط هذا بالتطور الوحدوي في داخل القارة.

(الثالثة) تضخم إرادة تحييد إسرائيل في التعامل الدولي من الجانب السوفييتي .. فمشكلة القوميات التي تثور وبعنف، ترتبط بعنصر أساسي له أهميته بالنسبة لإسرائيل وهو منح الأقليات والقوميات المختلفة في الدولة الروسية مزيداً من الحريات، التي من بينها بالنسبة لكثير من تلك الأقليات الحق في الهجرة، الأقلية اليهودية على رأس التشققات ولنتذكر أن هذه ليست فقط مشكلة اليهود، بل هي مشكلة جميع الأقليات التي تقع على حدود الاتحاد السوفييتي، سواء في الجنوب أو في الغرب، هناك عدة ملايين من الألمان والبولنديين يَحِنّون ويتوقون إلى الهجرة، وهذا العنصر لابد وأن يتدخل في لغة التعامل بين موسكو وتل أبيب.

هذا الاطار العام الذي ليس سوي مقدمة في تحليل جامد، لابد وأن يعقبه تحليل ديناميكي، يسعى إلى صياغة إجابة واضحة على مجموعة من التساؤلات:

(الأول) ما هي الأهداف المباشرة التي سوف تسعى إلى تحقيقها إسرائيل من حربها القادمة ؟

(الثاني) متى سوف يتعين عليها، أي تل أبيب أن تشن تلك الحرب لتحقق تلك الأهداف ؟

(الثالث) ما هي العناصر التي لا تزال تنقصها، في اطـــارها الداخلـــي وكيف سوف تعمل على تحقيق تلك العناصر، وخلق الارادة الصاعقة المتدفقة لتمزيق المنطقة لصالحها ؟

أسئلة ثلاثة يجب أن نجيب عليها، وسوف نجيب عليها، ولكن قبل تلك الإجابة لابد من العودة إلى حقيقة " المؤسسة العسكرية " من جانب، وإلى الترسانة المكدسة في داخل إسرائيل من جانب آخر، لأن تحليل هذين العنصرين هو الذي سوف يسمح لنا بصياغة واضحة لتلك الإجابة.

سبق أن رأينا خصائص المنطق العسكري الإسرائيلي الجديد، والذي محوره التمييز بين سؤالين: **متى يجب أن تحارب إسرائيل ؟ ثم كيف يجب أن تحارب ؟** الإجابة على السؤال الثاني هي فقط من اختصاص العقل العسكري الاستراتيجي، الذي يجوز أن يتدخل في منحنياته سوى القدرة والمؤسسة العسكرية، وقد توقفنا إزاء نتيجتين: احداهما استمرار للتقاليد السابقة، وهي ضرورة التفوق الاسرائيلي على جميع الدول العربية، والثانية وترتبط بالنتائج المترتبة على ذلك من حيث نوعية السلاح.

(العنصر الأول) وهــو **التفوق الاسرائيلي**. ولكن هـذا التفوق فـي نطـاق السـلاح التقليدي، لم يعد من السهل تحقيقه. بل أنه اليوم وفي عام 1989 أضحى يكاد يكون من المستحيل تحقيقه. والقيادة الاسرائيلية واعية بذلك .. ومن ثم يكون أول تساؤل: لماذا ؟ رغم جميع المساعدات الأمريكية لا تستطيع إسرائيل أن تزعم أو تدعي تفوقاً بالسلاح التقليدي على جميع الدول العربية، حتى ولو اقتصرنا على الدول المحيطة بها ؟

متغيرات جديدة فرضت هذه الصعوبة :

(أولاً) قدرة الشعوب العربية على الحصول على السلاح أيضاً المتقدم، بحيث أضحت الفجوة من حيث نوعية السلاح التقليدي، بين اسرائيل وأعدائها تكاد تكون قد تقلصت، بل في بعض الأحيان هناك دول عربية ومعادية لإسرائيل تملك سلاحاً أكثر تقدماً – نقصد السلاح التقليدي – من السلاح الذي تملكه إسرائيل.

(ثانياً) حدوث تغيرات في ميدان المعركة المحتملة وذلك مرده تهديدات جديدة وتطورات عنيفة على الجيش الاسرائيلي، أن يواجهها ويستعد لها. إن اسرائيل لو قُدر لها أن تحارب في الاطار الاقليمي الحالي، فلن نستبعد أن هذه الحرب سوف تشمل جميع دول المشرق العربي دون استثناء ليبيا، ومعنى ذلك أن مسرح العمليات، سوف يمتد إلى جميع أجزاء البحر الأحمر وكذلك أغلب أجزاء البحر المتوسط الشرقي وبصفة خاصة حول سواحله الجنوبية والشرقية.

(ثالثاً) كذلك فإن هناك إحساساً متزايداً بقيود ضخمة على قدرة إسرائيل، ليس فقط بمعنى القدرة على الانفاق، بل وكذلك بمعنى القدرة على الحركة، فموارد إسرائيل محدودة ومهما قيل عن مساعدة أمريكية فهي لا تقاس بموارد خصومها، أو على الأقل بعض خصومها، واقليمها محدودة من حيث الاتساع المساحي لا يسمح لها إلا بحدود معينة للمناورة، بل وكذلك للاستعداد للتعامل مع الأعداء المحيطين بها، لقد كان ضيق الاقليم قوة لإسرائيل في حرب 1967 بل وكذلك ورغم الاتساع المعروف في حرب 1973 لأنه يسمح لها بنقل قواتها بسرعة وبصفة خاصة عندما تجمد الموقف في بعض القطاعات بينما، تتفرغ لاستئصال القدرة العسكرية في القطاعات الأخرى، وهو ما فعلته حتى حرب أكتوبر. هذه القوة الآن قد انقلبت ضعفاً. (أ) بسبب سلاح الصواريخ وهو ما سوف نراه تفصيلاً فيما بعد. (ب) التقدم الرهيب في أدوات القتال الجوي، ولنذكر على سبيل المثال أن ضيق الاقليم الإسرائيلي(1)، والذي لا يسمح الا بوجود عدد محدود جداً من المطارات الصالحة لاستقبال واستخدام الطائرات الحديثة والمتوقع استخدامها في القتال القادم، لابد وأن يخلق عقبة ضد حرية الحركة، وبصفة خاصة ضد امكانيات إنشاء عدد هام من تلك المطارات في الأرض الاسرائيلية.

(رابعاً) استخدام الصواريخ لابد وأن يضع قيداً آخر وبصفة خاصة بالنسبة لدعوة الاحتياطي، الذي يقوم عليه الجيش الاسرائيلي. حتى لو اقتصر على استخدام الصواريخ القصيرة المدي، فان امكانيات الأردن بهذا الخصوص قاتلة، بصدد إسرائيل، وخصوصاً فان الفوضى التي سوف يخلقها هجوم مفاجئ بالصواريخ القصيرة المدى من الأرض الأردنية وقد ساندتها الصواريخ البعيدة المدى من(2) العراق، سوف يخلق حالة من الاضطراب والفوضى، التي سوف تمنع إسرائيل من توظيف قدراتها وكل ما تملكه من امكانيات.

---

(1) من أجل هذاكانت التحالفات العسكرية والإتفاقيات الاستراتيجية والمناورات المتشتركة بين أمريكا وإسرائيل وتركيا والمناورات التي تجمع حلف الأطلنطي وأمريكا .

(2) ومن أجل هذا كانت فتنة العراق والكويت، وبعدها تم تدمير القوة العسكرية العراقية .

(خامساً) ولا يجوز لنا أن ننسي ما تملكه العراق من قدرة[1] أثبتت فاعليتها وبصفة خاصة في ميدانين. الصاروخ والسلاح الجوي، وكلا هذين الميدانين كانت تستأثر بالتفوق فيهما إسرائيل، مما لا شك فيه أن العراق لم تصل إلى مستوى اسرائيل. كذلك فالقيادة العراقية تميل إلى المبالغة، ولكنها قطعا قادرة بفضل الكم على أن تنزل بإسرائيل لطمات لم تعهدها تل أبيب.

(سادساً) أضف إلى ذلك أن فكرة النوع في مواجهة الكيف، أي القلة في مواجهة الكثرة تملك قيودها، هناك حد لذلك وكبار القادة يعلمون بهذا الخصوص حقيقتين لا موضع للمناقشة، بخصوص أي منها، الأولى أن الجيش المنتصر في الخاتمة هو الجيش الكبير العدد والمتفوق كما ولو في حدود معينة، الثانية أن الكم في لحظة معينة وعند نقطة معينة يتحول في ذاته إلى كيف، جيش مكون من ألفين أقوي من جيشين كل منهما مكون من ألف، الكم هنا قد تحول إلى كيف[2].

في ضوء هذه المعطيات فان التفوق العسكري الاسرائيلي، يقوم على مبدأ أساسي، ضرورة تحقيق ذلك التفوق بأساليب غير تقليدية، كيف .. هذا هو السؤال الذي يسيطر على العقلية العسكرية الاسرائيلية.

التفوق العسكري الاسرائيلي وعناصره

في ضوء المعطيات السابق التحديد بها، والتي برزت واضحة خلال الأعوام الخمسة الماضية، فضلا عن متغيرات أخرى متعلقة بالتطور العسكري للجندي الاسرائيلي، كما أبرزته حرب لبنان، والتي سوف نراها في موضع آخر، فان الجيش الاسرائيلي يجعل أساس قدرته القتالية أسلحة خمسة كل منها يكمل الآخر:

---

(1) من أجل هذا استُدْرِج العراق لضرب إيران، وبعدها استُدْرِج ليضرب الكويت عام 1991 وبعدها احتلت قوات الاستعمار العالمي العراق وقاعدة (بتقيش) وهي تحول الآن بينه وبين استعادة قوته، تحت ستار الأمم المتحدة، لقد طوعت المنظمات الدولية وعلى رأسها مجلس الأمن لخدمة أهداف الصهيونية وهي احتلال العالم العربي واغتصاب بتروله ومنع توحده واسترداد هويته التي ضاع يوم أن ضيعها .

(2) أن هذا يعطينا الأمل وصدق الله القائل : ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ المهم أن نكون مسلمين حقاً لنستحق نصر الله لنا .

(أولاً) جعل أسـاس الاستراتيجية الاسرائيليــة الخيــار النووي.

(ثانياً) التطوير العنيف في كلا السلاحين الكيميائي والجرثومي.

(ثالثاً) وضع قواعد تسمح باستخدام سلاح الصـواريخ بأقصي فاعلية: ليس فقط كسلاح هجومي بل وكسلاح دفاعي، يسمح بالتحكم في القدرة الصاروخية العربية.

(رابعاً) إضافة مبدأ تطوير السلاح البحري، والتحكم المتزايد في المداخل البحرية.

(خامساً) إدخال مفهوم الحرب النفسية كعنصر أساسي من عناصر الإعداد للقتال، لا فقط بالنسبة لتحصين المقاتل اليهودي، بل وكذلك لاستيعاب العربي المقيم في داخل إسرائيل وتحطيم العربي المقيم خارج إسرائيل .

مصادرالمقالةالسادسة

- RICH. The united states and Israel, 1985.
- BLITZER. Between Washington and Jerusalem, 1987.
- Klleman. Israel's grabal rech 1985.
- SANDER. FRISCH. Israel and the West Bank, 1984.
- LEITENBERS. SHEFFER. Great tower entervention in the middle east. 1979.



المقالـــة السابعــة

" السلـــوك العدوانـــي الإسرائيلـــي "

تحت هذا العنوان ذكر الكاتب : "لم يعد من الممكن الصمت، بل إن الصمت أضحى جريمة. يجب أن يعلم كل مصري ذلك الذي يحاك حوله. هناك حرب قادمة في هذه المنطقة، التي تنتمي إليها إسرائيل ومن خلفها الصهيونية، وحولها تقف جميع القوى الدولية، راضية وسعيدة تعد لحرب كاسحة في هذه الأرض التي ورثناها عن آبائنا، والتي لن يستطيع أحد أن ينكر علينا الحق في الاستئثار بها وطرد كل من تخول له نفسه أن يضع قدمه فيها، هذه الحرب القادمة تُعد لها جميع القوي التي تناصبنا العداء، بل وكذلك أولئك الذين يتظاهرون بالصداقة، لا يجوز أن تخدعنا ألفاظ (ميتران) الرئيس الفرنسي المعسول، إنها نفس القصة التي ساهمت فيها فرنسا عام 1967 عندما حذرت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومنعته من أن يبدأ بالضربة الأولي، ولماذا نذهب بعيداً، أليس حزب (ميتران) وأساتذته وزملائه هم الذين قادوا أوروبا ضد مصر عام 1956 ؟ وأليس (جي دي موليه) هو الأب الروحي، وذلك دون الحديث عن (منديس فرانس) ؟ وهل يستطيع (ميتران) أن ينكر إعجابه بتل أبيب، التي كان أول رئيس جمهورية فرنسي يزورها ويقدم لها هدية المساندة في المفاعلات النووية، التي لن تحصد سوى رؤوس المصريين ؟ وأليست ألمانيا الغربية هي التي تبني الأسطول الجديد لاسرائيل، والذي سوف يصول ويجول في البحر الأحمر، وشرق البحر المتوسط، بل وقد يكون مصدراً لإطلاق قذائف جرثومية في صحراء مصر الشرقية، لتتجه إلى استئصال الحياة من وادي النيل ؟ ولكن مهلا فسوف نرى كل ذلك في حينه بالتفصيل الكافي.

الذي يعنينا هو أن نصرخ محذرين قياداتنا وهي تجلس صامته تنتظر الضربة وهي تدعو ربها فقط الا تصيبها في مقتل، كل حاكم في العالم العربي لم يعد يعنيه سوى أن يُنقذ رأسه، ويعيش ما تبقي له من عمر في يسر ورفاهية، لقد تحولت قياداتنا إلى أغنام، لا

يعنيها الا أن يُذبح غيرها، من أين أتت تلك القيادات المخوخة ؟ لقد أفرزتها ثورة جمال عبد الناصر، علّم قياداتنا الجبن، وغرس في نفوسهم الخوف، وأحالهم إلى نعاج، لا تُتقن الا فن الصياح. إنه هو الذي أثبت هذه العناصر الهشة في جميع أنحاء العالم العربي، فهو أذل قيادات مصر الخالدة بدلاً من أن يرفعهم إلى مصاف مصر، أُم الحضارة، نزل بمصر إلى مستوي بدو الصحراء وهكذا كانت الكارثة، إسرائيل تلعب أساساً على هذه الورقة.

منذ أكثر من عشرين عاماً، ظهر علم جديد في نطاق التحليل السياسي للسلوك الجماعي نستطيع أن نسميه علم الحرب. محور هذا العلم هو السؤال: لماذا يشن مجتمع معين الحرب علي مجتمع آخر ؟ ما هي العوامل المختلفة التي تفرض على مجتمع معين أن يناصب مجتمعاً آخر العداء، بل وأن يسعي بكل وسيلة لاستئصاله ؟ هل هي فقط مشكلة صراع من أجل الحياة، أم أن هناك متغيرات دفينة أكثر عمقاً من مجرد الخلاف أو التنافس على قطعة أرض، أو على مصدر من مصادر الثروة ؟ هذا السؤال طرحه الفكر السياسي قبل ذلك، ومنذ الحرب العالمية الثانية بخصوص السلوك الألماني خلال القرنين الماضيين، فالمجتمع الألماني وقف من المجتمعات الاخرى المحيطة به، وبصفة خاصة المجتمع الفرنسي، ورغم الوحدة الحضارية والتماسك التاريخي بين المجتمعين خلال العصور الوسطي، موقف العداوة العنيفة حتى أن القرنين التاسع عشر والعشرين لا يعرفان سوى حروب متتابعة، بين المجتمع الألماني وجيرانه الفرنسيين، تميزت بالعنف والتعدي الذي ليست له سوابق مماثلة، خلال فقط قرابة ستين عاما عرفت فرنسا ثلاثة اعتداءات لم تعرف لها مثيلا من قبل: (حرب السبعين) ثم (الحرب العالمية الأولى) وأعقبتها (الحرب العالمية الثانية)، ورغم أن أي محلل كان موقنا بأن هذه الحروب لن تنتهي الا بالهزيمة لألمانيا، لأسباب متعددة ليس هذا موضع التفصيل بخصوصها، فان المجتمع الألماني كان في اللحظة التي يشعر فيها بأن أبواب النصر قد أوصدت أمام الجيش الألماني نجد هذا المجتمع يبدأ يستعد لحرب قادمة، الظاهرة تتكرر في صورة أخرى، ولكن لتعكس نفس النموذج من جانب الشعب الياباني، طيلة القرن العشرين، وحتى الحرب العالمية الثانية كانت هذه الأمة التي هي تاريخياً جزء من الحضارة الصينية، مصدر اضطرابات واعتداءات على جميع شعوب شرق آسيا، وبصفة خاصة الشعب الصيني.

الفكر الأمريكي بمنهاجيته السلوكية طرح السؤال: لماذا توجد هذه الشعوب التي يسيطر عليها السلوك الاستفزازي والعدواني وتصير مصدراً دائماً للكوارث والحروب، بل وفي بعض الأحيان دون سبب وجيه مقنع ؟ هل هو الطابع القومي ؟ هل هو الخصائص الجماعية للفرد التي تجعل ذلك المجتمع يسلك بطريقة حيوانية لا تجد لها تفسيراً الا في غرائز وحشية تميز مثل ذلك المجتمع ؟

يحدثنا كاهن العالم الأمريكي الأشهر ؛ الذي كان في لحظة معينة على رأس «راند كوربوريشن» عن الأبحاث العديدة التى قام بها هو وفريق أمريكي من الباحثين في المجتمع الياباني، لاكتشاف خصائص ما أسماه العقلية اليابانية.

لا تعنينا بهذا الخصوص التفاصيل ؛ ولكن الذي يعنينا أساسا هو تحليل ما يسمي السلوك العدواني، الذي هو أحد ما يميز هذه الشعوب، التي تعودت أن تشن الحرب بسبب أو دون سبب وأن تسلك في تعاملها القتالي سلوكا معينا لا يستطيع المجتمع المتحضر أن يتقبله.

المجتمع الاسرائيلي والسلوك العدواني:

ونسرع منذ البداية لنحدد، بأن المجتمع الاسرائيلي هو تطبيق صريح واضح لهذا السلوك العدواني. وهذا يقودنا إلى تحديد أحد الأسباب الأساسية التي سوف تفرض الحرب في منطقة الشرق الأوسط، بل وتقودنا إلى القول وعن قناعة بأنه طالما وجدت إسرائيل في المنطقة فانها لن تتخلي عن السلوك العدواني الذي يعني الحروب المستمرة، إسرائيل يجب أن تقلم أظفارها وكما فعلت الولايات المتحدة مع ألمانيا، وكذلك مع اليابان، فان العالم العربي يجب أن يفعل مع اسرائيل. والتقليم أو التهذيب ليس له سوى منهاجية واحدة، ولكن تفصيل ذلك لا يزال سابقا لأوانه.

السلوك الاسرائيلي هو خاتمة لثلاثة نماذج سلوكية استطاعت أن تندمج في اطار واحد لتقدم النموذج الذي نعايشه، وسوف نعايشه خلال الأعوام القادمة، وهو ما نستطيع أن نسميه سلوك الصابرا.

أ) **أول مصدر تاريخي** هو السلوك اليهودي. اليهودي طيلة تاريخه الطويل، كان شخصاً يتميز أساساً بالإزدواجية والتلون والجبن، اليهودي ظل طيلة تاريخه لا يعرف سوي الإباحية المطلقة، وعبادة المال وعدم الولاء، ولكن بصفة خاصة في أنه لا يعرف أي نوع من القيم والأخلاقيات.

ب) **المصدر الثاني هو السلوك الأمريكي** الذي عاش في جنباته اليهودي وتطبع به. الأمريكي الذي عايشه اليهودي، هو حفيد المجرم الذي هرب من أوروبا وحاول أن يبني نفسه مستنداً إلى القوة البدنية، ولا يعرف أي قيم سوي العنف وسيادة مبدأ البقاء للأصلح.

ج) **المصدر الثالث هو النازية**، في ألمانيا العنصرية عاشت ونبتت القيادات اليهودية، التي صاغت الصهيونية. رغم أن النازية هي التي استأصلت يهود أوروبا، فان هؤلاء لم يتطبعوا ولم يتشبهوا الا بأولئك الذين ذبحوهم.

هذه المصادر الثلاثة، تجمعها صفة واحدة وهي العدوانية، فالهيودي بتاريخه الطويل عدواني، وان احتفظ بتلك الصفة في قناعته. والأمريكي بأصوله الإجرامية، يعبر عن هذه الصفة بوضوح أما النازي فهو يفخر بها.

الدراسة العلمية للسلوك الإسرائيلي:

السلوك الإسرائيلي أخضع لدراسات ميدانية عديدة، بل أن هذه الدراسات بدأت قبل انشاء إسرائيل ومن جانب علماء يهود لهم اسمهم، ولهم وزنهم، ونذكر من هؤلاء على وجه الخصوص العالم الأشهر «لوين» الذي كان أحد من ساهموا في تأسيس الحركة الصهيونية. والعجيب أن العالَم العربي لم يعرف حتى اليوم، دراسة واحدة حقيقية ومتكاملة، عن ذلك الطابع القومي الاسرائيلي، الذي يتعين علينا أن نتعامل معه. ولكن هذا حديث آخر نتركه جانباً ولنا عودة اليه.

فلنلخص النتائج والتي قدمها غيرنا ؛ لنفهم على ضوئها حقيقة التطورات التي يعيشها في هذه اللحظة المجتمع الاسرائيلي:

(أول) هذه النتائج خصائص السلوك اليهودي، اليهودي في قناعته الداخلية تسيطر عليه عناصر ثلاثة: **العنصر الأول** وهو الكراهية الذاتية. **العنصر الثاني** وهو الخوف **العنصر الثالث** وهو السلوك الاستفزازي. الكراهية الذاتية وهي العقدة التي استطاع العالم السابق ذكره أن يكتشفها ويحللها وتجعل اليهودي يكره نفسه. وكلما ارتفع في حياته الاجتماعية ازدادت تلك الكراهية. هذه الكراهية تعكس نفسها على كل ما حوله، أنه ينشر المخدرات، ويشجع الإباحية، بل ويجعلها أحد عناصر سلوكه، نتيجة لهذه الكراهية، وهو في قناعة نفسه خائف جبان، لا يجوز أن يخدعنا حديثه أو تظاهره بالقوة والقدرة. في أعمق أعماقه هو يخاف كل شئ، بل يخاف من نفسه. وهو لذلك استفزازي وعدواني في كل لحظة أو موقف يشعر فيها بأنه أقوي من غيره. لم يعد سراً خافياً، إن مَنْ نشر الإباحية في مجتمع غرب أوروبا وأمريكا؟ هو الصهيونية ومَنْ قاد حركة المخدرات ؟ هم زعماء الصهيونية، ومَنْ يقف خلف الإرهاب الدولي ؟ هم أيضا قادة الصهيونية بما فيهم قادة اسرائيل، لا أزال أذكر حديث المونسنيور بولديللي في أواخر الخمسينات والذي كان يشغل المسئولية الحقيقية عن سياسة الفاتيكان الخارجية وقد قدر لي بحكم اقامتي في دير الفرنسيسكان بروما، التعامل الوثيق معه وهو ينبهني إلى أن مصدر الإباحية التي سوف تعم أوروبا هي الحركة الصهيونية. وسوف تتأكد نبوء ته عقب ذلك بقرابة ربع قرن على لسان نفس قادة الفاتيكان. ولكن هذا حديث آخر ليس هذا موضعه.

(ثاني هذه النتائج) وترتبط بالسلوك الإسرائيلي ، خلال الفترة التي أعقبت انشاء الدولة وحتى هذه اللحظة في النطاق الدولي. إن ما يسيطر على هذا السلوك هو ما أسميناه في بعض مؤلفاتنا «عقدة الاغتصاب» الاسرائيلي، قد تراكمت في وعيه الباطن، نتيجة خبرة المجتمع اليهودي في المجتمعات الغربية، وبصفة خاصة في شرق أوروبا، الشعور الدفين اللاواعي بأن أي شخص ينتمي إلى مجتمع الأغراب، لا يسيطر عليه في التعامل معه الا الرغبة في اغتصابه، وهكذا إذا تقدم يسلم عليه، فهو لا يرى في ذلك الا الرغبة في احتضانه ومنعه من القدرة على الحركة ، وإذا أراد أن يقبله، فهو انما يريد أن يعميه، عن أن يرى الأعداء وهم يسعون إلى اغتياله. عندما ذهب الرئيس السادات لزيارة إسرائيل، تصورت القيادة الاسرائيلية وعن قناعة حقيقية أن الرئيس المصري آتى بطائرة مملوءة بالألغام لتفجيرها في الدولة العبرية.

(النتيجة الثالثة) أنه في كل حرب لابد من أن توجد على الأقل دولة تتميز بالسلوك العدواني. هذه الطبيعة العدوانية وحدها هي التي تفرض الصراع، لتحيل العلاقات التي يجب أن تكون سليمة إلى حالة التوتر والصدام، السلوك العدواني لا يعني فقط فرض الحرب، ولكن ما هو أخطر من ذلك السلوك، أثناء وعقب القتال. أنه ينسي جميع القيم ويصير وقد سيطر عليه فقط الرغبة في اذلال من يتعامل معه والقضاء على كل آدمية له.

(النتيجة الرابعة) وهذه هي التي تعنينا على وجه الخصوص: السلوك العدائي يستر خلفه جبن حقيقي. الجبن في مثل هذا السلوك يتضمن في حقيقة الأمر عناصر ثلاثة من جانب صاحب هذا السلوك: فهو يشعر بالتفوق على الطرف الآخر، والقدرة على القضاء على من يتوجه ضده صاحب السلوك العدواني. ولو تصور صاحب هذا السلوك أن الطرف الآخر أقوى منه، أو في مستواه، من القوة فهو لن يسلك سلوكه العدواني، بل ينقلب إلى حمامة وديعة، **(العنصر الثاني)** في هذه الطبيعة الجبانة، هو أنه يُقْدم على سلوكه العدواني بوحشية، لا مثيل لها، بل هو يسحق خصمه دون تردد، وليس لمجرد تحييده أو اثبات تفوقه. لا يسعده الا رؤية خصمه تحت قدميه.

في جامعة **(ميتشيجان)** أن **(آربور)** وفي معمل ديناميات الجماعة أجريت إحدي التجارب بهذا الخصوص، حيث وَضَعت مجموعات متعددة من الديوك والفراخ التي تتميز بالشراسة ولكن في مستويات مختلفة من حيث القوة البدنية، فلوحظ أن الأقوى يتجه إلى الأقل قوة يضربه ويصيبه بعنف، وعندئذ فان ذلك الذي ضُرِبَ لا يحاول حتى الدفاع عن نفسه، أو منازلة من ضربه، واعتدي عليه، بل يتجه إلى الفريق الآخر الأقل منه قوة بدنية ينازله ويصيب. وهكذا دواليك، الأقوى يضرب الأضعف، والأضعف يتجه لضرب الأكثر ضعفاً.

العنصرالثالث وهو الخوف، صاحب السلوك العدواني في قرارة نفسه وفي داخل مشاعره هو خائف، وهو لا يناصب الا من هو أقل منه قوة لانه في جوهره يخاف الآخرين، أنه يعتقد وعن قناعة مرضية بأنه إن لم يفعل ذلك فسوف يخضع عاجلا أو آجلاً إلى نفس المصير الذي يعده هو لخصومه. لا يؤمن إلا بالقوة ولذلك لا يخشى الا من هو أقوى منه .. هذه هي خصائص السلوك العدواني الإسرائيلي.

الرعب والسلوك القيادي في المجتمع الإسرائيلي

اليهودي لم نعرف عنه في تاريخه الشجاعة. عاش دائماً في ذل، وهو يُضرب بالنعال من كل صوب. لم يذكر لنا التاريخ له بطولة أيا كانت. وهو اليوم لم يختلف، يجب أن نفهم ذلك جيداً. في أثناء حرب الأيام الستة كان قائد الدبابة يُربط فيها بالسلاسل. يحدثنا مراسل مجلة (دير شبيجل) الألماني الذي رافق قوات تل أبيب في صحراء سيناء، أنه عندما كانت المعركة تتوقف وتغادر القيادات المركبات المصفحة يحظ بكثير من الدهشة، كيف أن خلف تلك القيادات وأسفلها كان مبللاً وممتلئاً بالروث. وذلك في مواجهة الجيش المصري الذي كان يجري أمامهم حافي القدمين، بعد أن ملأ الصحراء بأحذيته. هذه هي حقيقة اليهودي والتي برزت واضحة في حرب لبنان.

الرعب هو الذي يسود القيادات الإسرائيلية. والرعب سلاح بحدين. فهو يدفع تلك القيادات إلى الاعتماد على السلاح الذي يبرز بوضوح التفوق الاسرائيلي. بل وهو الذي يدفع تلك القيادات إلى نسيان جميع القيم والأخلاقيات، سواء في اختيار السلاح أو استخدامه. جميع القيادات العسكرية، ترفض أو لا تميل إلى استخدام السلاح البيولوجي أو الكيمائي، يقال عادة بأن ألمانيا خسرت حربين، لأنها رفضت أن تستخدم ذلك السلاح. الا القيادات الاسرائيلية والتي كما سوف نري تجعل هذا السلاح محور تنظيمها القتالي، أنه ليس فقط أحد الأسلحة بل أنها أدخلته جزءاً أساسياً في كل تشكيل قتالي، وهو من جانب آخر يدفع بتلك القيادات للمغامرة، التي ليس مردها ومصدرها وضع الحسابات ولكن مصدرها الحقيقي الخوف من أن تفلت من أيدي تلك القيادات فرصة التفوق.

استراتيجية التعامل القتالي في الادراك الاسرائيلي

سبق أن رأينا الأسلحة التي سوف تستند إليها اسرائيل في حربها القادمة، سلاح نووي يصاحبه سلاح كيماوي، يتقدم كلاهما سلاح صاروخي دفاعي، ويرافقهما سلاح بحري ويسيطر على الجميع السلاح النفسي فضلا عن الأسلحة المعتادة التي استخدمت في حروبها السابقة. الذي يعنينا بهذا الخصوص أن نذكر به أمرين:

(الأول) أنه بقدر أن لكل سلاح من هذه الأسلحة استراتيجية محددة بقدر أن هناك استراتيجية عامة تضم جميع هذه الأسلحة في تعامل ديناميكي معين.

(الثاني) أن هذه الاستراتيجية الكلية والشاملة تتحكم، لا فقط في سير المعركة وميدان المعركة وأسلوب القتال، بل وكذلك في لحظة القتال بما يعنيه ذلك من تحديد لأهداف القتال.

فلنقف أولاً أمام استراتيجية التعامل مع كل سلاح، قبل أن نلقي بأنفسنا في مشاكل تحليل الاستراتيجية الكلية الشاملة، التي وحدها تسمح بفهم خصائص الادراك الاستراتيجي الصهيوني للحرب القادمة.

كل من هذه الأسلحة يملك استراتيجيته المستقلة، ورغم أننا لن نتعرض لأي من هذه الأسلحة مؤقتا وبصفة خاصة في ضوء الاستراتيجية الكلية التي تسيطر على استخدام منظومة هذه الأسلحة الخمسة، إلا أننا يجب أن نذكر بعض الأمور:

(الأمرالأول) أن أياً من هذه الأسلحة الخمسة لم يبرز في صورة واضحة في الادراك الاسرائيلي المقاتل، الا عقب حرب لبنان، وقد كان (لشارون) في ذلك دور خطير والذي رغم ابتعاده الظاهري عن وزارة الدفاع يظل هو الممثل الحقيقي للمؤسسة العسكرية في مواجهة القوي السياسية.

(الأمرالثاني) والذي يدور حول الفصل بين السؤالين: متي يجب أن نقاتل ؟ وكيف يجب أن نقاتل ؟ ورغم أن هذا الفصل واضح، الا أنه يجب أن نتذكر أن السؤال الثاني لابد وأن يطغي على السؤال الأول، لأن كيفية القتال، وأسلوب القتال، والسلاح المستخدم، في القتال لابد وأن يفرض قيوده على لحظة القتال . وهكذا فان الفكر العسكري، ومقتضيات الأمن العسكري تنتهي بأن تطغي أو على الأقل أن تقيد من الخيارات السياسية. لقد انتهي الوقت الذي كانت فيه القيادة العسكرية تنصاع لقرارات القيادة السياسية، كما حدث في حرب الأيام الستة أو حرب أكتوبر. أن المستقبل يجب أن نفهمه على ضوء حرب لبنان ودلالاتها.

(الأمرالثالث) أن الأسلحة والأدوات القتالية السابق ذكرها إلى جانب التطور العام في المنطقة، كان لابد وأن تفرض التوسع في مسرح العمليات. فمما لا شك فيه أن دخول الأردن في حرب مع اسرائيل سوف يقود جميع دول مجلس التعاون العربي دون استثناء مصر إلى ميدان المعركة. ووجود اليمن يعني امتداد ميدان القتال إلى جميع أجزاء البحر الأحمر، وبصفة خاصة حيث اليمن الجنوبي، يمثل مركز الثقل بالنسبة للاتحاد السوفييتي،

الذي يواجه إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة والمشاركة السورية سوف تقود بدورها إلى موقف ليبي وايجابي .. وبطبيعة الحال قد يؤدي، ذلك إلى تكتل جميع القوى المتصارعة داخل لبنان. بل أننا سوف نرى فيما بعد أن اسرائيل تخطط لما هو أبعد من ذلك، الذي يعنينا مؤقتاً أن نُذكّر به أن هذا التطور في السلاح المكدس في إسرائيل يرتبط بأمرين:

(الأول) حقيقة الاستراتيجية الإسرائيلية للقتال القادم.

(الثاني) خصائص وأبعاد ميدان المعركة المحتملـة.

فلنقف مؤقتاً ليكتمل الحديث حول القنبلة النووية التكتيكية ".

مصادرالمقالةالسابعة

- KEITH NELSON. Why War, 1979.
- WARREN HOWE Weapons 1981.
- ZORGBIBE Le risque de guerre 1981.
- KAHN armee' ON Thermonu" clear War, 1969.
- BAUDOIN armee' makies 1979.
- PEPPER JENKINS. The geography of peace and war, 1985.



المقالة الثامنة

"السلاح النووي وتطور العقيدة القتالية الإسرائيلية من استراتيجية الردع في عام 1973 .. إلى استراتيجية الانتحار في حرب لبنان 1982 .. إلى استراتيجية الهجوم"

تحت هذا العنوان كتب المؤلف –رحمه الله– : « مشكلة التحليل الاستراتيجي، من أعقد الموضوعات التي يتعين علينا التعرض لها، ورغم أن الثقافة الاستراتيجية كعلم متخصص، له تقاليده وقواعده من أحدث العلوم، الذي لا يزال يُبحث عن رجاله، إلا أنه كفكر وممارسة وجد منذ أقدم العصور، فالاستراتيجية في أوسع معانيها ؛ هي فن التعامل مع المشاكل. والتعامل مع المشاكل يُفترض مسبقاً التفكير والتصور والتأمل، أو بعبارة أدق الادراك المسبق. ولعله ليس من قبيل المصادفة، أن نلاحظ أن أعظم القادة الاستراتيجيين ينتمون إلى الماضي، وعلى وجه التحديد إلى العصور القديمة، فالحضارة الرومانية قدمت لنا سادة العالم في التصور الاستراتيجي .. لقد عاشت الحضارة الأنجلوسكسونية على مفاهيم قياصرة روما، بل ولم يكن سر نجاح الدولة العثمانية إلا هضمها لمفاهيم القياصرة، وأولئك الذين يحكمون في واشنطن، رغم كل ادعاءاتهم هم طلبة مطيعون لتلك المفاهيم، لم يستطيعوا الفكاك منها .. وقبل قياصرة روما عرفنا الاسكندر الأكبر في اليونان وكليوباترة في مصر، وكلاهما ينتمي إلى الثقافة الهللينية .. وفي أرض الفراعنة خرج أكثر من عملاق واحد، ونستطيع أن نذكر (تحتمس) و (رمسيس) وكلاهما يعترف له الفكر المعاصر بالقدرات الفكرية الخلاقة، بل أن (أيزنهاور) عندما حاول أن يعرف كيف يجب التعامل مع منطقة الشرق الأوسط، لم يجد مساعدوه سوى رمسيس الثاني يسألونه.

كيف يجب أن تتم الصياغة الاستراتيجية للسلوك الدولي، في هذه المنطقة ؟ رغم ذلك فإن علم الاستراتيجية لا يزال ينقصه الكثير من عناصر التقدم والكمال .. على أن

أخطر ما يجب أن نلاحظه، أن الفكر الاستراتيجي[1] في العالم العربي بصفة خاصة علي قسط ضخم من التخلف .. يكفي أن نتذكر أن هذه المادة لا وجود لها في أي تعليم جامعي، حتي في الكليات المتخصصة. لماذا ؟ سؤال آخر جدير بنا أن نتصدي له .. ولكن ليس هذا موضعه .. فلنتذكر فقط أن من يتعامل لدينا مع المشاكل الاستراتيچية، يعكس حالة التردي والهوة الفكرية التي وصلنا إليها. في أغلب الأحيان نجد أنفسنا أمام شخص فاشل في تخصصه، فوجد في هذا العلم بابا واسعاً يستطيع أن يُدخل من خلاله. ليس هدفنا فتح الجروح، ولكننا نريد فقط أن نضع النقط أسفل الحروف، ونحن بصدد تحليل بعض المشاكل الاستراتيچية التي تسيطر علي الفكر الاسرائيلي، ولنتذكر أيضاً مؤقتاً أنه في جميع المعارك التي خضناها عام 1956 ثم عام 1967 وأخيراً عام 1973 لم يكن لدينا فكر استراتيچي، أو على الأقل كان فكرنا الاستراتيچي ليس على مستوى التعامل الحركي. وإن هذا أحد أسباب الهزيمة. دقة الفكر الاستراتيچي، وقدرته على تخطي مشاكله، أحد عناصر القوة في الجانب الاسرائيلي.

ومن ثم يجب أن نلاحظ منذ البداية، أن التحليل الاستراتيچي له مستوياته، وكل من هذه المستويات يملك وظيفة، ولا يجوز أن نتصور أن أحد المستويات يغني عن المستوى الآخر .. في اطاره العام، وبكثير من التبسط، هناك ثلاثة مستويات، كل منها عُلِمَ خصائصها .. الأول وهو المستوى القومي، أو ما عُبّر عنه بالاستراتيچية العليا .. هذه تعني تحديد الأهداف القومية، أي الأهداف العليا، ثم ترتيب هذه الأهداف بطريقة تصاعدية، تسمح بتحديد الأهم فالأقل أهمية وأخيراً تصور محدد، ليس فقط للبدائل لكل من هذه الأهداف، بل وكذلك لحدودها بمعني الحد الأقصى الذي لا يجوز تجاوزه، والحد الأدنى الذي يجب أن تقف عنده التنازلات، كذلك يدخل في هذه الدائرة عملية صياغة الأهداف كخطة صالحة للتنفيذ، سواء من حيث مضمونها أو من حيث مداخلها، وكذلك أدواتها . هذه الدائرة تتضمن أيضا ما يسمى بالأمن القومي ؛ الذي هو أحد عناصر الاستراتيچية القومية . هذا المستوى الأول، يعقبه المستوى الثاني، والذي يدور حول قطاعات الدولة. في كل قطاع من قطاعات الدولة هناك استراتيچية مستقلة ومتميزة، تندرج في اطار الاستراتيچية العليا، ولكنها تستقل عنها، دون أن تتعارض معها . وبهذا المعنى لدينا استراتيچية عسكرية وأخرى اقتصادية وهكذا . الاستراتيچية العسكرية تصير بهذا المعنى تحويل وصياغة عسكرية للاستراتيچية القومية، المستوى الثالث، وهـو مـا يسمى

---

(1) راجع كتاب "نهضة أمة" كيف نفكر استراتيچيا – لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل – الناشر مركز الإعلام العربي .

بالاستراتيچية الميدانية .. ونقصد بذلك تحويل الاستراتيچية الخاصة بقطاع معين إلى خطة للتعامل وقد تحدد القطاع والمكان والموقف . ومن ثم فان الاستراتيچية العسكرية يجب بدورها أن تتحول إلى استراتيچية ميدانية تبعاً للسلاح المستخدم، والمكان، أو موقع المعركة المتوقعة .. هذا الذي حددناه، هو تبسيط مطلق، ولكن الفكرة الأساسية واضحة، والتي تعني أن التعامل العسكري يفترض تعدداً وتناسقاً.

هناك استراتيچية قومية يتدخل فيها العنصر العسكري .. ثم هناك استراتيچية عسكرية، يجب أن تكون من حيث طبيعتها تحويلاً للاستراتيچية القومية، إلى إدراك عسكري ثم هناك استراتيچية ميدانية تدور حول نقل تلك الاستراتيچية العسكرية إلى ميدان التنفيذ الفعلي سواء بمعنى استخدام سلاح معين، أو مواجهة العدو في موقع معين .. الاستراتيچية الميدانية بهذا المعنى تفترض بدورها مستويات ثلاثة: استراتيچية كل سلاح علي حدة، ثم استراتيچية كل ميدان من ميادين المعركة، تصير بدورها نوعية أخرى. وفي داخل ذلك فان كل موقف يفرض بدوره مستوى ثالثاً سواء كان الموقف مرتبطاً بميدان المعركة أو بلحظة التعامل أو بظرف التعامل.

الذي يعنينا أن نُذَكِّر به أيضا، أن هذا العدد لا يعني الاستقلال والانفصام، فن إدارة الحرب، يقوم على أساس كيفية التفاعل والتداخل، بالتأثير والتأثر بين جميع هذه المستويات للاستراتيچية، بحيث لا يحدث تناقض ولا يؤدي التعدد إلى خلق الشعور بالفرقة أو الاستقلالية.

فهم الاستراتيچية الإسرائيلية يفترض الفهم الواضح لما قدمناه ؛ وهو يعني أننا لنستطيع أن نكتشف تلك الاستراتيچية وجوهرها الحقيقي، يجب أن نسلك منهاجية أساسها التنقل من الجزء إلى الكل، بتدرج معين، وبحساسية وعلمية واضحة .. ولذلك فإننا لنستطيع أن نصوغ تصورنا للاستراتيچية العليا والكلية للدولة اليهودية، سوف نتبع المنهاجية التالية:

أ) تحليل استراتيچية كل سلاح من الأسلحة التي تعرضنا لذكرها سابقاً.

ب) ومن ثم ومن خلال تجميع تلك الاستراتيچيات الخمس، نستطيع أن نكتشف خصائص الاستراتيچية العسكرية لتل أبيب.

ج) وهذا سوف يسمح لنا بتحديد خصائص الاستراتيچية القومية للدولة الإسرائيلية.

د) وعلى هذا الضوء نستطيع أن نكتشف أيضا خصائص استراتيچيات أخري فرعية وبصفة خاصة استراتيچية التعامل الاقتصادي مع المنطقة من جانب، واستراتيچية التعامل مع مصر من جانب آخر.

نبدأ باستراتيچية التعامل النووي ..

مراحل تطور الادراك العسكري الإسرائيلي

سبق وذكرنا أكثر من مرة، ان السلاح النووي هو أحد العناصر الأساسية في العقيدة القتالية الإسرائيلية .. ليس هذا موضع تحليل المشاكل العديدة التي يثيرها الخيار النووي، إلا أن مجموعة من الحقائق يجب أن نقدم بها ونحدد دلالتها في الاستراتيجية الإسرائيلية المعاصرة، نحن لا نزال وكما سبق وحددنا، نتعامل مع الاستراتيجية المرتبطة باستخدام هذا السلاح، وليس الاستراتيجية الكلية القتالية.

(أولاً) أولى هذه الحقائق أن الادراك الإسرائيلي بصدد السلاح النووي تطور تطوراً خطيراً، ونستطيع بصفة عامة أن نميز بين مراحل ثلاث.

أ) **المرحلة الأولى** منذ وجود اسرائيل حتى عام 1973، حيث كان السلاح النووي سلاحاً رادعاً، القصد منه تخطي عناصر الضعف التي يعاني منها الجسد الإسرائيلي، وارهاب العالم العربي، بحيث يصير هذا السلاح احدى أدوات الحرب النفسية الاستراتيجية، ومن ثم يمكن أن توصف بأنها استراتيجية الردع.

ب)**المرحلةالثانية** وهي منذ حرب أكتوبر حتى حرب لبنان أي عام 1982، أضحت الاستراتيجية الإسرائيلية أساسها الخوف، والسلاح النووي هو سلاح محور استخدامه أنه السلاح الأخير، حيث لا يعنيني سوى القضاء على الخصم، ولو من خلال الانتحار الذاتي، انها عقدة الماسادا .. وهكذا نستطيع أن نسمي هذه الاستراتيجية بأنها استراتيجية الانتحار .

ج)**المرحلةالثالثة** .. وقد برزت فيها القنبلة التكتيكية، لتصير هذه القنبلة أداة لاستراتيجية هجومية، تسمح بتحقيق الهيمنة الأرضية والاستئصال البشري للقدرة المعادية.

الكثير ممن تعرض للاستراتيجية الإسرائيلية النووية، لا يزال غير واع بحقيقة التطور الأخير، وهو لا يزال يناقش موضوع السياسة النووية الإسرائيلية على ضوء المعطيات السابقة على امتلاك القنبلة النووية التكتيكية.

(ثانياً)رغم كل ما سوف نقدمه من تفاصيل ومصادرها موثقة كما سوف يرى القارئ، فإن معلوماتنا المتوافرة والمتداولة بخصوص السلاح النووي الإسرائيلي على وجه الخصوص محدودة الأهمية، وكما سوف نرى فيما بعد. رغم ذلك فالثابت أن إسرائيل تملك القنبلة النووية ومنذ فترة غير قصيرة، وهي قد توجهت إلى ذلك بصفة خاصة عقب فشل العدوان الثلاثي .. وبمعونة القيادة الفرنسية لتستطيع إسرائيل أن تحمي نفسها .. تقارير

أكثر الخبراء حياداً عقب الكثير من التقارير الدقيقة، بعضها مصدره نفس وكالة المخابرات الأمريكية، وبصفة خاصة عقب الأنباء التي سربها (فانونو) والتي أخضعت لتحليل دقيق من أعظم علماء الذرة، وبصفة خاصة بفضل الصور التي قدمها الفني الإسرائيلي المذكور، فإن إسرائيل تملك اليوم ما يزيد على (مائتي رأس نووي)، بل والبعض يصل به الأمر إلى القول بأن إسرائيل حالياً تملك القدرة على انتاج قنابل نيوترونية على كل فاسرائيل اليوم هي الدولة السادسة في العالم كدولة نووية بكل ما يعنيه ذلك من نتائج سياسة اسرائيل النووية حتى وقت قريب كانت تقوم على أسس خمسة:

(أولاً) من جانب أول الغموض حول امتلاك إسرائيل للقنبلة النووية، فهي تارة تترك أخباراً تتسرب عن امتلاكها لتلك القنبلة، سرعان ما تكذبها المصادر الرسمية، حتي أن اعترافات العامل الفني السابق ذكره البعض، بل والكثير من المعلقين من يعتبرها من قبيل الإخراج المسرحي، والسبب في ذلك واضح فالسياسة الإسرائيلية تستخدم هذا السلاح وما يُثار حوله، وسيلة لخلق البلبلة والاضطراب في الجانب العربي، ثم هي تستخدمه أداة للابتزاز. وقد حدث ذلك، في علاقة تل أبيب بواشنطن، أثناء حرب أكتوبر للحصول على السلاح الذي يسمح لاسرائيل بمواجهة التفوق المصري على جبهة القناة.

(ثانياً) وهي كانت وظلت حتى وقت قريب تعتبر السلاح النووي في صورته التقليدية سلاحاً للردع وليس للممارسة. ولعل ما يؤكد ذلك سلوك السلطات المسئولة في تل أبيب أثناء حرب أكتوبر كما ذكرنا .. لقد هددت به وباستخدامه وبذلك استطاعت وبسرعة أن تحصل على سلاح متقدم من واشنطن. ولا يوجد ما يمنع أن يكون تسريب هذا النبأ من جانب كيسنجر أثناء حرب أكتوبر، وسيلة يبرر بها السلاح الكثيف الذي عمل هو شخصياً على وصوله، وبسرعة إلى اسرائيل عقب الهجوم الأول الناجح من الجانب المصري.

(ثالثاً) وهي مصممة على أن تظل هي أي اسرائيل صاحبة الاحتكار الوحيد لهذا السلاح، في منطقة الشرق الأوسط. ولذلك فهي في نفس اللحظة التي تساعد فيها وتقدم معونتها الفنية لبعض دول العالم الثالث، كتايوان فهي مصممة على ألا تسمح لأي دولة عربية بأن تملك تقدماً فنياً في هذا المجال .. تدمير المفاعل النووي العراقي بالقرب من بغداد، يدخل في هذا النطاق واحتمالات تدمير أي محاولة لإعادة بناء ذلك المفاعل في المستقبل يجب أن يؤخذ بكثير من الجدية.

(رابعاً) نقل المادة المتفجرة النووية، والتي نستطيع أن نصفها بالسلاح النووي، في الفكر التقليدي الإسرائيلي يجب أن يتم باستخدام الطائرة هي وحدها التي تسمح بالوصول إلى الهدف واصابته بدقة ومن هنا الترابط الوثيق بين السلاح الجوي والسلاح النووي.

(خامساً) استخدام السلاح النووي من جانب إسرائيل في صورته التقليدية، يفترض توافر ثلاثة شروط .. أن تكون هناك حرب قد هزمت فيها إسرائيل. ثم أن تكون الهزيمة قد وصلت إلى حد لم يعد من الممكن بخصوصه تجنب استئصال الدولة اليهودية، أي استئصال الوجود العبري كدولة، وكنظام سياسي في المنطقة. وأخيراً أن تكون القوى الدولية العظمى وبصفة خاصة موسكو وواشنطن، قد أعلنت أو أظهرت إرادة التخلي عن إسرائيل في تلك اللحظة فان إسرائيل لن تتردد في استخدام السلاح النووي ولن يعنيها ما يفرضه ذلك من مخاطر مردها، انتشار الإشعاعات النووية في نفس الأرض الإسرائيلية، وهي لذلك تعبر عن مفهوم الانتحار الذاتي، كمحور للتعامل القومي، وهو ليس جديداً في التاريخ اليهودي وبصفة خاصة في قصة المجتمع اليهودي وتعامله مع الامبراطورية الرومانية.

المتغيرات الجديدة والاستراتيجية الإسرائيلية

مجموعة من المتغيرات برزت بصفة خاصة في الأعوام الخمسة الأخيرة، كان لابد وأن تفرض اعادة النظر في هذه الاستراتيجية التقليدية في الادراك الإسرائيلي للسلاح النووي.

(أولاً) وضوح تدهور القدرات القتالية للجندي الإسرائيلي .. ظهر ذلك واضحاً في حرب لبنان، لقد اختفت الأسطورة التي أحاطت بالجيش الذي لا يقهر، في حرب أكتوبر، رغم ذلك فقد انطلقت الإشاعات من نفس بعض القيادات العربية، وعرفت الدعاية الإسرائيلية أن تعيد من تنظيف الصورة المترسبة في الذهن، حول هذا الجندي بفضل قصة الثغرة وحصار الجيش المصري. ولكن أحداث لبنان جاء ت فأعادت الأمور إلى نصابها، ظهر الجندي الإسرائيلي على حقيقته جباناً لا يخشى قدر ما يهاب القتال أو المواجهة في ميدان المعركة، حيث تكون هذه المواجهة شخصاً لشخص. وكان لابد للقيادة العسكرية من ثم أن تعيد حساباتها.

(ثانياً) برزت بوضوح كذلك حقيقة لم تعد موضع مناقشة، السلاح النووي سوف يدخل إن آجلاً أو عاجلاً إلى منطقة الشرق الأوسط وسوف تستطيع دول عربية عديدة أن تمتلك هذا السلاح، سواء من خلال تطوير قدراتها الذاتية، أم بشرائه من دول أخري اسلامية، أو غير إسلامية، أو بالحصول عليه من السوق الدولي للسلاح. من الدول التي يرشحها الخبير الأمريكي المعروف «ليفيفر» لانتاج القنبلة الذرية وخلال فترة لن تتعدى نهاية القرن الحالي إلى جوار مصر، هناك العراق وليبيا، بل البعض يعتقد أن العراق بفضل المساعدات السخية السعودية والتعاون المصري، والاتفاقيات بين كل من الأرجنتين

والبرازيل، سوف تملك هذه القنبلة خلال خمسة أعوام. بل وسوف تملك كل ما تحتاجه لتدمر به أجزاء عديدة من إسرائيل. فهل سوف تقف تل أبيب منتظرة أن تصاب بالضربة الأولي ؟ وما هو أهم من ذلك ما هي النتائج المتوقعة لانتشار السلاح ؟ هل هو تحييد للسلاح فلا يستخدم من أي من الجانبين أم التصعيد بحيث لابد وأن يُستخدم إن آجلاً أو عاجلاً، من جانب أحد الطرفين ؟ ولا يجوز أن ننسى أن طهران بدورها بدأت تعد نفسها لاستخدام هذا السلاح في حروبها القادمة. والقيادة الإسرائيلية تعلم أن طهران هي في دائرة الصداقة مع تل أبيب، ولكن الصداقة المؤقتة، والموقوتة، وأنها مرشحة ومنذ الآن أن تندرج في دائرة العداوة أيضا للدولة اليهودية.

(ثالثاً) أمر آخر، لابد وأن يَقْلب جميع الموازين بالنسبة للسلاح النووي، كشفت عنه للتحقيقات الصحفية ويدور حول امتلاك إسرائيل لقنابل ذرية تكتيكية تستخدم التدمير في مساحات محدودة.

(رابعاً) وفي خلال ذلك فإن العين الدقيقة لاحظت أن الصراع الفكري الذي كان قائماً بين الصقور والحمائم حول استخدام السلاح النووي من الجانب الإسرائيلي قد اختفي تدريجياً، ولم يعد يُثيره أحد. هل ذلك مرده ذلك الاكتشاف بالنسبة للقنبلة النووية التكتيكية ؟ وجاء مع ذلك حادث (فانونو) فكان لابد وأن يطرح التساؤل ؟ هل هو تسريب مقصود ؟ أم أنه نوع من التسيب في الجهاز المشرف على التعامل مع السلاح النووي ؟ وإذا كان تسريباً مقصوراً فلماذا ؟ ما الذي تبغيه إسرائيل من اقناع العالم بأن لديها أكثر من مائتي رأس نووي ؟ وإذا كان تعبيراً عن حالة تسيب فما هي الدلالة التي يمكن أن نستخلصها من مثل هذا الموقف ؟

ولكن ما المقصود بدقة، من أن إسرائيل تملك القنبلة النووية التكتيكية لحسابها ؛ بحيث أن القيادة العسكرية اليهودية هي التي تتحكم في كل ما يتصل بها ؟

القنبلة النووية التكتيكية الإسرائيلية

يجب منذ البداية أن نميز بين مجموعة من الحقائق:

أ) **القنبلة التكتيكية** ليست هي السلاح النووي، فالقنبلة التكتيكية هي سلاح نووي ؛ ولكنه محدود الفاعلية بمعني أن آثاره المدمرة محدودة، بتبعية مساحية معينة، وبحيث أن الاثار المدمرة لا تتجاوز تلك البقعة. حدها الأدنى قرابة خمسين كيلو متراً مربعاً، وحدها الأقصي لا يتجاوز خمسمائة كيلو متراً مربعاً. فلو تصورنا مربعاً آخر أحد أضلاعه خمسة وعشرين كيلو متراً نستطيع أن نحصر آثار القنبلة الذرية سواء المباشرة أو غير المباشرة بل وفي الأمد القصير نسبياً.

ب) **كذلك علينا أن نتذكر** الفارق بين القنبلة التكتيكية النووية المخزّنة في إسرائيل من جانب الولايات المتحدة، وتلك التي استطاعت أن تتوصل إليها اسرائيل، مستقلة عن اتفاقها مع الولايات المتحدة ولحسابها الخاص. سبق وذكرنا موضع القنبلة النووية التكتيكية في الترسانة المخزنة في اسرائيل، بمقتضى اتفاقية التعاون بين واشنطون وتل أبيب. وهي قنبلة لا نعلم عن خصائصها الكثير ولكن هناك قنبلة أخرى قد تم انتاجها، وتمت تجربتها لحساب اسرائيل، وفي اتحاد جنوب أفريقيا. هذه هي التي تعنينا في هذا المقام.

ج) **رغم ذلك فيجب أن نعترف** بأن معلوماتنا المتوافرة والمتداولة، بخصوص السلاح النووي الإسرائيلي على وجه الخصوص، لا تساوي قلامة ظفر، انها قديمة من جانب وهي لم تخضع لتحليل جدي حيث يتوفر السياسي المتخصص، والعلمي النابه، ثم العسكري الميداني من جانب آخر . ولنقدم لذلك نموذجاً، خرجت علينا الصحافة تهلل وتبشر بخصوص ترجمة كتاب «بيتر براي» عن الترسانة النووية الإسرائيلية (انظر الشعب بتاريخ 1989/4/25). هذا الكتاب طبع بتاريخ 1984 وتنتهي معلوماته عند عام 1982 في اسرائيل وفي جنوب أفريقيا توقف عند ذلك العام ؟

بدأ التساول عن امتلاك إسرائيل للقنبلة النووية التكتيكية، كان في أواخر عام 1979 (سبتمبر) عندما سجلت أجهزة الرصد حدوث برق ضوئي ساطع في عرض البحر بالقرب من الطرف الجنوبي لدولة جنوب أفريقيا. وقد رجح في وقته الخبراء أن سبب هذا البرق الضوئي هو اختبار قنبلة ذرية. ثم كشفت عقب ذلك مصادر المعلومات وصول عقب هذا الانفجار مباشرة وفد عالي التخصص من إسرائيل إلى جنوب أفريقيا. وظلت المعلومات تتوافر وتتجمع حتى خرجت علينا مجلة «دير شبيجل» الألمانية منذ ثلاثة أعوام بمقال كتبه أستاذ سابق في جامعة تل أبيب، يكشف عن حقيقة التعاون بين الدولة اليهودية واتحاد جنوب أفريقيا، الذي كان أحد أبعاده انتاج هذه القنبلة التكتيكية.

القنبلة النووية التكتيكية التي توصلت إليها اسرائيل بالتعاون مع جنوب أفريقيا، تتميز بخصائص معينة بحيث يمكن تحديد مواصفاتها بالتالي:

(أولاً) قوتها التدميرية لا تتجاوز ٢ كيلو طن وهو الأمر الذي يعني أن حدودها المكانية من حيث التدمير لن تتجاوز خمسين كيلو متراً مربعاً، أي مساحة لا تتجاوز من حيث اتساعها سبعة كيلو مترات طولاً في سبعة كيلو مترات عرضاً . فإذا أضفنا إلى تلك المساحة عشرة أمثالها من قبيل الاحتراز المبالغ فيه لفهمنا إلى أي مدى تستطيع إسرائيل أن تستخدم هذه القنبلة في حربها القادمة، ودون أن تخشى على نفسها. ولفهمنا

ولو مؤقتاً لماذا سوف تكون الخطوة الأولى في الحرب القادمة، ضرب الدول الثلاث البعيدة عن حدودها العراق وليبيا واليمن.

(ثانياً): هذه القنبلة يمكن اطلاقها من مدفع هاويتس من عيار ١٥٥ ميلليمترات، أو من مدفع محمول على متن سفينة أو من صاروخ جو / أرض.

هذا التطور قَلَب رأساً على عقب جميع الاحتمالات .. ومعه بدأ التفكير الجدي في استراتيجية إسرائيلية جديدة.

ما هي هذه الاستراتيجية ؟

وما هو موضع السلاح النووي في هذه الاستراتيجية ؟

وما هو موضع القنبلة التكتيكية في السياسة النووية الإسرائيلية ؟

وكيف يستطيع العالم العربي تحييد هذا السلاح ؟

وأين مصر من ذلك ؟

الأسئلة تتداعى ولكل سؤال اجابة.

التعقيـــب :

أين استراتيجية العالم العربي والإسلامي في مواجهة استراتيجيات الأعداء؟

مصادر المقالة الثامنة

- LEFEVRE. les armeés nuclearies dans le monde. 1981.
- BIATIA. Unclear livals in the middle east. 1988.
- NASHIF. Unclear warefate in the middle east, 1986.



المقالــــة التاسعة

"الــدول العربيـــة تستخــدم الأسلحـــة التقليديـــة فـــي تدميـــــر السلاح النـــووي الإسرائيلـــي"

تحت هذا العنوان كتب المؤلف -رحمه الله- : « السلاح النووي يثير الكثير من المشاكل، سواء بخصوص، استخدامه أو بخصوص آثار امتلاكه على التحرك الدولي، والسياسة الخارجية للدولة التي تمتلكه .. على هذه المشاكل كانت تقتصر حتى وقت قريب على علاقة الدولتين الأعظم، وحلفاء كل منهما من الدول الكبرى، ولكن طُرح هذا الموضوع، في علاقة الدولة الصغيرة سواء من حيث علاقة الدول الصغيرة بعضها بالبعض الآخر، أو من حيث علاقة تلك الدول الصغيرة والتابعة بالدولتين الأعظم، لم يحدث حتى وقت قريب .. امتلاك إسرائيل للسلاح النووي وبصفة خاصة للقنبلة النووية التكتيكية آثار هذا الموضوع وبصفة خاصة من منطلق مبدأ التوازن الاقليمي.

قبل أن نطرح الموضوع، من متغيراته الأساسية، فإن هناك مجموعة من المفاهيم الخاطئة والتي لا تزال تسود العقل الاستراتيجي العربي يجب أن نزيلها .. هذه المفاهيم رَسَّبتها في الادراك العربي، الدعاية الصهيونية، وساعد على ذلك الجهالة العربية، وقد آن الأوان لأن نفهم الحقائق في صورة واضحة ودقيقة.

أول هذه المفاهيم، القناعة بأن الدول النووية ملتزمة بعدم انتشار السلاح النووي، وهي من ثم تتصور قياداتنا، فإن هذه الدول النووية، تقف من السياسة النووية الإسرائيلية، موقف التحفظ إن لم يكن الرضا .. هذا المفهوم الخاطئ ، لا ينطبق فقط علي فرنسا ؛ بل وكذلك علي الولايات المتحدة .. لقد سبق ورأينا في موضع سابق، كيف أن واشنطن تخزن القنبلة النووية التكتيكية في إسرائيل ؛ بل وهي في تل أبيب لتكون أداتها، في استخدام هذه القنبلة لإيقاف التدفق السوفييتي اليساري، لو حدث نحو البحر الأبيض المتوسط .. البعض من قياداتنا بالسذاجة المعهودة، يتصور أن عدم اعلان إسرائيل عن قدرتها

النووية، وعن امتلاكها للقنبلة النووية، هو الخشية من الولايات المتحدة الأمريكية التي لا ترغب ولا تقبل امتلاك إسرائيل لتلك القنبلة. أمر غير وارد، والثابت أن إسرائيل حتى في تعاملها مع جنوب أفريقيا حصلت على مساعدات سخية من جانب واشنطن .. كذلك فإن فرنسا تساعد إسرائيل بجميع الوسائل لتدعيم قدرتها النووية .. ليس فقط بالمعنى المعروف، من أنها تلقت مساعدة من فرنسا عقب الاعتداء الثلاثي، لمساندة الصناعة النووية العسكرية، بل وعقب مجئ (ميتران) إلى السلطة، الرئيس الفرنسي وعد تل أبيب بمفاعل ضخم أثناء زيارته لاسرائيل منذ عدة أعوام، تسدد نفقاته بتقديم إنتاج اسرائيل من علب السردين، وهذا يعني أنه يقدم المفاعل هدية من باريس إلى الدولة العبرية .. لا يجوز أن تخدعنا التصريحات العكسية التي هي أداة التخدير .. والواقع أن خلف ذلك لعبة معينة، فالولايات المتحدة تفرض على فرنسا أي معلومات عن التقدم التكنولوجي بهذا الخصوص. تل أبيب تقوم بدور الوسيط بالنسبة لفرنسا، إذ تسرب إليها المعلومات التي تصلها نتيجة لتعاونها القائم على قدم وساق مع واشنطن .. والخلاصة، أن الولايات المتحدة وكذلك فرنسا دون الحديث عن جنوب أفريقيا، تقدم لاسرائيل جميع التسهيلات بهذا الخصوص.

الأمر الثاني والذي يساهم في تخدير القيادات العربية القناعة بأن استخدام السلاح النووي في النهاية مقيد باعتبارات دولية وأن القوى العظمى لن تسمح باستخدام ذلك السلاح في منطقة الشرق الأوسط ليس فقط الاتحاد السوفييتي بل وكذلك الولايات المتحدة مرد ذلك السذاجة العربية التي تتصور بأن هناك رأياً عاماً دولياً يستطيع أن يمارس قوة ضاغطة على الارادة الاسرائيلية .. فكرة خاطئة وقد أثبتت الأحداث أن الرأي العام الدولي لا وجود له وأنه ان تحرك فعندما تصيبه الأحداث وليس عندما يصاب الآخرون .. وقد أثبتت ذلك حرب الخليج .. ضرب بغداد بالصواريخ بل وضرب أكثر من مدينة واحدة ايرانية لم يُحرك ساكناً في مستنقع الرأي العام الدولي.

الأمر الثالث وهو أن نفقات القنبلة النووية مخيفة، لا تستطيع أن تتحملها ميزانية الدول الصغيرة أو الدول الفقيرة، مما لا شك فيه أن هذه حقيقة ولكنها مسببه. ان هناك من السلاح التقليدي ما هو أكثر تكلفة من السلاح النووي، مما لا شك فيه أن السلاح الكيمائي والجرثومي كما سوف نرى في موضعه أقل تكلفة، ولكن هذا لا يعني أن السلاح النووي هو الأكثر تكلفة. لقد تقدم وتطور انتاج السلاح النووي بحيث أضحي في متناول الجميع .. ويكفي أن نتذكر أن الطائرة ميراج 2000 تكلفتها خمسة أمثال تكلفة عجلة اطلاق صاروخ بلاستيكي متوسط، الذي يصلح لارسال الرء وس النووية .. كذلك نستطيع أن نضيف أن مدمرة بحرية تقليدية، لا يقل ثمنها عن ثمن ثلاث غواصات نووية. هذه المفاهيم الخاطئة يجب أن تزال من الادراك العربي ..

السلاح النووي وعملية التوازن الاقليمي

يرتبط بذلك مفهوم آخر، بدوره خاطئ ؛ ولكن له آثاراً خطيرة، بالنسبة للتعامل مع هذا السلاح في منطقة الشرق الأوسط، ونقصد بذلك مفهوم توازن الرعب كأداة حاسمة في تحقيق تحييد السلاح .. هذا المفهوم هو الذي يسيطر على التوازن النووي، على مستوى التعامل بين الدولتين الأعظم .. خير وسيلة لمنع أي طرف من استخدام السلاح الذري، هو امتلاكه وبنفس القوة والفاعلية والمستوى من الجانب الآخر .. في لحظة معينة، تسرب المفهوم في الادراك العسكري والسياسي العربي، حيث تصور المسئولون أن امتلاك السلاح من الجانب العربي سوف يكون سبباً كافياً، لتحييد السلاح فلا تستخدمه أو تفكر في استخدامه القيادة الاسرائيلية .. ولعل هذا هو أيضاً السبب في أن أحد عناصر السياسة الاسرائيلية لا تسمح لأي دولة عربية بامتلاك السلاح النووي، لأنها بذلك تضمن امكانية الممارسة والإرهاب أو الردع بصورة فاعلة في مواجهة خصومها ..

هذا المفهوم الخاطئ ، أو بعبارة أدق لا يصلح لتفسير علاقة التوازن الاقليمية، وإن كان يصلح لتفسير علاقة التوازن الكلية الشاملة. لماذا ؟

(أولاً) يجب أن نتذكر أنه في علاقة التوازن الدولي هناك أطراف غير الدولتين الأعظم يمكن في إطارها استخدام السلاح الذري .. في لحظة معينة عَرض (ريجان) استخدام هذا السلاح في تعامله مع الاتحاد السوفييتي في الأرض الأوروبية .. ورغم أنه كان غير موفق في هذا العرض، إلا أنه يعكس حالة فكرية قائمة ومتداولة بين المسئولين، سواء في واشنطن أو في موسكو، وإذا كانت أوروبا ولها وزنها قد ثارت فلماذا لا يستخدم هذا السلاح في خارج أوروبا أي في أحد أجزاء العالم الثالث، وبصفة خاصة في منطقة كالعالم العربي، أو أفريقيا السوداء ؛ وهو ما يتفق مع التوجهات الخفية للدول البيضاء ؟ هذا الاحتمال لا موضع له بالنسبة للقوى النووية الاقليمية، لأنها تستطيع ولا تملك مثل هذه القدرة.

(ثانياً) أن السلاح في العلاقة بين القوتين الأعظم، هو أساساً سلاح ردعي. ولكنه ليس سلاحاً للممارسة .. والسبب في ذلك يعود أساساً إلى أن كلتا القوتين الأعظم تمتلك من السلاح التقليدي ما يسمح لهما بقوة تدميرية مخيفة، ومن ثم فهما ليستا في حاجة إلى استخدام السلاح النووي .. في القوى الإقليمية فإن هذا السلاح أي النووي، ليس سلاحاً فقط ردعياً بل هو بالأساس لتحقيق السيادة لأحد الأطراف في مواجهة الأطراف الاخرى، ولذلك فهو ليس سلاحاً ردعياً بالأساس بل هو سلاح للممارسة .. وقد رأينا قبل ذلك هذا التحول في السلاح النووي الإسرائيلي، منذ اكتشاف القنبلة النووية التكتيكية .. إسرائيل

تعد نفسها لاستخدام هذه القنبلة، لأنها سوف تسمح لها بتحقيق الهيمنة على المنطقة، وهو في جوهره أداة لخلق الاختلال في التوازن السلاحي في المنطقة لصالحها.

(ثالثاً) ويبرز هذا في صورة واضحة، بالنسبة لما يسمى بالضربة الثانية .. ففي الادراك السائد بالنسبة للسلاح النووي، واستخدامه من جانب الدولتين الأعظم، أن العبرة الحقيقية في حالة استخدام السلاح، هو من يوجه الضربة الثانية .. ومعنى ذلك أن الضربة الأولى لن تحسم المعركة، حيث الطرف الثاني في حالة استعداد دائمة، وما أن تصيبه الأولى حتى يأتي رد فعله في ضربة ثانية، هي وحدها الحاسمة بحيث اما تلقي الخصم أرضاً، فتحقق له الفوز، أو تأتي محدودة الفاعلية فتكون النهاية، ولكن في نطاق التعامل الاقليمي، وفي ضوء ما سبق وقدمناه لن تكون هناك ضربة ثانية .. الطرف الثاني لا يملك أي امكانيات أو امكانياته محدودة، بحيث أن الضربة الثانية لو حدثت فلن تأتي من الطرف الذي خضع للضربة الأولى، وانما سوف يكون مصدرها نفس الذي صدرت منه الضربة الأولى.

القدرة النووية الإسرائيلية

قبل أن نواصل هذا التحليل، يجب أن نحدد بصورة دقيقة، القدرة النووية الإسرائيلية وخصائصها .. سبق وذكرنا في أكثر من مناسبة، أننا لا نملك معلومات موثوقاً بها، وليست لدينا أجهزة للمعلومات، وبصفة خاصة مراكز استراتيجية تستطيع أن تقول كلمتها بذلك الخصوص. هذا التقدير من جانبنا، هو نتيجة جهود فردية أجراها بمشاركتنا البعض من طلبتنا في بغداد، وحيث أخضعنا هذا الموضوع لدراسة حادة خلال قرابة ثلاثة أعوام، شاركنا فيها بعض العلماء الفرنسيين، وبصفة خاصة مركز الدراسات الاستراتيجية القومية بباريس .. ومن ثم يجب أن يكون واضحاً أن التقدير مهما بلغ من دقه، فإنه تعوزه المساهمة الجادة المسئولة .. كذلك فإن الثقة في ذلك الذي يقدمه العلماء الفرنسيون، محدودة فنحن نعلم بأن التعاون بين السلطات الفرنسية، وتلك الإسرائيلية حتى هذه اللحظة على قدم وساق.

المتغيرات التي تتحكم في نوعية وخصائص السلاح النووي الإسرائيلي اربعة:

(أولاً) سيطرة القنابل النووية الصغيرة .. لقد سبق وذكرنا الاكتشاف المتعلق بالقنابل النووية التكتيكية إسرائيل منذ ذلك التاريخ لابد أن تتجه فقط لانتاج هذا النوع من القنابل .. لماذا ؟

1- توزع الأهداف في منطقة الشرق الأوسط التي سوف تكون مسرحاً للعمليات، ومن ثم فامتلاكها لعدد كبير من القنابل الصغيرة، يمكن إسرائيل من أن تصيب العديد من الأهداف الموزعة على رقعة جغرافية متسعة.

2- استخدام قنابل صغيرة، في حالة اسرائيل يمكنها من تحقيق فاعلية أكبر لالحاق الأذى بأكبر قسط من الأهداف.

3- كذلك فإن قذف القنابل الصغيرة، أكثر سهولة من القنابل العملاقة ؛ بل وهو بفضل الأدوات التي تملكها إسرائيل يصير أكثر دقة.

4- هذا إلى جوار أنه أقل تكلفة.

5- وذلك دون الحديث عن أن القنابل الصغيرة، ليست في حاجة إلى إجراء تجارب للتفجير، وهو أمر يجعل إسرائيل تملك استقلالاً معيناً في انتاج تلك القنابل.

6- وأخيراً ولعل هذا أهم متغير وهو أن هذه القنابل ورغم قوتها التدميرية الرهيبة فإنها محدودة من حيث الاشعاع الذري، ومن ثم، فإن إسرائيل تصير مطمئنة ولو نسبياً على عكس الحال بالنسبة للقنابل العملاقة.

(ثانياً) الواقع أن مصدر ذلك الخيال الاستراتيجي، أن حاجة إسرائيل للسلاح النووي ليس كحاجة الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي، أو غيرهما من الدول النووية الكبري، إنها -أي إسرائيل- وهي في قلب الوطن العربي، وذات مساحة صغيرة لا يمكن أن تستخدم ضد جيرانها قنبلة نووية كبيرة، لأن هذا يشكل خطراً على أرضها ؛ بل وحتى ولو استخدمت القنبلة النووية الكبيرة في أرض بعيدة عنها، فإن ضخامة الإشعاع يشكل خطراً على احتمالات التوسع والغزو الاقتصادي، الذي هو محور سياستها .. رغم ذلك فإسرائيل تمتلك أيضاً قنابل متوسطة، وهي التي كانت تنتجها قبل توصلها إلى إنتاج القنبلة التكتيكية.

وبصفة عامة نعتقد أن اسرائيل حالياً تملك:

1- حوالي ثلاثين قنبلة من زنة 8 ك.ج، وقد يكون عددها لا يتجاوز عشر قنابل، وهي التي أنتجت قبل، وكما سبق وذكرنا، التوجه إلى القنابل الصغيرة.

2- عدداً من القنابل أو الرءوس النووية التي يتراوح عددها ما بين مائة قنبلة ومائتين من النوع الصغير جداً، والذي لا يتجاوز وزنه 2,5 ك.ج .. مرد هذا التقدير حجم اليورانيوم الذي حققته اسرائيل من جانب، وتحليلات الحوار والتصريحات التي صدرت من العالم الفني لإسرائيل (فانونو).

3- وهي قادرة على أن نضيف إلى هذا العدد، وبإمكانياتها الحالية السنوية حوالي ثلاث قنابل وابتداء من عام 1986 وهو العام الذي عُرف فيه، أن إسرائيل تملك حوالي مائتي رأس نووية.

4- وذلك دون الحديث عن القنابل النووية المخزنة لصالح الولايات المتحدة في إسرائيل.

(ثالثاً) الأسلحة النووية الإسرائيلية مفككة، وهي بحاجة إلى تركيب. ويستنتج ذلك من رواية التايم بخصوص استخدام السلاح النووي في حرب أكتوبر 1973 ولا يوجد ما يحمل على الاعتقاد بأن السلطات المسئولة قد غيرت من سياستها بذلك الخصوص. عملية التركيب هذه في حاجة فقط إلى 72 ساعة .. بطبيعة الحال هذا لا يمنع من أنه خلال الفترة الماضية منذ عام 1973 وبصفة خاصة، عقب ضرب المفاعل النووي في بغداد، أن تكون لدي اسرائيل بعض القنابل الجاهزة للاستعمال الفوري وبصفة خاصة من القنابل الصغيرة الحجم.

(رابعاً) هذه القنابل مخزّنة في أقباء تحت الأرض في موقع قريب من مفاعل ديمونا أو تحت نفس المفاعل .. والواقع أن هذا خير موقع لتخزينها، سواء لأن صحراء النقب أفضل مكان في اسرائيل بعيد عن أعداء اسرائيل، سواء لأن هذه الصحراء مكان غير مسكون ومن ثم تصير مكاناً ملائماً لخزن الأسلحة النووية، بحيث أن الخسائر لو حدث انفجار تكون محدودة. سواء لأن التدابير الأمنية في ذلك المكان أكثر سهولة وأكثر فاعلية سواء أخيراً لأن التخزين بالقرب من المفاعل، تقلل من النفقات بالنسبة للنقل.

ليس هذا موضع الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة في كلياتها .. ولكننا لا نستطيع أن نترك الحديث عن السلاح النووي دون التعرض للاستراتيجية المتعلقة بالسلاح النووي، على أن نتعرض للديناميات العامة للتعامل القتالي إلى موضعه، عقب أن نحلل الأسلحة الخمسة التي سوف تستند إليها إسرائيل في حربها القادمة.



المقالـــة العاشرة

"الســـلاح النـــووي الإسرائيلـــى واستراتيجيـــة المواجهـــة العربيـــة"

تحت هذا العنوان كتب المؤلف –رحمه الله– : « ليس هذا موضع تقديم نظرية متكاملة، لمبادئ التخطيط الاستراتيجي، أو قواعد التعامل في النظرية القتالية. تعرضنا لبعض النواحي حيث فرضت الضرورة ذلك . كذلك ونحن نطرح موضوع الاستراتيجية النووية الإسرائيلية، فإن بعض عناصر النظرية الاستراتيجية، يتعين علينا أن نتصدى لها بالتبسيط المطلق وفي حدود ما نعرض له من مشاكل . سبق أن رأينا أن استراتيجية القتال بالسلاح النووي تخضع لمبادئ مختلفة، تبعاً للطرف المتعامل، ولهدفه من استخدام السلاح النووي . فيما يتعلق بالطرف المتعامل، نستطيع أن نميز بين استراتيجيات ثلاث: القوتين الأعظم، الدول الكبرى، ثم الدول الصغيرة، في هذا الصدد يبرز بشكل واضح معنى تقسيم الدول إلى طبقات متميزة. فموسكو لا تخضع لنفس المبادئ الاستراتيجية التي تخضع لها دولة كفرنسا . كذلك فإن إسرائيل، أو دولة كمصر، تصير نموذجاً آخر، إسرائيل تلجأ إلى القنبلة النووية التكتيكية لإعادة تشكيل التوازن الإقليمي لصالحها . سوف نرى معنى ذلك فيما بعد بصورة أكثر تفصيلاً، ولكن المهم الذي يجب أن نتذكره، أنها تتعامل بهذا المعني مع دول لا تملك السلاح الذري، ولا التوازن النووي مع إسرائيل، وسوف نطرح فيما بعد قناعتنا بأن العالم العربي مهما بذل من جهد، ووضع من ارادة، لن يستطيع أن يصل إلى التوازن النووي مع اسرائيل، ولو من بعيد. ومن ثم يجب أن ينازل إسرائيل بهذا الخصوص مستنداً إلى سلاح آخر، وهو ما سوف نحدده بوضوح في موضعه: أي السلاح الصاروخي. على أنه لذلك يجب وضع استراتيجية متميزة. ما هي تلك الاستراتيجية ؟ سؤال الإجابة عليه سابقة لأوانها. الذي يعنينا مؤقتاً تحليل الاستراتيجية القتالية الاسرائيلية، بصدد القنبلة النووية التكتيكية.

هناك قاعدتان يجب أن تكون كلاهما واضحة في الذهن:

(القاعدة الأولى) التناسق في مستويات التعامل الاستراتيجي.
(القاعدة الثانية) الاستخدام الأمثل للقدرات الذاتية.

هذه القواعد لا تنبع فقط من الاستراتيجية القتالية النووية، فهي خصائص عامة تشمل أي تعامل استراتيجي، ولكنها بصدد هذه القنبلة النووية التكتيكية ترتفع إلى القمة . وهنا نلحظ جانباً أن أحد مصادر قوة إسرائيل، لو قُورنت بخصومها، هي دقة التعامل الاستراتيجي . إسرائيل ما ملكت استراتيجية واضحة لم تتغير في عناصرها منذ وجودها حتى اليوم، في مواجهتها يوجد عالم عربي لا يملك القدرات الاستراتيجية بأي معنى من معانيه، من يتابع أولئك الذين كتبوا صفحات ومؤلفات عن حرب يونيه، ثم عن حرب أكتوبر، يلحظ مدى السذاجة التي تميزت بها القيادات المصرية . حتى العراق، عندما أُتيحت له فرصة النصر، لم يعرف كيف يستغل النصر، ليضع حداً لاحتمالات حرب أخرى قادمة لأنه لم يملك العقلية الاستراتيجية التي تعرف كيف التعامل مع الموقف.

فلنقتصر مؤقتاً على الاستراتيجية القتالية النووية الإسرائيلية.

التناسق في مستويات التعامل الاستراتيجي

قاعدة التناسق الاستراتيجي تنقلنا إلى صميم العمل العسكري. سبق أن تعرضنا لذلك بخصوص مراتب التحرك الاستراتيجي. لا نريد أن نعيد ما سبق أن ذكرناه، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا في أضيق نطاق وبصفة خاصة في علاقات الاستراتيجيات الثلاث المتتابعة، لابد من بعض الايضاح. أي استراتيجية تملك العديد من المستويات، ولكن أبرز تلك المستويات من حيث الترتيب التنـــازلي، من أعلـــى إلى أسفـــل، توجد ثلاث: **استراتيجية عليا** أو الاستراتيجية القومية، ثم تعقبها **الاستراتيجية العسكرية** وتتلوها مباشرة **الاستراتيجية القتالية**. الاستراتيجية العليا، حيث تتبلور أهداف السياسة القومية التي يجب أن تسيطر على توجه المجتمع في تعامله الداخلي والخارجي، ولو في فترة معينة، وحيث تتحدد تلك الأهداف بوضوح وترتيب تصاعدي دقيق. ثم تعقب هذه الاستراتيجية العليا تلك العسكرية، التي هي في جوهرها صياغة عسكرية للاستراتيجية العليا، أي هي بعبارة أخري كيف تستطيع الأداة العسكرية أي أداة العنف المنظم أن تحقق تلك الأهداف من خلال القتال. سبق أن ذكرنا في موضع آخر أن الفكر العسكري الإسرائيلي المعاصر، يميز بصورة مطلقة بين سؤالين: متي يجب أن نقاتل ؟ ثم كيف يجب أن نقاتل ؟ السؤال الأول الإجابة عليه يتعاون فيه الفكر العسكري والفكر المدني . وهذا هو محور الاستراتيجية العسكرية. الاستراتيجية القتالية تأتي في مرتبة ثالثة لتجيب على

السؤال الآخر: كيف يجب أن نقاتل ؟ السلاح الأمثل، الموقع الأصلح، الأسلوب الأكثر فاعلية، بل ويدخل أيضا في هذا النطاق عملية اختيار القائد، الأكثر استعداداً للتعامل مع مجموعة هذه التساؤلات .. الاستراتيجية على هذا المستوى الثالث، لا يتدخل في صياغتها سوى صاحب المهنة العسكرية.

وهكذا نجد أنفسنا أمام ثلاث استراتيچيات متتالية: استراتيچية عليا، استراتيچية عسكرية، ثم استراتيچية قتالية، ما يجب أن نتذكره أن هذه الاستراتيچيات الثلاث يجب أن تملك تناسقاً كاملاً، وأن علاقة التناسق يجب أن تكون مطلقة لا تحتمل أي نوع من أنواع التناقض والتعارض، بحيث أن كل استراتيچية إنما تنشط في إطار ما حددته السابقة عليها من مبادئ، وقد طوعت تلك المبادئ لطبيعة المستوي اللاحق من مستويات التعامل الاستراتيچي. بطبيعة الحال هناك استراتيچيات أخرى لاحقة ولكن علينا أن نتوقف قليلا أمام هذه المستويات الثلاث، ونحن نحاول تحديد موقع القنبلة النووية التكتيكية من الصراع في منطقة الشرق الأوسط.

فلنحدد بوضوح عناصر الادراك القتالي الإسرائيلي:

(أولاً):السلاح الكيمائي أو الجرثومي هو رأس الحربة، أو المحور الأساسي في التعامل مع منطقة الشرق الأوسط.

(ثانياً):السلاح النووي هو أداة اسرائيل في عزل المنطقة. وكما سبق أن ذكرنا بإيجاز وهو ما سوف نعود إليه تفصيلا، فإن القنبلة النووية التكتيكية سوف تصير أداة إسرائيل في عزل المنطقة. سياسة إسرائيل الاقليمية تقوم على فكرة العزل، والتطويق، فكذلك سياستها العسكرية تنبع من نفس المبدأ وسوف تستخدم السلاح النووي أداتها في ذلك.

(ثالثاً):وهي لذلك لابد وأن تبطل مفعول السلاح الصاروخي، الذي يظل الأداة الحقيقية التي تخلق نوعا من الاختلال لصالح الدول العربية.

على أن تحليل هذه الناحية سابق لاوانه.

الاستخدام الأمثل للقدرات العسكرية الذاتية

الجوهر الحقيقي لأي تعامل استراتيچي ينطلق من مبدأ الاستغلال الأمثل للقدرات الذاتية. وهذا يعني أربعة عناصر للحركة كل منها يكمل الآخر:

(الأول): الاستناد في الحركة إلى أقصى عناصر القوة الذاتية، والتضخيم في ممارستها، العسكرية الإسرائيلية، تملك عنصرين هامين للقوة: الأول القنبلة النووية

التكتيكية التي تمكنها من التفوق الكامل على خصمها العربي، والتعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة التي تسمح لها بخط متأخر للدفاع موثوق من فاعليته سواء الاقليمية أو الدولية.

(الثاني): شَل عناصر الضعف الذاتية، أو القيام بعملية تمويه، بخصوصها إسرائيل ضعيفة استراتيجياً بل انها تملك من عناصر الضعف ما هو قاتل. أرض فلسطين التي تعيش عليها إسرائيل، لم تكن في أي مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً لقلاقل، انها مجرد معبر تجتازه الكلاب القادمة من الشرق، نحو أرض الحضارة في وادي النيل، أو يخترقه عمالقة الفراعنة وأحفادهم، وهم يتجهون إلى المشرق العربي، يبثون في ربوعه الحضارة والمدنية. وهي كذلك معزولة تحيط بها بحار المياه المتسعة من الغرب والجنوب، وبحار الرمال من الشرق. هذه البحار تجعلها مخنوقة، إلا في الشمال، حيث حائط العداوة يكمل هذا الحصار، استطاعت العسكرية الإسرائيلية أن تتخطى ذلك السور من جانب، بتحالفها مع الولايات المتحدة الذي جعل الأسطول السادس في طوع يدها، وبتعاونها مع حلف الأطلنطي، الذي جعل منها من حيث الواقع حليفاً لدول أوروبا الغربية. وأكملت ذلك بالتغلغل في الحبشة ؛ الذي جعل منها قوة مسيطرة على مدخل البحر الأحمر(1).

(ثالثاً): الشل لعناصر الضعف الذاتي، يكمله خلق عدم الفاعلية في قدرات الخصم، العالم العربي يملك عنصرين أساسيين يكونان قوة حقيقية في موقعه الاستراتيجي. اتساع رقعته من جانب والتضامن بين دول المنطقة، وبصفة خاصة المحيطة بإسرائيل، القادرة على أن تحصرها في أي قتال لتفرض عليها القتال على الأقل في ثلاث جبهات في وقت واحد.

رأينا في حرب 1967 كيف استطاعت إسرائيل أن تضرب ثلاثة جيوش من خلال استراتيجية أساسها منع الالتحام الحقيقي في الجبهات الثلاث في آن واحد. بدأت بضرب مصر، وعقب أن فرضت عليها الركوع اتجهت للأردن، ثم انتهت المعركة بسوريا. قوة الجانب العربي الحقيقية في هذه اللحظة هي السلاح الصاروخي. والجانب العربي قادر لو توافرت له القيادة الحقيقية، ذات القناعة القومية وارادة القتال بفضل السلاح الصاروخي، أن يجرد إسرائيل من قدراتها النووية. كيف ؟ وهل تقف إسرائيل صامدة إزاء ذلك الاحتمال ؟

---

(1) حاضر العالم الإسلامي أفريقيا – على أحمد لبن وآخرين – دار الوفاء .

(الرابع): وأخيراً استغلال عناصر الضعف في الخصم، بحيث تصير مقتلاً يقوده إلى الاستسلام والخنوع .. أحد عناصر الضعف في القدرة القتالية الإسرائيلية هو الاعتماد على الاحتياطي. فهل العسكرية العربية قادرة على أن تستغل ذلك ليصير منطلقاً لاختراق قاتل ؟

الذي يعنينا أن نذكره أنه في ظل الموقف الحالي، فإذا كانت إسرائيل تملك القنبلة الذرية التكتيكية، ولا يستطيع العالم العربي أن يجاري تل أبيب في مسابقة لامتلاك السلاح الذري، وهذا هو مصدر قوتها، فإن هذا العالم يمتلك السلاح الصاروخي، وهو قادر لو أحسن استخدامه أن يفرض على اسرائيل -على الأقل- العودة إلى حجمها الطبيعي: دولة صغيرة ودخيلة محدودة، من حيث المساحة ضعيفة، من حيث القدرة الديموجرافية فقيرة، من حيث الإمكانيات الاقتصادية.

كيف يمكن ذلك ؟

فلنبدأ بإسرائيل وسلاحها النووي المصدر الحقيقي لقوتها العسكرية.

الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة والسلاح النووي

نحدد أهداف السلاح النووي الإسرائيلي في ثلاثة:

(أولاً)إصابة المواقع الحساسة في الجسد العربي، والتي تسمح بعزل منطقة الشرق الأوسط عن محيطها الخارجي.

(ثانياً)وذلك بشرط ألا تتجه إلى المواقع التي يعني إسرائيل أن تمد إليها في القريب العاجل مخالبها لاستثمارها اقتصادياً لصالحها.

وبعبارة أخرى فإن السلاح النووي سوف يكون أداة لتحقيق حصار من جانب، ولخلق اضطراب وفوضى مخيفة من جانب آخر، دون أن يصل ذلك إلى حد نشر اشعاع ذري في مناطق يعني إسرائيل في الأمد القريب أن تتوغل فيها .. سوف نرى فيما بعد كيف أنها سوف تستخدم السلاح الكيمائي والجرثومي، في أغلب الدول المحيطة بها، ولكنها سوف تستخدم القنبلة النووية في المناطق غير المجاورة لها.

ولذلك فنحن نعتقد أن هناك أربعة مواقع معدة ؛ لأن تُضْرَب بالقنابل النووية التكتيكية:

أ) السد العالي في جنوب مصر.
ب) المنطقة الممتدة حول طرابلس في ليبيا.
ج) منطقة الموصل في شمال العراق.
د) مضيق هرمز حول سلطنة عمان لماذا ؟

ضرب السد العالي يعني تفجير الخزان، الأمر الذي يقود إلى اغراق مصر من أسوان حتى أسيوط خلال ست ساعات. هذه المنطقة تحيط بها مرتفعات من الشرق والغرب وكتلة المياه المتوافرة في بحيرة ناصر، والتي تمثل عدة ملايين من الأطنان، سوف تنطلق لتقضي على كل مظهر من مظاهر الحياة، حتى مديرية أسيوط .. يُقدر الخبراء أن ذلك لن يستغرق أكثر من عدة ساعات.

ضرب طرابلس في ليبيا يحقق أهدافاً عديدة، تشترك فيها تل أبيب مع واشنطن.

منطقة الموصل في شمال العراق، وهي المنطقة الصناعية الحقيقية في العراق تصير الهدف الثالث، وخصوصاً أن ذلك لو حدث في لحظة معينة فانه كفيل باغراق نفس بغداد ..

مضيق هرمز يصير الهدف الرابع، لأنه يسمح بخلق منطقة معينة للإشعاع تؤدي إلى عزل الخليج العربي عن العالم الخارجي من خلال الممرات البحرية، وهو ما يكمل أهداف اسرائيل.

الهدف الأساسي هو عزل منطقة الشرق الأوسط عن العالم الخارجي، وهكذا تستطيع إسرائيل أن تصول وتجول .. القنبلة النووية التكتيكية تحقق هذا الهدف. ترهب المنطقة وتقضي نهائياً على إرادتها، ثم تعزلها عن العالم الخارجي، بحيث تستطيع إرادة تل أبيب أن تصول وتجول علي الأقل قرابة قرن كامل قبل أن تزول نهائياً الآثار الإشعاعية في مواقع ضرب القنابل الذرية.

الصراع الفكري الإسرائيلي حول استخدام السلاح النووي

من الأمور التي لا يجوز أن نتركها تمر عابرة، بخصوص السلاح النووي، الصراع الفكري بين التوجهات العسكرية الإسرائيلية، والذي ظل سائداً حتى ضرب المفاعل النووي في بغداد .. فقد انقسم حتى ذلك التاريخ الفقه العسكري الإسرائيلي الى فريقين: الصقور من جانب، الحمائم من جانب آخر.

فريق الصقور كان يطالب بالتوسع في النشاط النووي واستخدام السلاح النووي، هذا الفريق الذي ساد في الأوساط الحاكمة عندما قرر مناحم بيجين ضرب المفاعل العراقي يستند إلى الحجج التالية:

(**أولاً**): لأن التطور النووي في الوقت الحاضر قد دخل في بعض الدول العربية، ولم تعد اسرائيل هي المتحكمة في انتشار واستخدام القنبلة الذرية في المنطقة.

(ثانياً): كذلك فإن أغلب القيادات المسئولة في العالم تعتقد عن قناعة أن إسرائيل تملك حالياً تلك القنبلة النووية، وهذه القناعة لم تعد في حاجة إلى أي حجة جديدة، لتؤكد احتمال صحة الافتراض.

(ثالثاً): كذلك فإن قدرة إسرائيل النووية سوف تقود إلى دبلوماسية أكثر توفيقية.

(رابعاً): أضف إلى ذلك، أن التهديد النووي سوف يخفف من عبء الانفاق العسكري بصدد الاحتفاظ بقدرة لمواجهة الجيوش العربية .. بل انه بمعنى معين سوف يقلل من التبعية العسكرية المطلقة لإسرائيل في مواجهة الولايات المتحدة.

هذه الحجج طرحها أطراف التشدد الذين ظلوا حتى عام 1975 يمثلون الفريق السائد في المؤسسة العسكرية .. ولكن في أعقاب اتفاقية فك الاشتباك الثاني، بدأت تظهر نغمة جديدة تمثل العكس لهذا التوجه، وفي حدود معينة انصار هذا التوجه الجديد والذين يوصفون بالحمائم النووية يناقشون حجج الفريق الآخر واحدة وراء الأخرى، ليصلوا إلى موقف يختلف عن موقف الصقور في عناصره الأساسية:

أ) فمهما كانت الحجج المتعلقة بانتشار السلاح النووي في المنطقة، فما دامت إسرائيل لم تستخدم هذا السلاح فهي تظل غير مسئولة عن التطور الذي لابد أن يقود إليه مثل هذا الواقع.

ب) كذلك فطالما أن هناك شكا حول قدرة إسرائيل النووية، فإن الضغط من الجانب العربي بهذا الخصوص يمكن مقاومته.

ج) أن الاستراتيجية النووية التي تعني في طبيعتها التدمير الشامل، ليس هو الإجابة المعقولة والمقبولة في الإطار الحالي للتعامل. ولنتصور على سبيل المثال، هجوم إرهابي علي احدي الكيبوتزات.

د) السلاح النووي يفترض تهديداً متجانساً، ومركزاً وهو أمر غير متوقع في منطقة الشرق الأوسط، العديد من الأطراف تهدد إسرائيل، لكن دون أن يرتبط ذلك التهديد بحساب محدد لأي تعبير عن العنف ونتائجه.

هـ) وأخيراً فإن الخيار النووي سوف يقلص من قدرة إسرائيل على الحركة، وبصفة خاصة أمام الولايات المتحدة، فإسرائيل وهي لا تملك القدرة النووية تستطيع أن تبرر أي حركة عسكرية اجهاضية ضد أي تجمع للعدو، وهي –أي إسرائيل– تضمن أيضا في تلك اللحظة استمرار المساندة بالسلاح التقليدي من جانب واشنطن.

الجانب العربي واستراتيجية المواجهة

قبل أن نترك جانباً السلاح النووي في الترسانة الإسرائيلية، ورغم أننا سوف نعود في موضع لاحق للتعامل مع مختلف الأسلحة الإسـرائيلية في ديناميكيـة كاملة، فنود أن نلفت النظر إلى حقيقة سوف نطرح تفاصيلها فيما بعد .. المواجهة العربية ضرورية، وهي لا تفترض سوى إرادة واضحة صريحة، حيث يجب أن تكون مصر، رأس الحربة في تلك المواجهة .. وفي مواجهة السلاح الذري الإسرائيلي، ليس أمامنا سـوى أمر واحد: هجـوم عربي مباغت بالسـلاح التقليـدي يكون هدفه الأساسـي تدمير السلاح النووي الإسرائيلي.



الخاتمــــة

الحمد لله .. نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واستن بسنـته إلى يوم الدين . أما بعد :

فلعل القارئ الكريم أدرك معنا الحقائق التالية :

- أن الصهيونية العالمية، وقوى الاستعمار العالمي، لم ولن تقنع باغتصاب فلسطين بيت المقدس، ولكنها ترنو بأبصارها إلى دولة صهيونية، تمتد حدودها من النيل إلى الفرات . تمهيداً لهيمنة على كوكبنا الأرضي، من بيت المقدس وذلك يعني أن الخطر لم ولن يقف عند أرض فلسطين ؛ بل إنه يهدد كل بقعة من أرض الإسلام، وخاصة العالم العربي .
- والصهيونية العالمية، وقوى الاستعمار العالمي وهي تمارس غزوها وعدوانها، لا أقول على العالم الاسلامي فحسب ؛ بل على الانسان، كل الإنسان، إنما تتستر بستار (عقدي)* يهودي .. نصراني .
- ولقد تبين لنا أن العدو الصهيوني قد أعد العدة لجولة "سادسة" مباغتة وفجائية، ضد العالم العربي، وأنه قد أعد لذلك أسلحة نووية تكتيكية وكيماوية، وذلك بالإضافة إلى السلاح التقليدي، بل انه حدد الأماكن التي سيقوم (بضربها) . السد العالي . المنطقة حول طرابلس (ليبيا) . مضيق هرمز –الخليج– وذلك تحت حماية قوى الاستعمار العالمي، بما في ذلك إمكانات حلف الأطلنطي، ومن أجل هذا قامت الولايات المتحدة بتخزين (أسلحة استراتيجية) في أرض فلسطين المحتلة، وتقوم بمناورات مشتركة مع العدو في صحراء النقب، بل وتقوم بتأمين (الحوض الشرقي) للبحر المتوسط . وأيضاً باب المندب المدخل الجنوبي للبحر الأحمر .

(*) اعتماداً على ما جاء في التوراة برغم تزيفها .. وتغيرها .. وتبديلها ما نصه [وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً (عهداً) لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات] سفر التكوين 18/15 .

- راجع في ذلك كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – رجاء جارودي طبعة ثامنة . الناشر دار الغد العربي 1997 صـ 33 تحت عنوان "اسطورة الوعد" .
- راجع في ذلك أيضاً كتـــاب : أهـــداف إســـرائيل التوسعيـــة في البلاد العربية اللواء الركن/ محمود شيت خطاب – دار الاعتصام 1980 صـ 13 ؛ صـ 27 .

كل ذلك بهدف أن تصبح هـي القوة العسكرية والاقتصادية المهيمنة على المنطقة، أملاً في أن ترث وظيفة مصر الحضارية والإقليمية والدولية .

- ومن أجل هذا تزعم إسرائيل أنها دولة شرق أوسطية، رغم أن طبيعتها وتكوينها ليست كذلك .
- ولقد ذكر الكاتب : أن للصهيونية – التي تحتل أرض فلسطين – وظيفة وهـي تمكين "القوى العظمى" من تحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوسط :

1– القوة الأمريكية التي ترتبط بها الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات .

2– القوة الأوربية. 3– القوة السوفيتية.

- وأهداف أمريكا كما ذكر الكاتب : فرض وضع التخلف على المنطقة العربية [التقني والتعليمي والاقتصادي والسياسي ...] ومنع المنطقة من الوحدة الحقيقية أو بعبارة اخرى تمزيق المنطقة وتحويلها إلي كيانات طائفية .. هشة .. ومتصارعة . وأن تتولى هذه المنطقة عملية المساندة الثابتة للقوات العسكرية الأمريكية، سواء بتخزين السلاح أو بتحويل أرضها – أي أرض إسرائيل – والعلاج لصالح القوات الأمريكية*
- كما ذكر الكاتب –رحمه الله تعالى– أن من أهداف إسرائيل تحقيقاً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية فرض وضع التبعية لمصر إزاء الولايات المتحدة وتقديم حالة الخوف التي تسود القيادات المصرية إزاء أي تحرك فيه شئ من الاستقلالية في مواجهة واشنطن .
- وذكر الكاتب أن واشنطن لا تخاف في المنطقة العربية حقيقة إلا مصر، ولا تعمل حساباً إلا للقدرة المصرية، لو تماسكت وقررت النزال مع الولايات المتحدة، وقد عهد إلى إسرائيل بعملية تحزيم مصر وتخريبها والضبط وفرض الانصياع عليها .
- وقد ذكر الكاتب –رحمه الله تعالى– أن هناك حرباً قادمة في المنطقة ويتعين علي القيادة المصرية أن تستيقظ من غفلتها، وأن تفهم ذلك جيداً [أن النمر لن يمتنع عن افتراس الحمل] . ومن أجل ذلك حاول الكاتب أن يوضح جملة حقائق :

أ – من هم أعداؤنا .

ب– كيف يفكر كل عدو من أعدائنا .

جـ– وماذا قد أعد كل من أعدائنا لشل قدراتنا .

(*) وقد تحقق لأمريكا ما أرادت عن طريق إسرائيل .

- وقد ذكر الكاتب أن العدو قد استحدث سلاحاً نووياً "قنبلة تكتيكية ذات إشعاع محدود" تدمر الدول المحيطة بإسرائيل ولا يؤثر فيها !!
- كما ذكر الكاتب جانباً من الاستراتيجية الأمريكية للحرب القادمة، وهي أن الجيوش الأمريكية سوف تجتاح شمال أفريقية، ابتداء من المغرب – أي من المحيط الأطلسي – متجهة في خطوات سريعة كاسحة نحو قناة السويس لتخلق الاتصال المباشر مع إسرائيل (راجع المقالة الرابعة) .
- ولقد تبين لنا أن العدو الصهيوني والاستعمار العالمي، لا يريدون سلاماً حقيقياً، وإنما يريدون فرض الاستسلام على كل الشعوب – شعوب الأرض – على وجة العموم، وعلى وجة الخصوص المنطقة العربية الإسلامية . وحدد لذلك زمناً ست سنوات اعتباراً من مؤتمر مدريد الذي عقد عام 1991 . فهل هناك علاقة بين تحديد هذا الموعد، والموعد الذي حدده المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بال بسويسرا عام 1897 والذي حدد مائة عام لقيام الدولة العبرية ؟ ، بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات . خاصة وأن المنطقة الصهيونية قد احتفلت ومازالت تحتفل بهذه المناسبة .
- وأن العدو الصهيوني قد استطاع من خلال تطبيع العلاقات مع العالم العربي تحقيق هيمنة اقتصادية بل وعسكرية، بل وهيمنة على سياسات الإعلام والتعليم في كثير من بلاد المسلمين .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

هل عندنا علم بكل ما ذكر الكاتب ؟

هل أعددنا أنفسنا لمواجهة هذه التحديات امتثالاً لأمر الله القائل :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم .... ﴾ الأنفال/60

- قبل أن نعرض لمسألة الإعداد .. لابد أن نتساءل أولاً

– لماذا نجح العدو في تحقيق غالب أهدافه ؟

– لماذا نجح العدو في تكبيل الأمة بالأغلال ؟ وإجبارها على التسليم ؟ للعدو الذي اغتصب مقدساتها وأرضها وثرواتها، وسَخِرَ من عقيدتها بأنه صاحب الحق في كل هذا ؟

– لماذا تقف الأمة موقف السلبية ؟ تجاه هذا الخطر الماحق الذي يتهدد وجوده .

- لماذا أصحبت الأمة لا تنكر منكراً، ولا تأمر بمعروف ؟، بل وأحياناً كثيرة تعتبر المنكر معروفا، وتأمر به ؛ والمعروف منكراً ولا تحض عليه ؟
- لماذا لا تغار الأمة على عرض ولا علي دين ولا علي مقدس ؟

• والسبب –والله أعلم– . الجهل بالإسلام والمقاصد الشرعية لهذا الدين بل والجهل بالمسائل الشرعية وما ترتب على ذلك من ضعف الإيمان بالله واليوم الآخر في قلوب أبناء الأمة . الفساد العقدي والفساد السياسي والسلوكي والأخلاقي والوقوع في الحرام .. بل وأكل الحرام . تعطيل فرائض الله، وخاصة فريضة الجهاد في سبيل الله . عدم تحرير الولاء والبراء*، فالولاء عند كثير من الناس لأعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء المؤمنين . ونسوا قول اللـــه تعالـــى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ... ﴾ المائدة/55

• إن السبب يكمن في جهل الأمة بدينها، وبرسالتها، التي من أجلها خُلقَت واستُخْلفت في هذه الأرض .

• هـذه هي بعض الأسباب التى أدت إلي استذلال الأمة، لقد ضُربت خلافتها، ومُزقت وحدتهـا، وعُطلت شريعتها، وتسلـط عليهـا الأعـداء، والأمـة لا تُحرك سـاكناً، ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ﴾ الأنفال/53

• **والحل في تصورنا –والله أعلم– يكمن في النقاط التالية :**

أولاً : تحصيل العلم النافع الشرعي والكوني الذي يستخدم في تعمير الأرض مع العودة إلى الله عز وجل، واستسلام له بالكلية، امتثالاً لأمر تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافّة ... ﴾ البقرة/208

ثانياً : إحيــاء الفـرائض .. خاصة فريضـــة الجهاد في سبيـل الله، لأن اللـــه علمنا ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ... ﴾ سورة الصف/11,10

(*) وفي هذا يقول روجيه جارودي في كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" الطبعة الثامنة 1997 صـ 369 [ويجب أن نلتزم بمقاطعة جذرية لكل ما هو أمريكي، سواء كانت منتجات صناعية بدءًا من الكوكاكولا .. إلى الأفلام، وكذلك مقاطعة إسرائيل .. أعتقد أن هذا هو السلاح الوحيد المتاح] الآن .

وقوله ﷺ [من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا][1]

وقوله ﷺ [من خلف غازياً في أهله فقد غزا][2]

وقوله ﷺ [من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق.][3]

وقوله ﷺ [وجُعل رزقي تحت ظل رمحي][4]

ثالثاً: الإيجابية في مواجهة تحديات العصر، وأن يضع كل فرد من أفراد هذه الأمة في اعتبـــاره أن نصرة دينـــه، ونصـــرة أمته وتحرير القـــدس فريضـــة في رقبتـــه . قال تـعالـي ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفســـك وحـرض المؤمنين .... ﴾ ســورة النساء/84

مع العلم بأن مواجهة التحديات تستلزم جهداً جماعياً، ولهذا فإن وحدة الأمة فريضة، لقول الله تعالى : ﴿ إن هـــذه أمتكـم أمـــة واحـــدة وأنـــا ربكـم فاعبدون ﴾ سورة الأنبياء/92

- ووحدة الأمة تستلزم مُصالَحة بين الأنظمة الحاكمة، وبين رعاياها وهذه مسئولية أولياء الأمور والعلماء، خاصة في مواجهة العنف[5] الذي يجتاح الوطن الإسلامي .

---

(1) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم من حديث زيد بن خالد الجهني .

(2) حديث متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني .

(3) حديث صحيح رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

(4) الجامع الصحيح ناصر الدين الألباني .

* اقرأ في ذلك "الجواسيس غير الكاملين" ترجمة لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل ؛
* "عن طريق الخداع" فيكتور أوستروفسكي ترجمة هشام عبد الله ؛
* "الطريق إلى بيت المقدس" الجزء 3 د. جمال عبد الهادي مسعود ؛
* "قراءة في فكر علماء الاستراتيجية" د. جمال عبد الهادي مسعود ؛
* "ثقافتنا" لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل ؛
* راجع كتاب "نهضة أمة كيف نفكر استراتيجيا" لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل .
* راجع في ذلك أيضاً جميع الصحف المصرية التي تحدثت عن حادث الأقصر والتي بسببها تم عزل وزير الداخلية "حسن الألفي" حيث قالت جريدة الأهرام الرسمية الصادرة يوم 1997/11/18 تحت عنوان الأحزاب والقوى السياسية تطالب بإستئصال الإرهاب من جذوره . [حيث أكد المهندس إبراهيم شكري أن وراء هذا العمل الغريب – الإرهاب والعنف – الدخيل على أخلاقيات مصر أيداً أجنبية .. خاصة أنه جاء بعد قرار الرئيس مبارك بمقاطعة مصر لمؤتمر الدوحة] .

(5) والجزء الأكبر من هذا العنف وراءه –غالباً– الأيدي الأجنبية

- إن وحدة الأمة .. ووحدة العمل الإسلامي .. ووحدة القيادات والمنهج الإسلامي .. ضرورة شرعية وحياتية لمواجهة هذه التحديات .

رابعاً : حماية الأسرة من التيارات الإعلامية، التي تدمر الأخلاق وتشيع الفاحشة في أرجاء الوطن الإسلامي . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ....** ﴾ سورة التحريم/6

خامساً : إطلاق حرية المسجد .. والدعاة لحشد الطاقات – طاقات الأمة وإمكاناتها – لمواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري المعاصر لديارنا .

سادساً : تعبئة الموارد العربية الإسلامية وتحقيق الإكتفاء الذاتي في مجال (الطعام والسلاح) لأنه .. أنّي لأمة أن تنتصر على عدو تتسول منه رغيف الخبز !! السلاح !؟ .

سابعاً : وقف سياسة القروض –أي الاقتراض– الذي أوقع الأمة في قبضة المصارف اليهودية التي أضحت تُهدد استقلال الأمة، إن الله قد حَبَى العالم الإسلامي بثروات ليست لغيره، ولكنها مهدرة ولا نحسن الاستفادة بها، بل إن الأعداء هم الذين يستفيدون بها .

ثامناً : تحرير الولاء والبراء لا يحل لأمة أنعم الله عليها نعمة الإسلام أن تعطي ولاء ها لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين .. عار على الأمة أن تسلم رقابها ورقاب أبنائها وثرواتها وأرضها إلى عدائها .. عار على الأمة أن تتنكر لإسلامها .. وتتسول نفايات الفكر اليوناني الروماني العفن .. عار على الغني أن يتسول . قال ﷺ [تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبداً .. كتاب الله وسنتي] .

- **وفي ختام حديثنا**

نود أن نشير إلى أن مواجهتنا لهذه التحديات ؛ لن تتحقق إلا إذا امتثلنا لأمر ربنا حيث قال : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ... ﴾ سورة الأنفال/60

- ومن الإعداد لابد أن تكون لنا خطة [استراتيجية*] طويلة المدي في مواجهة هذه التحديات المعاصرة .

---

* راجع كتاب "كيف نفكر استراتيجيا" لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل طبعة أولى 1997 الناشر : الإعلام للنشر والتوزيع مرجع سابق .

ولكي تكون لنا استراتيجية وهي طريقنا إلى نهضة شاملة، لابد وأن نستعيد "هوية الإسلام" التي ضيعنا يوم أن ضيعناها قال تعالى : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ سورة البقرة/138

مرجعيتنا الفكرية في ذلك كتاب الله وسنه رسوله ﷺ مرجعيتنا في ذلك الإسلام بمنظومته* منظومة القيم العليا والتحسينية والتكميلية (العلم، الإيمان، العمل، تكريم الله للإنسان، وحدة الأمة، العدل، الشورى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والصبر، والصدق، والأمانة وغير ذلك.)

- ولا يمكن أن تكون لنا استراتيجية واضحة المعالم، إلا إذا تعرفنا على ما يجري حولنا من أعدائنا، وتعرفنا على خطط أعدائنا(**) التي وضعوها للاستحواذ على بلاد المسلمين، وردهم عن دينهم كما قال تعالى : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ... ﴾(1) ومعرفتنا للعدو هي امتثال لأمر ربنا حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾(2)
- ويبنى على ذلك العلم خطوات إيجابية :

1- ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم .... ﴾(3)

2- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء .... ﴾(4)

3- ﴿ يا أيهاالنبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾(5)

4- ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة .... ﴾(6)

(*) راجع في ذلك كتاب "كيف نفكر استراتيجيا" لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل الباب الثاني –منظومة القيم الإسلامية – من صـ30 : صـ 163، مرجع سابق .

(1) سورة الممتحنة/2 (2) سورة الأنعام/55 (3) سورة النساء/71

(4) سورة الممتحنة/1 (5) سورة التوبة/73 (6) سورة التوبة/46

(**) راجع كتاب التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين أيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية 1978، دار الحرمين – القاهرة .

- وإن لم نفعل تلك الخطوات السابقة، فإنه ينطبق علينا قوله تعالي : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة علي الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .... ﴾(1)

- ومن يتخلى من المؤمنين .. المسلمين عن حمل الأمانة .. فسوف تجري عليه سنة الاستبدال . ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾ الفتح/16

بقيت لنا كلمة أخيرة فيما يتصل باستصحاب الأمل في نصرة الله لنا

- إن الله عز وجل يعطينا الأمل .. في مواجهة هذه الهجمة الصهيونية الاستعمارية الشرسة .. في كتاب الله وعلى لسان رسوله ﷺ ، يعطيها الهجمة على أمتنا ومن خلال تاريخ الأمة المسلمة مهما كانت خطورة الهجمة على أمتنا.

- يؤكد الله عز وجل هذا الأمل .. في نصرة دينه .. وأوليائه فيقول : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾(2)

- يقول الله سبحانه : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾(3)

- ويقول سبحانه : ﴿ ...... ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾(4)

  انتبه أخي القارئ إلى قوله تعالي ... علي المؤمنين .

- والله يُعلِمنا بالعاقبة لمن يحاربون الله ورسوله في قوله سبحانه : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. ﴾(5)

- والله أخبرنا في كتابه الكريم – سورة الإسراء – أن الصهاينة سَيَعلُون في الأرض مرتين علواً كبيراً ... وها نحن نلمح العلو الثاني والأخير الذي سيسلط الله فيه عليهم من يسـومهم

---

(1) سورة المائدة/54 (2)سورة الصف/8 (3) سورة الصف/9

(4) سورة النساء/141 (5) سورة المجادلة/20، 21

سوء العذاب، جزاء تطاولهم علي الله .. واستهانتهـم بالحرمـات. فقـال تعالـي : ﴿ ... فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾(1) ومن المبشرات على ذلك إستقدام الصهاينة من كل بقاع الأرض إلى أرض فلسطين المحتلة يقول تعالى : ﴿ .... فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾(2)

- ولقد بشرنا رسول الله ﷺ وهو يعطينا الأمل بحدوث معركة فاصلة بين اليهود والمسلمين، يكون النصر فيها للإسلام والمسلمين فقال ﷺ [لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود .... حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجر والحجر فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي فاقتله ....](3)
- كما بشرنا النبي ﷺ وهو يعطينا الأمل بخلافة على منـــهاج النبـوة فقـال ﷺ [تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت](4)
- الأمة الإسلامية الآن على مشارف نهاية المُلك الجبري، وقيام الخلافة الراشدة.
- إن الصحوة الإسلامية، المتنامية في الوطن الإسلامي، والواقع تحت القهر الشيوعي في الصين وآسيا الوسطي لتؤكد أن المستقبل لهذا الدين ولأمة الإسلام إن شاء الله.
- قيام دولة إسلامية تُطبق الشرائع والحدود في بلاد الشيشان بعد سنوات طويلة من الاحتلال القيصري الأرثوذكسي، والشيوعي الإلحادي ... تعطينا الأمل !!
- إن الصحوة الإسلامية في أرجاء الوطن الإسلامي ... تعطينا الأمل .
- الانتفاضة الفلسطينية المرابطة في مواجهة الغزوة الصهيونية الإستعمارية تحقيقاً لبشارة النبي ﷺ حيث قال : [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون على أبـواب بيت المقدس، لا يضرهم خذلان من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم علي ذلك](5) ... تعطينا الأمل .

---

(1) سورة الإسراء/7 (2) سورة الإسراء/104

(3) حديث رواه أحمد والحاكم من حديث جابر .

(4) حديث رواه الإمام أحمد 273/4 ، ورواه الحافظ العراقي وصححه ناصر الدين الإلباني مجموعة الأحاديث الصحيحة تحت رقم 5 .

(5) حديث صحيح رواه الإمام أحمد .

- **حقيقة**

إن الصحوة الإسلامية تُعاني وتُمتَحن، ولكن الاختبار والإمتحان ضروري، لتمحيص أصحاب الدعوات، وإعدادهم لمهمتهم المرتقبة ... وهي مواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري .

- كلما اشتدت الإبتلاءات والمحن ... كلما ساهم ذلك في إنضاج إنسان العقيدة، الذي يُحب الموت كما يحب الأعداء الحياة، الذي يطلب الشهادة في مظانها وهو العنصر الضروري لإنهاء غُربة الإسلام والمسلمين، وإنهاء معاناة العالم الإسلامي .

- **من أجل هذا نُوصي أنُفسَنا** ... وأمتنا في مواجهة هذه الإبتلاءات بالرضا . فقال ﷺ : [وأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك][1] وكذلك نوصي أنفسنا بالصبر والثبات، لقوله سبحانه وتعالي : ﴿ واستعينوا بالله واصبروا ... ﴾[2] وقوله تعالي : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا .. ﴾[3] ونوصي أنفسنا بالتوكل علي الله .. والاستمرار في حمل الأمانة –أمانة الدين الإسلامي– واليقين في نصر الله، واعلم أيها القارئ أن الفرج مع الكرب .. وأن النصر مع الصبر كما أخبر النبي ﷺ.

وعلينا أن نتذكر

1- ما قاله الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع أنه بإمكاننا هزيمة العدو إذا أخذنا بزمام المبادرة، ولم ننتظر الضربة الأولى، والقاضية .

2- ما قاله اللواء أركان حرب الدكتور فوزي محمد طايل في كتابه "النظام السياسي في إسرائيل" صـ 312 تحت عنوان "النظام الإسرائيلي صاعد إلى الهاوية" فقال : في صـ 317 [وهكذا تقترب إسرائيل من القمة، وأيضاً من حافة الهاوية ... كلما اقتربت أكثر من تحقيق فكرة إعادة بناء "الهيكل" على انقاص المسجد الأقصى*] .

---

(1) جزء من حديث لعبد الله بن عباس رواه الإمام أحمد .
(2) سورة الأعراف/138
(3) سورة الأنفال/95

(*) في أعقاب مذبحة ساحة المسجد الأقصى 1990/10/8، ظهر عالم الآثار الإسرائيلي "جوزيف سيرج" على شاشة التليفزيون الفرنسي ليقول : إن إسرائيل ستبدأ قريباً جداً في إقامة الهيكل الثالث، على أنقاض المسجد الأقصي، الذي تستطيع إسرائيل تصديعه بإستخدام التكنولوجيا الحديثة . وبعدها بأيام في شهر نوفمبر أعلن شامير معلقاً علي المذبحة : "لقد حان الوقت كي تمتد حدود إسرائيل من البحر إلى النهر" وفي شهر سبتمبر 1991 أعلنت جريدة "هاحدشوت" أن المليونير اليهودي الأمريكي "موشي سقين" يمول "حركة أمناء جبل الهيكل" لوضع حجر أساسه، الذي يبلغ وزن 6 طن ملفوفاً بعلم إسرائيل، وتحمله طائرة هليوكبتر أمريكية ضخمة إلى مكانه في "الحرم القدسي" .

ولا غرو .. فمن أوفى بوعده ووعيده وقضائه من الله تعالى، إذ يقول جل شأنه :

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . أُذن للذين يُقاَتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ الحج/38 - 40

لكن الله تعالى وضع شرطاً لنصرة هؤلاء القوم المؤمنين، الذين سيقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ولا يتوكلون إلا على الله، ولا يتولون إلا الله ورسوله والذين آمنوا فينتصرون .. فقال جل شأنه :

﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ الحج/41

إن استجداء المهادنة من يهود أميريكا(1) لن يؤدي بالمسلمين إلا إلى المزيد من السقـــوط، وفقدان الأرض والعرض والمقدســـات، إن اغتصاب أرض فلسطـــين، أرض المسلمين ومن كان في ذمتهم، ظلم لا يجوز التسليـــم به . وكل محـــاولات إضفاء الشرعية الدوليـــة وفرض الأمر الواقـــع، غير العادل، بالقـــوة، إلى زوال حتما ... فإسرائيل نفسها، مهما علت وقويت، ظاهرة مؤقتة، متكررة، وحكماؤهم يعرفون هذا ويجدونه مكتوبا عندهم في التوراة .. وفي الانجيل : "... أمـــا تـــرون هـــذه المباني كلها ؟ الحق أقول لكم : لن يترك هنا حجر فوق حجر إلا ويهدم ! " (متى : 24 : 1-2 – مرقس 13 ; 1-2 – لوقا 21 : 5-6) .

إن التغلب على النظام "الصهيوني" "العنصري" الذي استباح مقدساتنا، واحتل أرضنا، ويستهدف المزيد من التوسع والعلو في الأرض والافساد فيها، لا يكون بالتمني، ولا برفع شعارات جوفاء، ولا بابتداع أفكار "علمانية" أو اتباع نظم وضعية،

(1) حصر الأستاذ فهمي هويدي في مقاله "دعوة للفهم وليس لليأس" ، الأهرام ، 3 ديسمبر 1991م ، ص 7 ، الفريق الأميريكي للإشراف على المفاوضات فوجده : رئيس الفريق "دينيس روس" ، ومعه : "دانيال كورتسر" ، و "آرون ميلر" ، و "ريتشارد هاس" (وجميعهم من اليهود) ، و "وليام بيرنز" وهو النصراني الوحيد في الفريق !!

وإنشاء تجمعات إقليمية[1] – ثبت بطلانها، وفشلها الذريع، على مدى أربعين وسبع سنين أو يزيد، ولم تعد سوى قيد على الحركة، ووثن يعبد من دون الله .. فالصهيونية فكرة عقائدية لا تندحر إلا أمام عقيدة أصح وأصلح وأقوى، لها رجال يؤمنون بها حق الإيمان، ولا يخشون إلا الله، فيصدق فيهم قوله تعالى :

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ آل عمران/173-174

إن قضية الوجود الصهيوني بالأرض المقدسة ليست قضية فلسطينية فحسب، ولا هي قضية الناطقين بالعربية وحدهم . إنها قضية إسلامية في المقام الأول .، والصهيونية تعتبرها هكذا، شئنا أو لم نشأ .

لئن كان داعي الجهاد قد نادي منذ أواخر عام 1947 فقط[2]، بعد أن أفاق الناس من غفوتهم على قرب بزوغ كيان معاد في قلب دار الإسلام، فإن الاستجابة كانت هزيلة، شابها تخاذل، وخيانات .. فكان ما كان .. والله المستعان .

إن المرحلة الحالية، التي بدأت مع وصول القوات الأميريكية – التي تعمل لحساب الصهيونية – إلى الخليج، وإلى القرن الأفريقي، وعما قريب إلى البلقان، وربما السودان واليمن وليبيا وغيرها .. تستهدف الاجهاز على الإسلام .. خطوة خطوة .. لكن الخطوات قد تكون سريعة جداً هذه المرة .

---

(1) إن فكرة القومية العربية هي فكرة خالية من العقيدة، بل من الأيديولوجية، فهي ليست إلا نعرة فارغة لا يقرها الإسلام، تمخضت عن جسد ميت يُدعى "الجامعة العربية"، يحاول البعض – لاغراض خفية – نفث الروح فيه دون جدوى، فكان التسليم لإسرائيل وأطماعها، خطوة خطوة، منذ عام 1947م وحتى الآن ! (الكلام لفوزي محمد طايل) .

(2) لا يمكن إنكار كفاح الفلسطينيين منذ العشرينيات، وانتفاضتهم الكبرى عام 1936م، بيد أن المسلمين عامة قصروا، فلم ينتبهوا لخطورة ما يحدث في فلسطين إلا منذ ذلك التاريخ . ودليلنا هو قرار الجامعة العربية في السابع من أكتوبر 1947م : " إن على الفلسطينيين أن يدافعوا عن أنفسهم مع دعمهم بالسلاح والمجاهدين ومرابطة الجيوش العربية .. " ولم يكن هذا سوى تنصل حقيقي من المسئولية وقعود عن الجهاد في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . (الكلام لفوزي محمد طايل) .

فوا إسلاماه ..ووا قدساه!

إن الحل الاجـــدي والأكثر فعالية يبدأ بدعم الإنتفاضة الفلسطينية غاية الاستطاعة، والانتقـــال بها إلي مرحلة جديدة، بحذر، وإقدام في آن واحد .. والاستعداد لما هو آت فالمواجهة قادمة لا ريب فيهـــا .. ﴿ .. وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ محمد/38

لتكن ثقتنـــا في نصر الله كبيرة، فلقد وعدالله، ولن يخلف الله وعـــده ؛ إذ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ النور/55

3- ما قاله اللواء فوزي طايل في كتابه "نهضة أمة، كيف نفكـــر استراتيجـــيا" ما نصه :

[إن الجناح الشرقي للحضارة الأوربية قد انهار ... والجناح الغربي في سبيله إلى الانهيار ... وسيحدث إنهياره دوياً هائلاً] .

- فهل أعددنا أنفسنا لذلك اليوم ؟؟

﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ .



ملحـــق

نصوص بعض الرسائل المتبادلة

بين بيجــن وكارتـر والســادات

بشـأن القدس وبنــاء قاعــدتين

جــويتين في صحــراء النقـــب

مصدر الملحق : اتفاق كامب ديفيد وأخطارها، عرض وثائقي

مؤسســة الدراســات الفلسطينيــة، سلسلــة الدراســات

رقم 50 – بيروت – الطبعة الأولى عام 1978م.

نقـــلاً عـــن : كتــاب "اتفاقات السلام المصريــة الإسرائيليــة

في نظر القانون الدولي"

محمد خضر الرفاعي – دار الجليل للنشر – عمان – صـ154 : صـ158

[القـــــدس]

الوثيقة رقم 5

من السادات إلى كارتر

17 ايلول [سبتمبر] 1978

عزيزي السيد الرئيس

اكتب اليكم لأعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية في ما يتعلق بالقدس .

1- أن القدس العربية هي جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية، ويجب اعادة الحقوق العربية التاريخية والشرعية إلى المدينة واحترامها .

2- أن القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .

3- أن لسكان القدس العربية الفلسطينيين الحق في ممارسة حقوقهم الوطنية المشروعة بصفة كونهم جزءا من الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية .

4- يجب تطبيق قرارات مجلس الأمن الوثيقة الصلة، ولاسيما القرارين 242 و 267 ، في ما يتعلق بالقدس، وإن كل التدابير التي اتخذتها اسرائيل لتبديل وضع المدينة هي لاغية وكأنها لم تكن، ويجب أن تزال .

5- يجب أن يكون لجميع الشعوب حرية الوصول إلى المدينة، والتمتع بحرية ممارسة شعائرهم، والحق في الزيارة وفي المجئ إلى الأماكن المقدسة، من دون أي تفرقة أو تمييز .

6- أن الأماكن المقدسة لكل ديانة يمكن أن توضع تحت إدارة ممثليها وسلطتهم .

7- أن الوظائف الأساسية في المدينة يجب ألا تقسم ويَمكّن مجلسا بلديا مشتركا مؤلفا من عدد متساو من الأعضاء العرب والإسرائيليين أن يشرف على تنفيذ هذه المهمات، وبهذه الطريقة، فإن المدينة لن تكون مقسمة .

باخلاص

التوقيع : محمد أنور السادات

الوثيقة رقم 6

من بيغن إلى كارتر

17 ايلول [سبتمبر] 1978

سيدي الرئيس

لي الشرف أن أبلغكم، سيدي الرئيس، إنه في 28 حزيران [يونيو] 1967 أعلن البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) موافقته على قانون ينص علي الآتي ، " أن الحكومة مخولة بمرسوم أن تطبق القانون والتشريع والترتيبات الإدارية للدولة على أي جزء من "اريتز اسرائيل" (أرض إسرائيل – فلسطين) كما ورد في المرسوم .

وعلى أساس هذا القانون، أصدرت الحكومة الإسرائيلية مرسوما، في تموز (يوليو) 1967 ، ينص على أن القدس هي مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم، وهي عاصمة دولة إسرائيل .

باخلاص

التوقيع : مناحيم بيغن

الوثيقة رقم 7

من كارتر إلى السادات

22 ايلول [سبتمبر] 1978

عزيزي السيد الرئيس

لقد تلقيت رسالتكم المؤرخة 17 ايلول (سبتمبر) 1978، والتي تعرضون فيها الموقف المصري من القدس، وأنا سأنقل نسخة عن الرسالة إلى رئيس الوزراء، بيغن، للاطلاع .

إن موقف الولايات المتحدة من القدس يبقى كما أعلنه السفير غولدبرغ أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 14 تموز 1967 ، وما تبعه من تصريح للسفير يوست أمام مجلس الأمن الدولي في تاريخ 1 تموز (يوليو) 1969.

باخلاص

التوقيع : جيمي كارتر

الوثيقة رقم 10 **[القواعد الجوية]**

من براون إلى وايزمن(1)

28 ايلول [سبتمبر] 1978

عزيزي السيد الوزير

تفهم الولايات المتحدة أن إسرائيل تعتزم، فيما يتعلق بتنفيذ الاتفاقيتين المعقودتين في كامب ديفيد، بناء قاعدتين جويتين عسكريتين في مواقع ملائمة في النقب لتكون بديلا للقاعدتين الجويتين في عيتام وعتسيون اللتين ستخليهما إسرائيل بموجب معاهدة السلام التي سيتم التوصل إليها بين مصر وإسرائيل، كما تفهم أيضا الطابع الملح والأولوية الخاصة التي توليها إسرائيل لاعداد القاعدتين الجديدتين في ضوء قناعتها بأنها لا تستطيع التخلي باطمئنان عن القاعدتين الجويتين في سيناء قبل أن تصبح القاعدتان الجديدتان معدتين للاستخدام .

واقترح أن تتشاور حكومتانا بشأن حجم هاتين القاعدتين وتكاليفهما، بالإضافة إلى أشكال أخري من المساعدة المرتبطة بهذا الأمر، والتي من شأن الولايات المتحدة أن تقدمها على نحو ملائم، وذلك في ضوء المشكلات الخاصة التي قد تبرز في أثناء تنفيذ مثل هذا المشروع على أساس ملح . أن الرئيس على استعداد للسعي من أجل الحصول على موافقة الكونغرس اللازمة لمثل هذه المساعدة، بحسب ما يقره الجانب الأميركي نتيجة المشاورات المقترحة .

التوقيع : هارولد براون

---

(1) وزعت هذه الرسالة بعد النظر: Department of state the camp David Summit: September 1978 (Washington 1978).

مصادر ومراجع تتصل بنفس الموضوع

1- اطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي - د. حامد عبد الله ربيع - دار الفكر العربي - طبعة عام 1978.

2- مصر تدخل عصر النفايات الذرية - د. حامد عبد الله ربيع - بالاشتراك مع الدكتورة نعمات أحمد فؤاد - دار الاتحاد العربي للطباعة - طبعة عام 1979 .

3- الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي - د. حامد ربيع - دار الوقف العربي - 1983 .

4- نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتكامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط - حامد ربيع - دار الوقف العربي 1984.

5- الإسلام والقوى الدولية - حامد ربيع - 1981 .

6- النظام السياسي في إسرائيل - لواء أ.ح د. فوزي محمد طايل - دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة - طبعة ثانية 1992 .

7- الجواسيس غير الكاملين - يوسي ميلمان - دان راڤيف - ترجمة لواء أ.ح د. فوزي محمد طايل - الزهراء للإعلام العربي - الطبعة الأولي 1994 .

8- أزمة الخليج أبعاد وآفاق المستقبل - تقديم أ.د. سيد دسوقي حسن وآخرين المشاركون لواء أ.ح د. فوزي محمد طايل ، أ.د. عبد الحميد الغزالي .

9- آثار أزمة الخليج على منظومة القيم الإسلامية العليا . لواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل - الزهراء للإعلام العربي .

10- أزمة شيشان والخطر المحدق بمسلمي آسيا - د. فوزي محمد طايل مركز الإعلام العربي 1995 .

11- أعداد مجلة استراتيجيا - (شهرية عسكرية) تصدر عن شركة أبي ذر الغفاري للطباعة والإعلان ش.م.م. 1990 .

12- نهضة أمة، كيف نفكر استراتيجياً – لواء أ.ح د. فوزي محمد طايل – مركز الإعلام العربي 1997.

13- الاختراق الإسرائيلي للزراعة في مصر – صلاح بدوي – مركز الحضارة العربي للإعلان والنشر – طبعة أولي يناير 1992 .

14- وصف مصر بالعبري – تفاصيل الاختراق الإسرائيلي للعقل المصري د. رفعت سيد أحمد – سينا للنشر – طبعة أولي 1989 .

15- حقائق حول أزمة الخليج – د. سفر عبد الرحمن الحوالي – دار مكة المكرمة – ط أولي 1991 .

16- تعصب اليهود "رسالة دكتوراة أُجيزت عن جامعة الأزهر" د. عمر عبد العزيز موسى – القاهرة – 1995 .

17- الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ وسمات مصر" – د. صلاح عبد الفتاح الخالدي – دار العلم – دمشق .

18- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي – أنور الجندي – دار الاعتصام .

19- دكتور جمال حمدان – صفحات من أوراقه الخاصة ، إعداد د. عبد الحميد صالح حمدان – دار الغد العربي – 1996 .

20- الأمريكان أصحاب الفيل "تحليل سياسي" للغزو الأمريكي لجزيرة العرب" والآثار المترتبة عليه (15 أغسطس 1990) إعداد د. عبد الحميد فارس أستاذ الاستراتيجية بالجامعات المصرية .

21- اتفاقيات السلام المصرية الإسرائيلية في نظر القانون الدولي – محمد خضر الرفاعي – دار الجليل للنشر – عمان – 1984 .

22- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – جارودي – دار الغد العربي – طبعة ثانية .

23- عن طريق الخداع – ڤكتور استروڤسكي – دار الفارس للنشر والتوزيع – عمان – جزء ثان .

24- ملف إسرائيل "جارودي – دار الشروق 1983 .

25- كارثة الخليج وأزمة الشرعية في العصر الأمريكي – د. محمد عصفور – دار القارئ العربي 1991 .

26- حرب الخليج لـــم تتوقف بعـد : بقعة من الزيت في بحر من الدمـــاء – د. عبد الرحمن فارس – أكتوبر 1991 مصر :

27- اليهود انثروبولوچيا د. جمـــال حمـــدان – المكتبـــة الثقافيـــة – جامعـــة حرة 169 – فبراير1967 – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

28- قراءة في فكر علماء الاستراتيچية د. جمـــال عبد الهادي مسعـــود – دار الدعوة .

29- الطريق إلى البيت المقدس، ثلاثة أجزاء، د. جمال عبد الهادي مسعود .



الفهـــــرس